

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -

X•0V•EX •KlE E:K:IA •lK•X - X:0E0:t -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محمد أولحاج

- البويرة -

كلية الآداب واللغات

القسم: اللغة والأدب العربي.

الميدان: لغة وأدب عربي.

الشعبة: دراسات نقدية.

التخصص: الأدب والمناهج النقدية.

الخصائص البلاغية والأسلوبية للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د.

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الرحمان عيساوي

إعداد الطالب:

قدّور عبدلي

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
1	أحمد حيدوش	أستاذ التعليم العالي	جامعة أكلي محمد أولحاج-البويرة-	رئيساً
2	عبد الرحمان عيساوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أكلي محمد أولحاج-البويرة-	مشرفاً ومقرراً
3	قادة يعقوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة أكلي محمد أولحاج-البويرة-	ممتحناً
4	رشيدة بودالية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أكلي محمد أولحاج-البويرة-	ممتحناً
5	رابح بن خوية	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمّد البشير الإبراهيمي-برج بوعريريج-	ممتحناً
6	محمّد زهّار	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمّد بوضياف-المسيلة-	ممتحناً

تاريخ المناقشة: 21 / 12 / 2022 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

إهداء

إلى روح والدي، وروح والدي.

إلى روح أخي، وروح أختي.

إلى كل أفراد أسرتي وأقاربي.

إلى كل من أعانني ولو بكلمة طيبة، أو بإتسامة رقيقة من أجل
تكملة مشواري في طلب العلم وتقصي المعرفة.

إلى كل من علمني حرفًا.

أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وعرفان.

الحمد لله، أستعين به وأستمد به واستغفره وأتوب إليه،
وأعوذ به من العُجبِ قَما أحسنُ، ومن التَّكَلُّفِ قَما لا أحسنُ، وأُصَلِّي
وأُسلِّمُ على صَفِيَّهِ وخير خلقه وخاتم أنبيائه ورسوله، وعلى من اهتدى
بهدية إلى يوم الدين.

أتقدّم بالشكر والامتنان إلى كلِّ أفراد أسرتي، وإلى كلِّ من
أعانني ولو بكلمة طيبة في إنجاز هذا العمل، وإلى كلِّ أفراد
الطاقم البيداغوجي من أساتذة كلية الآداب واللغات لجامعة أكلي
معد أولاج بالبويرة؛ ولا سيّما الطاقم المكلف بالتكوين لما بعد
التدرّج، وكذا الطاقم الإداري المسير للكلية نفسها، راجياً من
المولى تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان
حسناتنا يوم القيامة، كما أسأله عزّ وجلّ أن يوفّقنا جميعاً إلى ما يحبه
ويرضاه.

هذا وإن أصبغت في هذا العمل فهو بتوفيق من الله الملك
الديّان، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان خير أن ما يشفع لي
في هذا المقام أنني حاولت الاجتهاد في هذا الأمر قدر الإمكان .



مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ وبعد: فإنّ الخطابة فنٌّ واسعُ المعالم؛ فهو يعمل على ترويض اللسان وتعويدَه على فنون الكلام وأساليبه، وهو بالتالي النتاج الفكريّ الأدبيّ الذي عرف تطوّراتٍ كبيرةً عبر الزمن من الجاهليّة إلى يومنا هذا.

وإذاً فلا عجب إذاً أن يغوص في عباب بحره الباحثون ممّن لم يتطرّقوا إلى مثل هذه الموضوعات الهامّة بما يفيد البلاد والعباد، وحينما يتطرّق الباحث إلى مثل هذه الموضوعات الشيقّة والشاقّة في الوقت نفسه يكون ذا رغبةٍ جامحةٍ في أن يغوص في مثل هذه الموضوعات كمحاولةٍ للوصول إلى مكنونات هذا الفنّ الثريّ القديم بما يتاح له من أن ينفّس عمّا بداخله بغرض الاطلاع على ما كتبه العلماء والعارفون ومؤرّخو الأدب العربيّ عنه من ذوي الاختصاص.

وقد كانت الخطابة الإسلاميّة أيام الخلفاء الراشدين الدّعاة الأساسيّة في إرساء أركان الدولة الفتية التي قامت دعامتها بعد انتقال الرّسول الكريم ﷺ إلى الرّفيق الأعلى على منواله القويم وهدية المستقيم من الكتاب والسنة النبويّة المطهّرة، ولا غرو في أن تكون الخطابة كذلك أيّامها كونها كانت الوسيلة الوحيدة للإعلام في ذلك الزّمان؛ حيث كان الخلفاء الراشدون والصّحابة الكرام يعتمدون عليها اعتماداً كاملاً في تسجيل كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من الشؤون ممّا يهمّ البلاد والعباد بغرض إصلاح حالة النّاس وهدايتهم إلى النّور عملاً بما يرضي الله تبارك وتعالى.

وعادةً ما كانت الخطابة تُعتمدُ في المناسبات الدّينيّة كالأعياد، وفي كلّ جمعةٍ من كلّ أسبوعٍ يتناول فيها الخطباء ما يهمّ المسلمين من أمور دينهم ودنياهم، وأحياناً ما تقوم إذا مادعت الضّرورة إلى ذلك؛ مثل الخطب التي كانت ساحات الوعى تشهدها أثناء احتدام القتال بين المسلمين وأعدائهم كالفرس والبيزنطيّين... إلخ.

الإشكاليّة: ولعلّ الإشكاليّة التي يمكن أن تُطرح في هذا المقام، هي:

- ما هو مفهوم الخطابة؟ وما هي أهميّتها؟ وكيف تُهيكل الخطبة؟
- وماهي الشّروط التي يجب أن تتوافر في شخصيّة الخطيب ليكون عند حسن ظنّ

المستمعين؟

- وكيف تكون آدابه مع نفسه، ومع مستمعيه ومتلقيه؟

- وما هي الميادين التي غطتها الخطابة من عهد النبوة إلى عهد الخلفاء الراشدين؟

ولا شك أن الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين كانت لها سماتٌ ميّزتها عن غيرها من الخطابة التي عرفها العرب في عصر الجاهلية الممتدّ في التاريخ دحرا من الزمن لفترة ما قبل ظهور الإسلام، أو لدى الشعوب القديمة.

- فما هي إذا الخصائص التي تميّزت بها الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين؟

- وما هي العوامل والظروف التي ساعدتها على الازدهار والرقي؟

ولعلّ الخطابة شأنها شأن كلّ الفنون الأدبية التي شغلت حيّزا هامًا في حياة الإنسان العربيّ لم تكن بعيدة عن السليقة العربية وفطرتها، وهي التي كانت تتماشى ولا شك مع المستجدات التي عرفتها حياة الإنسان في البيئة العربية آنذاك.

وكانت الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين ممّا لا شك فيه أنّها قد نهلت من منهل النبوة ممّا نزل على الرسول الكريم ﷺ من ربه من الذكر الحكيم، ومن سنته المطهّرة.

وبما أنّ عنوان هذه الأطروحة هو: (الخصائص البلاغية والأسلوبية للخطابة في عهد

الخلفاء الراشدين)؛ فالأسئلة التي تتبادر إلى الذهن، هي:

- ما هو مفهوم البلاغة؟

- وما معنى الأسلوبية؟

- وما هي الإجراءات والآليات التي تعتمد عليها الأسلوبية في تحليل الخطاب الأدبي؟

كلّ هذه الأسئلة ربّما ستجد الإجابة الصائبة- إن شاء الله- فيما سيأتي من تحليل

لهذه الظاهرة الأدبية والنقدية لما جاء في منتها على الشكل التالي:

الأبواب والفصول: وتشمل هذه الأطروحة على المحاور التالية:

مدخل إلى البلاغة والأسلوبية.

الباب الأول: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

الفصل الأول: الخطابة/ مفهومها وأنواعها.

الفصل الثاني: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين. ويضمّ كثيرًا من المباحث؛ من أهمّها:

- المبحث الأول: الخطابة النبوية ومميزاتها والجوانب التي غطتها.
- المبحث الثاني: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين وخصائصها والميادين التي شملتها.
- الباب الثاني: الخصائص البلاغية والأسلوبية للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.
- الفصل الأول: الخصائص البلاغية للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.
- المبحث الأول: أقسام البلاغة العربية.
- المبحث الثاني: الصور البلاغية في خطب المدونة.
- الفصل الثاني: الخصائص الأسلوبية للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.
- المبحث الأول: بعض التطبيقات الأسلوبية على خطب المدونة؛ مثل: (الخصائص التعبيرية، والوظيفية، والنبوية).
- المبحث الثاني: المستويات الأسلوبية لخطب المدونة (المعجمي، الصوتي، التركيبي، الدلالي).

أسباب اختيار هذا الموضوع:

- نظرًا لتعلقي بمثل هذه الموضوعات الهامة في تاريخ الأدب العربي ارتأيت أن أحاول التطرق إلى الحديث عن هذه الفترة الهامة في التاريخ كمحاولة مني التقيب في مكونات هذا الشكل من أشكال الأدب العربي.
- ونظرًا لكوني شغوفًا بهذا النوع من النثر الفني القديم وبهذا الشكل من الخطاب الأدبي، والذي شغل حيزًا كبيرًا في هذه الفترة الزمنية الهامة من تاريخ البشرية، كانت هذه المحاولة في البحث عن طريق السعي للتعرف على بعض مكوناته الداخلية بتحليل ما أمكن من هذه الخطب لهذه الفترة من تاريخ الخلفاء الراشدين؛ وهذا من حيث: (الخصائص البلاغية والأسلوبية)؛ وهذا بالاعتماد على آليات المنهج الأسلوبي؛ ولا سيما الإحصائي منه؛ وهذا من أجل استخلاص الوصول إلى الكثير من الدلالات.
- كما أنه وبسبب قلة الدراسات في مثل هذه الموضوعات الهامة من تاريخ الأدب، أرتأيت أن أضيف بعض الشيء إلى خزانة الأدب العربي ما يمكن وسمه ببعض الإضافات في هذا الميدان؛ وهذا باستعراض بعض الخصائص الأدبية للخطابة الإسلامية في عهد الراشدين، والوصول إلى تحليلها من حيث: الخصائص البلاغية والأسلوبية.

المناهج المستعملة في هذه الدراسة: كان الاعتماد في كتابة هذه الأطروحة على المناهج النقدية التالية:

- المنهج التاريخي والوصفي.
- المنهج الأسلوبي الإحصائي ودلالاته.

ومن المعلوم أنه، وإن كانت بعض الاختلافات توجد على مستوى الدراسات الأسلوبية بسبب تعدد الأساليب؛ غير أن الهدف من القيام بهذه الدراسة هو الوصول إلى تحليل هذه الخطب تحليلاً أسلوبياً؛ وفق آليات المنهج الأسلوبي الإحصائي بغرض التوصل إلى تحقيق العديد من المعاني واستنباط المزيد من الدلالات التي تخدم هذا الأمر بهذا الشكل.

المصادر والمراجع:

المصادر: استعملت في دراسة هذا الموضوع بعض المصادر القديمة؛ مثل: العقد الفريد للفيحي الأندلسي أحمد بن عبد ربه.

المراجع: واستعملت العشرات من المراجع القديمة والحديثة، وبعض الرسائل الخاصة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، وبعض الأطروحات لنيل درجة الدكتوراه، وبعض المجالات والدوريات... إلخ.

المعاجم: وأهم ما استعمل في هذا الموضوع لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي.

وكان الهدف من كل هذا العمل الدؤوب هو الوصول إلى محاولة تحليل هذا النوع من الخطابات الأدبية تحليلاً بلاغياً وأسلوبياً وإن لم تصل هذه الدراسة إلى أن تكون دراسة شاملة كاملة لتحليل مثل هذا النوع من الفن النثري في عهد الخلفاء الراشدين من جانب الأسلوب البلاغي المستعمل فيه من ناحية، ومن جانب أسلوبيته من ناحية أخرى؛ فعلى الأقل قد تكون إحاطة ببعض جوانبه النورانية في ميدان البلاغة والأسلوبية لهذه المرحلة من تاريخ الأدب العربي. وأهم ما يميز هذا العمل أن عمليات التحليل ستعتمد في هذا المقام على استعمال نظام بعض الجداول في الجانب البلاغي، والأشكال الهندسية والرسومات البيانية في مجال دراسة بعض الخصائص الأسلوبية؛ مثل: المستوى الصوتي والتركيب والدلالي... إلخ.

والله الموفق وهو الهادي إلى الصراط المستقيم.

مدخل²⁸

إلى البلاغة والأسلوبية

المبحث الأول: ماهية البلاغة وأركانها.

المبحث الثاني: مفهوم الأسلوبية واتجاهاتها.

المبحث الأول: ماهية البلاغة وأركانها.

المطلب الأول: تعريف البلاغة.

البلاغة في اللغة تنبئ عن الوصول والانتهاء؛ وقد جاء في القاموس: بلغ الرجل بلاغةً، إذا بلغ بعبارته كنه مراده من إيجاز بلا إخلال، أو إطالة بلا إملال، وقال البيانيون: "إنها تطبيق الكلام على مقتضى الحال مع فصاحته¹ (*).

وإذا كانت الفصاحة يوصف بها الفرد والكلام والمتكلم، فإن البلاغة يوصف بها هذان الأخيران فقط.²

فالبلاغة إذاً في اللغة تنبئ عن الوصول إلى المنتهى، والبلوغ هو الذي يبلغ بعبارته هدفه ومراده بلا إخلال، وهي في البيان العربي تطبيق القول على مقتضى الحال بشكل فصيح. والفصاحة في المفرد؛ أي: خلوص الفرد من تنافر الحروف (**). والغرابة، ومخالفة القياس.

¹ - الخطيب القزويني، الإمام جلال الدين، محمد بن عبد الرحمن: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، د ط، تاريخ الطباعة: 1350 هج/ 1932 م، ص: 33. (*). ويسمى الشيخ عبد القاهر الجرجاني في مصنفه دلائل الإعجاز: تطبيق الكلام على مقتضى الحال ب: (النظم)؛ فيقول: "النظم هو توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ فيها الكلام؛ فالشاعر البازل، أو الكاتب المجيد: هو الذي يضع كلامه الموضع الذي تقتضيه تلك الحال. والنظم كما عرفه ليس إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تبخل بشيء منها؛ وذلك أننا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه."

² - نفسه، ص: 24. - بتصرف من المقدمة.

(**) وتنافر الحروف هي أن تكون الكلمة ثقيلة على حمل اللسان، مخالفةً للذوق السليم الذي يثمره التحفظ لكلام العرب، ومزاولة أساليب البلغاء؛ ومما جاء متافراً كلمة (مستشزرات) في قول امرئ القيس:

غداً مستشزراتٌ إلى العلا
تضلّ العقاس في مُنتى ومُرسل.

والتنافر منه: ما تكون الكلمة بسببه منتهية في النقل على اللسان وعسر النطق بها، كما روي أن أعرابياً سئل عن ناقته، فقال: "تركتها ترعى الخعخع"، ومنه ما هو دون ذلك مثل كلمة (مستشزرات) في قول امرئ القيس. ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال، الصعدي، مكتبة الآداب - القاهرة - الجزء الأول، الطبعة النموذجية، د ت، ص: 12.

والغريبة: هي " أن يكون اللفظ وحشياً غير مألوف الاستعمال ولا ظاهر المعنى؛ وهو قسمان: أ - حسن لا يعاب استعماله على الإنسان العربي القحّ، وهو في النظم أحسن من النثر؛ مثل كلمة: (مشمخر) في قول البحتريّ، وهو يصف إيوان كسرى.

مُشمخَرٌ تعلو له شرفاتٌ رفعت في رؤوس رضوى وقدسٍ

ب- قبيح يعاب استعماله بين سائر الفصحاء.

والغريبة(*) هي أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها؛ فيحتاج المرء في معرفتها إلى أن ينقُر عنها في كتب اللّغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمر النحويّ مرّةً أنّه سقط من فوق حماره في السّوق، فاجتمع من حوله النّاس، فقال: " ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكأكم على ذي جنة، افرنقوا عني".¹

والبلاغة في اللّغة؛ هي الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلان مراده، أي: إذا وصل إليه، وبلغ الرّكب المدينة، إذا انتهى إليها؛ فمبلغ الشّيء منتهاه.²

والبلاغة في الاصطلاح؛ هي وصفٌ للكلام والمنكلم فقط دون الكلمة لعدم السّماع.³ والبلاغة في الكلام: هي مطابقتها لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه (مفرداً ومركباً). مثلاً - حال يدعو لإيراد العبارة اللّازمة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب - حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، وكلّ من المدح والذكاء (حال ومقام)، وكلّ من

¹ - الصّعدي، عبد المتعال: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب - القاهرة - الجزء الأوّل، الطّبعة

النّمونجية، دون تاريخ، ص: 14.

شرح الألفاظ الغريبة:

تكأكأتم: أي اجتمعتم عليّ.

افرنقوا عني: أي تتحوّوا عني.

² - السيّد، أحمد الهاشمي، جوهر البلاغة (في المعاني والبيان والبدیع)/ ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصّميلي،

المكتبة العصريّة - صيدا، بيروت - لبنان، دون طبعة، دون تاريخ، ص: 40.

³ - المرجع نفسه، الصّفحة: 40.

(*) مقتضى حال الخطاب: وهو ما يدعو إليه الأمر الواقع؛ أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب، يُنظر

المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

فالبلاغة إذا؛ هي تأدية المعنى الجليل الواضح بعباراتٍ فصیحةٍ يكون لها الأثر القويّ الخلاب في النّفس البشريّة، مع ملاءمة الكلام للمقام الذي تكون فيه، وللأفراد المخاطبين به.

الإطناب والإيجاز (مقتضى)، وإيراد الكلام على صورة الإطناب، أو الإيجاز (مطابقة لمقتضى الحال).¹

ولا تنحصر البلاغة في إيجاد المعاني الجميلة، أو الجليّة، ولا في اختيار الألفاظ الواضحة الجليّة، بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمرًا ثالثًا؛ ألا وهو عملية إيجاد الأساليب المناسبة للتأليف بين المعاني والألفاظ ممّا يكسبها قوّةً وجمالاً.² (*)

أمّا بلاغة المتكلم: فهي ملكةٌ في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف الكلام البليغ المطابق لمقتضى الحال، مع فصاحته في أيّ معنى قصد هذا المتكلم، وتلك غايةٌ لا يدركها إلاّ من أحاط بأساليب العرب، وعرف سنة تخاطبهم في منافراتهم، ومفاخراتهم، ومدحهم، وهجائهم، وشكرهم، واعتذراتهم، ليلبس لكلّ حالة لبوسها.³

المطلب الثاني: أركانها. إنّ البلاغة علمٌ له قواعده وأصوله، وفنٌّ له أدواته ووسائله، كأيّ علمٍ من العلوم، أو أيّ فنٍّ من الفنون؛ فهي تنقسم إلى ثلاثة أركان هي:

2 - 1 - علم المعاني: وهو علم يُعرف به اللفظ العربي؛ والذي يطابق به مقتضى الحال مع وفائه بالعرض البلاغيّ، وهو ما يفهم ضمناً من السياق، وما يحيط به من القرائن، أو هو علمٌ يبحث في الجملة التي تأتي معبرةً عن المعنى المقصود. والأحوال التي يطابق بها اللفظ العربيّ مقتضى الحال أحياناً تكون أحوالاً لمفرد، وأحياناً أخرى تكون أحوالاً لجملة؛ وأحوال اللفظ العربيّ التي يطابق بها مقتضى الحال هي: الحذف، الذكر، التعريف، التّكثير، التّقديم، التّأخير، الفصل، الوصل، المساواة، الإيجاز...⁴

¹ - السيّد، أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 41. - بتصرّف -

² - نفسه، ص: 41، 42.

(*) من البلاغة أن يكون الحال مطابقاً لعقول المخاطبين من الناس، ومعتبراً لطبقاتهم الاجتماعيّة، وقوتهم في البيان والمنطق، فكلام العامّة منهم لا يصلح لخواصهم من سراة القوم والأمراء والمتّقين؛ لأنّ لهم فنّ آخر لا يسدّ مسدّه غيره، ممّا جعل مراتب البلاغة متفاوتةً بين الناس، وهذا بقدر اختلاف وتفاوت الاعتبارات والمقتضيات، ولكلّ مقامٍ مقالٌ كما يقال.

³ - نفسه، ص: 42.

⁴ - الخطيب القزويني: التّليخيص في علوم البلاغة، ص: 4. - بتصرّف -

ويتألف علم المعاني من كثير من المباحث، من أهمها: الخبر والإنشاء، أحوال الإسناد الإخباري أحوال متعلقات الفعل، القصر، الفصل والوصل، المساواة والإيجاز والإطناب... إلخ.

2 - 2 - علم البيان: والبيان (*) علم يبحث في الطرق المختلفة للتعبير عن المعنى الواحد، ويتألف من كثير من المباحث؛ ومنها ما يلي:

- التصريح
- المداراة.
- التشبيه
- المجاز والمجاز المرسل.
- الاستعارة.
- الكناية... إلخ.¹

ولا يتسع هذا المقام لذكر كل هذه المباحث بالتفصيل الكامل، أو شرحها الشرح التام.

2 - 3 - البديع: وهو علم يبحث في طرق تحسين الكلام، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، وسمي كذلك لأنه لم يكن معروفاً قبل وضعه. وأول من دَوّن قواعد البديع، ووضع أصوله؛ هو عبد الله بن المعتز - أحد الشعراء المطبوعين والبلغاء الموصوفين - في العهد العباسي.²

فالملاحظ من هذا أن ابن المعتز قام بجمع ما استقصاه من المحسنات البديعية في كتاب أسماه (البديع)؛ وذكر فيه سبعة عشر (17) نوعاً منها، وقال: "ما جمع قبلي أحد فنون البديع، ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن فله اختياره. ثم ألف قدامة بن جعفر معاصره كتاباً أسماه (نقد قدامة)."⁽³⁾

ومن أهم أساليب علم البديع: الجناس، الطباق، السجع، المقابلة، التورية... إلخ

(*) والبيان لغة، يعني الظهور والوضوح؛ حيث نقول: بان الشيء، يبين إذا ظهر. واصطلاحاً كما تقدم؛ فهو علم يعرف بواسطته إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية... إلخ، يُنظر الإيضاح للخطيب للقزويني، ص: 5 - بتصرف -

1 - نفسه، ص: 5.

2 - نفسه، ص: 5. - بتصرف -

3 - نفسه، ص: 5. - بتصرف -

وكان قدامة بن جعفر قد أولى اهتمامًا ملحوظًا بالبديع؛ فزاد فيه (9) أنواع جديدة عن ابن المعتز، كما اعتمد أبو هلال العسكري على ما أتى به ابن المعتز وقدامة بن جعفر من فنون البديع، وأضاف إليها؛ حيث بلغت عنده (37) سبعًا وثلاثين نوعًا، ثم ابن رشيق القيرواني الذي زاد على من تقدّموه (9) تسعة أنواع لم يرد ذكرها عندهم.¹

وأخذت فنون البديع تنمو وتتكاثر على تعاقب الأجيال وعلى مرّ العصور حتى بلغت عند الشاعر صفيّ الدين الحلّي (145) مائة وخمسة وأربعين مُحسنًا بديعيًا.²

وبهذه الوتيرة كانت فنون البديع تتكاثر بسرعة ملحوظة من عهد إلى آخر بمرور الأيام والشهور والسّنون.

المبحث الثاني: مفهوم الأسلوبية.

1: ماهية الأسلوب.

أولاً: لدى العرب.

1 - 1 - التّعريف اللّغويّ لكلمة أسلوب:

تعدّ كلمة (أسلوب) في اللّغة العربيّة مجازًا مأخوذًا من معنى الطّريق الممتدّ، أو السّطر من النّخيل؛ ففي لسان العرب لابن منظور؛ يقال للسّطر من النّخيل: أسلوبٌ، وكلّ طريق ممتدّ فهو أسلوبٌ.

والأسلوب: هو الطّريق والوجه والمذهب، ويقال أنتم في أسلوب سوءٍ، ويجمع على (أساليب)، والأسلوب بالضمّ، أي: (الفنّ)؛ حيث يقال: "أخذ فلانٌ في أساليب من القول"، أي: أفانين منه. وإنّ أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبرًا. " و في هذا يقول أحد الشعراء:

أنوفهم بالفخر في أسلوبٍ وشعرُ الأستاهِ بالجُبُوبِ.³ (*)

¹ - عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربيّة- بيروت- لبنان، د ط، د ت، ص: 75. - بتصرّف-

² - نفسه، ص: 76.

³ - ابن منظور، محمّد بن مكرم بن عليّ جمال الدّين، (أبو الفضل) : لسان العرب، تح: عبد الله عليّ الكبير، ومحمّد أحمد حسب الله، وهاشم محمّد الشاذليّ، دار المعارف - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، د ط، د ت، ص: 2058.

(*) الجُبُوبُ: أي وجه الأرض.

وقد جاء في التاج للزبيدي في مادة (سلب) قوله: "سلب الشيء، يسلبه سلباً، اختلسه إياه، ومن المجاز سلبه فؤاده وعقله، وناقته وامرأة سالب، وسلوب، ومسلب إذا مات ولدها قبل، أو ألقته لغير تمام، وظيفية سالب وسلوب، أي سلبت ولدها، ومن المجاز: شجرة سليب، أي: سلبت أوراقها وأغصانها، وعن الأزهري: "شجرة سلب، إذا تناثر ورقها، والنخل سلب، أي: لا حمل عليها."، والأسلوب السطر من النخيل والطريق يأخذ فيه، وكل طريق ممتد؛ فهو أسلوب، والأسلوب هو الوجه والمذهب، ويقال: "هم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، وسلك أسلوبه، أي: سلك طريقته، وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز: الأسلوب، الشموخ في الأنف."¹

ومن هذا التعريف اللغوي لكلمة (أسلوب)، يمكن أن نستنتج أمرين؛ وهما:

أ - البعد المادي: وهو الذي يمكن أن نراه في تحديد مفهوم الكلمة، وهذا من حيث ارتباطها في مدلولها بمعنى الطريق الممتد، أو السطر من النخيل، ومن حيث ارتباطها بالنواحي الشكلية أحياناً، مثل: عدم الالتفات لا إلى اليمين ولا إلى اليسار.

ب- البعد الفني: وهو الذي يتمثل في ربط الكلمة بأساليب القول وفنونه - كما أشار ابن منظور - في مصنفه لسان العرب.²

1-2- المفهوم الاصطلاحي للأسلوب: على الرغم من كثرة من تحدت من العرب في قضايا النقد والبلاغة؛ غير أننا لا نكاد نجد كلمة أسلوب كمصطلح، وإن ورد لديهم بمعناه العام؛ أي: الطريق والمنهج والمسلك، وأكثر ما راودت فكرة الأسلوب وجوه الأداء الكلامي عند المفسرين والبلاغيين والنقاد منذ القرن الثالث الهجري؛ حيث استأثر موضوع الإعجاز القرآني باهتمامهم البالغ، ولهذا نجدهم قد انصرفوا إلى تحديد وجوهه وتجلياته في القرآن الكريم؛ وهذا لأن الإعجاز القرآني يتصل بالجانب البياني من البلاغة العربية. وقد لاحظ ابن قتيبة الدينوري (276) هـ أن دراسة الأساليب الكلامية في لغة العرب ضرورة ملحة لفهم أسلوب القرآن الكريم؛ حيث لفت النظر إلى أهمية دراسة تلك الأساليب على اعتبارها أداة لفهم فكرة الإعجاز القرآني الذي ينطوي عليه أسلوب القرآن الكريم لوحده؛ حيث

¹ الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس في جواهر القاموس، تح: عبد الحليم الطحاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب- الكويت - دون ط، تاريخ الطباعة: 1498 هـ / 1984 م، ص: 71، مج: 3.

² محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة ناشرون - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 1، تاريخ الطباعة: 1994 م، ص: 10. - بتصرف -

يقول: "وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتساع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتهم دون جميع اللغات، وإنه ليس في الأمم أمة أوتيت من البيان واتساع المجال ما أوتيته العرب."¹

وإذاً فهناك ضرورة كبيرة وملحة لفهم أسلوب القرآن الكريم وتتم العملية هذه عن طريق فهم اللغة العربية وما تضمنته من أسرار، ودراسة تلك الأساليب؛ والتي تعتبر كأداة لفهم الإعجاز القرآني؛ وهذا لأن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تظل معجزة لن يستطيع كائن من كان أن يأتي بمثل ألفاظها وبيانها وذلك باختصار شديد لكونه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وقدم الشيخ عبد القاهر الجرجاني، (ت، و: 471 هـ) تصوّرًا دقيقًا لمفهوم الأسلوب في كتابه دلائل الإعجاز؛ حيث قال: "واعلم أنّ الاحتذاء عند الشعراء، وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه؛ هو أن يبتدئ الشاعر في معنى له، وغرض وأسلوب، والأسلوب هو الضرب من النظم، والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره."² فماذا يعني الاحتذاء عند الشعراء، وأهل العلم بالشعر بأساليب الآخرين؟ هل يعني الذوبان فيها؟ أم الوعي بعملية التركيب اللغوي؟ وقيمتها؟ فمنهم من لا يعرفه إلا ذوو البصيرة النافذة؛ وقد أشار إلى أنّ مجالات الأسلوب في النظم لا تخرج عن تركيب الألفاظ في الأنساق بصورة يمكن تتبّع ترتيب المعاني في نفس المتكلم؛ حيث تتبّع لصلة النحو بالمعاني، حيث قال: "ما أظنّ بك أيها القارئ لكتابنا هذا إن كنت وقيته حق النظر، وتدبرته حق التدبر إلا أنّك علمت علمًا أبا أن يكون للشكّ فيه نصيب، وللتوقّف نحوك مذهب أن ليس النظم شيئًا إلا توخّي معاني النحو." ومن هنا نستنتج أنّ الشيخ عبد القاهر الجرجاني يركّز على أسلوب ترتيب الألفاظ، ورسّها قرب بعضها البعض، مع مراعاة معاني النحو في هذا التركيب اللغوي؛ وهو ما يسمّيه بالنظم.³

¹ - ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم: مشكل تأويل القرآن، تح: أحمد صقر، دار التراث - القاهرة - الطبعة رقم: 2، تاريخ الطباعة: 1393 هـ/1973 م، ص: 12.

² - الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة رقم: 3، تاريخ الطباعة: 1413 هـ/1992 م، ص: 468.

³ - نفسه، ص: 525.

وقد ربط الإمام جبار الله الزمخشري، (ت، و: 538 هـ) بين الأسلوب والطاقة التعبيرية الكامنة مشيراً إلى خاصية أسلوبية؛ وهي ما تسمى بمسألة الالتفات عند البلاغيين، وهو ما نلاحظه في تفسيره لسورة الفاتحة بهذه الشاكلة.¹

ويبدو أن الإمام جبار الله الزمخشري هو من الأعلام الذين يستندون إلى تحليل النصّ القرآني بالاعتماد على أساليب البلاغة العربية من ناحية والتراكيب النحوية من ناحية أخرى؛ ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **﴿1﴾** الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ **﴿2﴾** الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **﴿3﴾** مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ **﴿4﴾** إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ **﴿5﴾** اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ **﴿6﴾** صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ **﴿7﴾**. (فإن قلت): لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟ (قلت): هذا ما يسمّى بالالتفات في علم البيان.²

وإذا ففي الفاتحة التفاتٌ ظاهرٌ للعيان؛ حيث ينتقل النصّ القرآني من الثناء على الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (2)، إلى الدعاء في الآيات التي تليها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)؛ وهذا لتهيئة أذان السامعين وتطريتهم بهذا الانتقال البليغ إلى ما سيأتي بعد ذلك من آيات.

وفي آي القرآن الكريم كثير من الإشارات إلى أسلوب الالتفات؛ مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (22).³

ففي هذه الآيات القرآنية الكريمة نلاحظ وجود أسلوب الالتفات في الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التّكلم.

¹ - الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر جبار الله: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوال في التأويل، تح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 3، تاريخ الطباعة: 1407 هـ / 1987 م، ص: 14، مج: 1.

² - الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر، ومراجعة: شعبان محمد إسماعيل، دار المصحف، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الجزء: (01)، الطبعة: (02)، تاريخ الطباعة: 1393 هـ / 1977 م، ص: 15 - بتصرف -

³ - يونس: 22.

وفي مثل قوله تعالى أيضاً: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَلِكَ النُّشُورُ (9) مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۗ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۗ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)﴾.¹

ونلاحظ أسلوب الالتفات في هذه الآية القرآنية الكريمة من سورة فاطر الاعمال الجليلة التي يقوم بها ربنا تبارك وتعالى في إرسال الرياح المحملة بالغيث على الذين يبتغون العزة في غير الله، ثم يعود الخطاب الرباني إلى صعود الكلم الطيب إليه جلّ وعلا، ليعود إلى تبشير ماكري السيئات بالعذاب الشديد.

فهي إذاً إشاراتٌ إلى هذا الأسلوب البلاغي الذي يعطي القارئ أو السامع اهتماماً بالغاً بما يجري من أحداثٍ عظيمة، وفي الآية القرآنية الكريمة من سورة يونس إشاراتٌ إلى أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وأخيراً إلى الغيبة ثم إلى الخطاب الرباني في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۗ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)﴾، [يونس: 23].

وكما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)﴾، [النصر: 1، 2، 3]؛ والتي ينتقل فيه الخطاب الرباني من من الله لعباده بالنصر إلى دخول الناس في الإسلام إلى طلب التسبيح والحمد والاستغفار من طرف الرسول ﷺ والمسلمين.

وهناك مواضع كثيرة من هذا النوع من الأسلوب في القرآن الكريم؛ والذي ينتقل فيه الحديث من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر باستعمال بعض الضمائر المنفصلة أو المتصلة؛ مثل قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا (2)﴾، [الإسراء: 1، 2].

ومن هنا نلاحظ في هاتين الآيتين الانتقال من ذكر حادثة الإسراء بالفعل الماضي (أسرى) بعبده محمد ﷺ إلى المسجد الأقصى إلى الفعل المضارع (لنريه) بلام التأكيد من

¹ - فاطر: 9، 10.

آياته تبارك وتعالى إلى وصف الذات العلية بضمير الشأن (الهاء)؛ وهو الضمير العائد على الذات العلية في جملة اسمية منسوخة؛ وهذا في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. [الإسراء: 01] ، ثم إلى الفعل الماضي (أتينا) بنون التعظيم، والكتاب؛ أي: (التوراة)، إلى وصية بني إسرائيل ألا يتخذوا من دون الله وكليلاً باستعمال الفعل المضارع (يتخذوا) كوصية لهم إلى الوصول إلى الطريق المستقيم. وهناك المزيد من الأماكن التي تطرقت لهذا النوع من الأساليب البلاغية الهامة في كثير من السور القرآنية الكريمة، كما في الكلام عند العرب منذ القديم، ولسنا بحاجة ماسة لذكر المزيد منها، وإنما ذكرناها على سبيل المثال ليس إلا.

وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات؛ في قوله:

تطاول ليلك بالأتمد	ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة	كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاني	وخبرته عن أبي الأسود ¹

وذلك على عادة العرب في تصرفهم في الكلام، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد.²

وقد سعى السكاكي (626) م إلى الرّبط بين الأسلوب والخاصية التعبيرية، وراح يؤكد على أنّ الالتفات خاصية أساسية في الأداء الفنيّ الأسلوبيّ؛ وفي هذا يقول: "واعلم أنّ هذا النوع؛ أي: نقل الكلام من الحكاية إلى الغيبة... يسمّى التفاتاً عند علماء المعاني، والعرب يستكثر منه، وهم يرون أنّ الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب دخل في القبول عند السامع، وأحسن تطريةً لنشاطه، وأملاً باستدرار إصغائه، وهم أحرى بذلك. أوليس قرى الأضياف سجيّتهم؟ ونحر العشار للضيف هو دأبهم؟ أفتراهم يحسنون قرى الأشباح، ولا يحسنون قرى الأرواح؟ فلا يخالفون بين أسلوب وأسلوب، وإيراد وإيراد، وإنّ الكلام المفيد عند الإنسان أشهى غذاء لروحه، وأطيب قرى لها."³

¹ - الزّمخشري: تفسير الكشاف، ص: 15.

² - نفسه، ص: 15. - بتصرف -

³ - السكاكي، يوسف بن محمّد (أبو يعقوب): مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 1، تاريخ الطّبعة: 1420 هـ / 2000 م، ص: 296. - بتصرف -

ونجد عبد الرحمن بن خلدون (732) م قد سعى إلى التفريق بين أسلوب الشعر والنثر؛ وفي هذا يقول: "واعلم أنّ لكلّ واحدٍ من هذه الفنون أساليب تختصّ بها عند أهله، ولا تصلح للفنّ الآخر..."

وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يديّ هذه الأغراض، فصار هذا المنثور من باب الشعر وفنّه، ولم يفترقا إلا في الوزن واستمرّ المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية.¹ (*)

وهنا نجد العلامة ابن خلدون قد سعى للتفريق بين الأسلوب المستعمل في قول الشعر وكتابة النثر؛ لأنّ أسلوب الشعر هو: (ذلك الكلام الموزون المنظم المقفى) ولا شكّ في أنّه يختلف كثيراً عن أسلوب النثر، وإن كان بعض الكتاب المتأخرين التجأوا إلى استعمال قواعد الشعر كالأسجاع وتقديم النسيب والتزام التقفية في الكلام المنثور، ومع ذلك فالشعر يبقى يحتلّ مكانته المرموقة بين الأجناس الأدبية الأخرى، ولن يستطيع أيّ منها أن ينافسه فيها.

كما نجده يتناول الأسلوب في فصل صناعة الشعر، وما ينبغي توافره من ملكة لغوية لصناعته، يقول: "ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربيّ على الإطلاق، بل يحتاج بخصوصه إلى تلطفٍ ومحاولةٍ في رعاية الأساليب التي اختصّته العرب بها، واستعملتها فيه، ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصنعة، وما يريدون في إطلاقهم، فاعلم أنّها عبارة عندهم عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي وظيفته الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب والذي هو من وظيفة البلاغة والبيان، وإنّما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كليّة باعتبار انطباقها على تركيب خاصّ.

¹ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، تح: الأستاذ خليل شحادة، وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط 1، تاريخ الطباعة: 1421 هـ / 2001 م، ص: 782.

(*) يبدو من هذا التعريف أنّ ابن خلدون كان يسعى إلى وجوب التفريق بين أسلوب النثر وأسلوب الشعر؛ وهذا لأنّه لكلّ مقام مقال، وأعطى لذلك مثلاً حياً من استعمال الأسجاع والتقفية وتقديم النسيب في المخاطبات السلطانية؛ وهو ما لا يناسب جلالة السلاطين والملوك؛ فالشيء المحمود في مثل هذه المراسلات الترسّل وإطلاق الكلام من غير تسجيع.

وإذاً فصناعة الشعر حسب رأيه تحتاج إلى تَلَطُّفٍ، وإلى رعايةٍ للأساليب التي اختصَّ بها العرب أنفسهم واستعملوها في قوله ونظمه على مدار الدهر وفق الصورة الذهنية المنتظمة والمنظمة لتراكيبه اللغوية.

وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، وبصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان...¹ (*) وقد وجد حازم القرطاجني، (ت، و: 684 هـ) مجالاً خصباً في تحديد مفهوم الأسلوب بعد تأثره بالفكر الأرسطي اليوناني، ونظرية النظم التي جاء بها الشيخ عبد القاهر الجرجاني؛ ولذلك نجده يقول: "ولما كانت الأغراض الشعرية يوقع في آنٍ واحدٍ منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد، ومسائل منها تفتى كجهة وصف المحبوب، وجهة وصف الطلوع، وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات، والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفية الاطراد في المعاني صورةً وهيئةً تسمى الأسلوب... فالأسلوب هيئة تحصل عن التأليف المعنوية والنظم هيئة تحصل عن التأليف اللفظية."²

والخلاصة من هذا كله أننا انتقلنا من ضرورة دراسة الأساليب الكلامية في لغة العرب عند ابن قتيبة الدينوري لفهم أسلوب القرآن الكريم في القرن الرابع الهجري، إلى وجوب الاهتمام بالنظم مع مراعاة وتوخي معاني النحو لدى الشيخ عبد القاهر الجرجاني في نهاية القرن الخامس الهجري، إلى محاولة الربط بين الأسلوب والطاقة التعبيرية الكامنة في نفوس الأفراد، لينتهي بنا الأمر إلى الوصول إلى الالتفات كخاصية أسلوبية جديدة في تفسير القرآن الكريم لدى الإمام جار الله الزمخشري في الربع الثاني من القرن السادس الهجري... إلى ما ينبغي توافره من ملكة تعبيرية في قول النثر أو الشعر لدى العلامة عبد الرحمن بن خلدون، وإلى

1 - ابن خلدون: المقدمة، ص: 786.

(*) يبدو من هذا التعريف الذي يتبناه ابن خلدون فيما يخص الأسلوب أنه يربط بينه وبين الملكة اللغوية؛ وهي تلك القدرة الكامنة في نفس الفرد، والتي تمكنه من التعبير عما يريد في أي مناسبة من المناسبات المختلفة، وهو إلى ذلك يشبه العملية بالمنوال الذي تتسج فيه التراكيب اللغوية المختلفة، أو القالب الذي يفرغ فيه الشاعر أو الناثر ما يريد قوله، والكلام عنده يرجع إلى الصورة الذهنية للتراكيب اللغوية المنتظمة، وهي الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب، وبصيرها في خياله كالقالب أو المنوال لينتهي بها إلى الأسلوب الذي يريد إخراجها إلى الوجود.

2 - أبو الحسن، حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان، د ط، د ت، ص: 36.

المنوال الذي ينسج فيه الكلام، والقالب الذي يفرغ فيه في الربع الثاني من القرن الثامن الهجري، إلى الطريقة التي تكون عليها الكتابة في أيامنا هذه.

ثانياً:

أ - لدى الغرب. إن أصل كلمة (أسلوب) تعود لدى الباحثين الفرنسيين إلى كلمة (Style) باللغة الفرنسية، وهي التي تعود أصلاً إلى الكلمة اللاتينية (Stilius)؛ والتي تعني إزميلاً معدنياً كان القدماء يستعملونه للرسم على ألواح مشمعة.¹

وتطوّرت دلالتها بعد ذلك عبر القرون من كيفية التنفيذ في القرن الرابع عشر الميلاديّ (14 م إلى كيفية (التعارك أو التصرف) خلال القرن الخامس عشر الميلاديّ، إلى (كيفية التعبير) في القرن السادس عشر الميلاديّ (16) لتخلّص إلى الدلالة على كيفية معالجة موضوع ما في نطاق الفنون الجميلة خلال القرن السابع عشر الميلاديّ (17 م).²

وكان نوفاليس من الأوائل الذين استخدموا مصطلح الأسلوب في حقل الكتابة، على أنّ عامّة الباحثين الغربيين نادراً ما كانوا يعتدّون بمثل هذه الاستخدامات المتقدّمة في سياق هيمنة العصر البلاغيّ القديم.³

ويبدو من خلال ما ذكر ما ذكر من هذا كلّه فإنّ مصطلح أسلوب شهد تطوّراتٍ كثيرةً عبر الأجيال إلى أن وصل استعماله في حقل الكتابة لدى الباحثين الغربيين.

ويرى بيار جيرو بأنّ: "كلمة أسلوب إذا رُدّت إلى تعريفها الأصليّ؛ فهي تعني طريقة التعبير عن الفكر بواسطة اللّغة."⁴

والخلاصة التي يمكن أن نصل إليها، أو نستنتجها من هذه التعريفات السابقة أنّ الدارسين لمصطلح الأسلوب في بلاد الغرب لم يصلوا إلى تحديد الصيغة الدقيقة له عبر الأزمنة

¹ - عليّ جواد الطاهر: مقدّمة في النّقد الأدبيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر - بيروت - لبنان ، دون طبعة، تاريخ الطّباعة: 1979 م، ص: 306. - بتصرف -

² - يوسف وغليسي: محاضرات في النّقد الأدبيّ المعاصر، منشورات جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر، دون طبعة، تاريخ الطّباعة: 2005 م، ص: 50 .

³ - نفسه، ص: 50 . - بتصرف -

⁴ - بيار جيرو: الأسلوبية، تر: منذر عياش، دار الحاسوب - حلب - سوريا، الطّبعة رقم: 2، تاريخ الطّباعة: 1994 م، ص: 06.

المتواليّة؛ فمنهم من كان يرى بأنّه طريقة الكتابة اليدويّة، مثل طريقة كتابة المخطوطات القديمة، ثمّ طريقة التّعبيّرات اللّغويّة والأدبيّة، ومنهم من كان يرى أنّه طريقة التّعبير عن الفكر بواسطة اللّغة وآخرون يرون أنّه صفة الأصالة الفرديّة لذات المؤلّف في الخطاب، وقد تعتبر طريقة المعيشة التي يحيا بها الأشخاص مثل: الكذب على النّاس لدى البعض منهم ومرواغتهم، وخلف المواعيد معهم أسلوبًا معيّنًا في الحياة، وإن كان في نظر الشّرع والقانون والعرف شيئًا مذمومًا لا يليق بالفرد أن ينتهجه؛ لأنّه ليس الأفضل من الاستقامة في هذه الحياة.

وأخيرًا استقرّت الدّلالة الاصطلاحية للأسلوب في حقل الكتابة على كفيّة الكتابة عامّة من جهة، وعلى منجهيّة أخرى على كفيّة الكتابة الخاصّة بكاتب ما، أو جنس أدبيّ ما، أو عهد ما، وعلى طريقة التّعبير عن الفكر بهذه الكتابة عن طريق استعمال فنيّات اللّغة، والمهمّ أنّ مصطلح الأسلوب فعلاً استقرّ على الطّريقة التي يكتب بها الكاتب أو الأديب أو المؤلّف... كتاباته، وهي من المؤكّد تختلف من شخصٍ إلى آخر؛ فرجل القانون مثلاً نجده يستعمل في كتاباته ومراسلاته الألفاظ ذات الطّابع القانوني، والمؤرّخ هو الآخر يستعمل ألفاظاً تمتّ بالطّبع بكلّ الصّلة إلى التّاريخ والآثار القديمة، في حين نجد الأديب يستعمل بالطّبع عباراتٍ رنانةً ممّا يحقّق بها شيئًا كثيرًا من الشّعريّة والجماليّة في إبداعاته الأدبيّة والفنيّة، وإنّ اختلاف من مبدعٍ إلى آخر كلّ حسب استعداداته القبليّة ومكتسباته اللّغويّة وثروته الأدبيّة، وإنّ استعمال الأسلوب في الميدان الأدبيّ كانت دلالاته على ما هو ظاهريّ في النّص الأدبيّ من لغة بما فيها من مفرداتٍ وتركيباتٍ لغويّة،

ومن بلاغة كالتّشبيه والاستعارة والكناية ومن عروضٍ وتقنيّة وإيقاع... الخ.

2- اتّجاهات الأسلوب: تعدّدت اجتهادات النّقاد في التّعريف الاصطلاحيّ للأسلوب، لكنّهم

يضعونها في ثلاثة اتّجاهاتٍ؛ وهي:

أ - تعريفات تصلّ الأسلوب بالمرسل: أي (الكاتب أو المبدع)، وأشهرها تعريف (دي بوفون) على ما يضمّر من مجازيّة في قوله: (الأسلوب هو الرّجل).؛ أي: أنّه من صنع الإنسان نفسه حيث تكشف خواص كتابته به عن كثيرٍ من ملامح الطّابع الشّخصيّ للكاتب.¹

¹ - رحمن غركان: الأسلوبية بوصفها مناهج (الرؤية والمنهج والتّطبيقات)، الدّار العربيّة للعلوم (ناشرون) - بيروت - لبنان، الطّبعة رقم: 01، تاريخ الطّباعة: 1435 هـ / 2014 م، ص: 26. - بتصرّف -

ب - تعريفات تصل الأسلوب بالنص فقط: أي: أن القراءة الأسلوبية تقوم بخصوصية النسيج الصياغي والأداء الفني اختياراً في التعبير، وتوزيعاً في لغة هذا النسيج، واتساعاً كاشفاً عبر التكرار عن شيء من قصديّة إبلاغيّة تعبّر عن أسلوبية النصّ المائزة عن خصائص يفصح عنها النصّ لوحده.

ج- تعريفات تصل الأسلوب بالمتلقي: قد يكون المتلقي قارئاً نموذجياً قادراً على كشف الخواص الأسلوبية واستشراف أسلوب الكاتب أيضاً، وبالتالي نجد أنّ المتلقي يكون شبه منتج ثانٍ للنصّ عبر فاعلية القراءة الأسلوبية النافذة.¹

2 - 1 - مفهوم الأسلوبية:

2 - 1 - 1 - تمهيد: كانت المناهج النقدية القديمة تركز في عملية نقدها للإبداعات الأدبية على السياقات الخارجية والظروف المحيطة بها، مثل: (المنهج التاريخي، المنهج الاجتماعي، المنهج النفسي... وتعدّ الأسلوبية من المناهج النقدية التي قامت على دراسة النصّ من داخله مهملةً لسياقاته الخارجية والظروف المحيطة به، مثل حياة الكاتب وظروفه الاجتماعية... إلخ

2 - 1 - 2 - ماهية الأسلوبية ونشأتها: نظراً لاتساع ورحابة الميادين التي أصبح مصطلح الأسلوبية يطلق عليها صار من الصعب تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً، غير أنّ بعضهم عزّفها كما جاء في مصنف الأسلوبية الروية والتطبيق ليوسف أبي العدوس؛ على أنّها: "فرعٌ من اللسانيات الحديثة يخصّص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية، أو الاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدّثون والكتاب في السياقات الأدبية."²

وبهذا انتقلت عملية تحليل النصوص والإبداعات الأدبية من السياق إلى دراسته من الداخل فقط. وإذا ما جئنا إلى جذرها اللغوي؛ فهي تنقسم بالتالي إلى طرفين، وهما:

1- السابق، ص: 27. - بتصريف -

2- أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية، (الرؤية والتطبيق)، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع - عمان - المملكة الهاشمية الأردنية، الطبعة رقم: 1، تاريخ الطباعة: 1427 هـ / 2007 م، ص: 35.

(أسلوب)، ولحقته (بِة)، و: (الأسلوب)؛ هو ذو مدلول ذاتي إنساني، وأما لاحقته (بِة)، فتختصُّ بالبعد العقلي الموضوعي، وبذلك تعرّف بأنها البحث في الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب.¹

وإذا ما قمنا بتتبع تاريخ الأسلوب والأسلوبية، فإننا بالتالي نجد أن الأسلوب هو أسبق إلى الظهور، وأوسع من الناحية الدلالية والمعنوية؛ حيث أنه قد واكب العصر البلاغي لفترة طويلة من الزمن، دون أن يتعارض معه.

وكثيراً ما كان الأسلوب باختلاف أشكاله (بسيطاً كان، أم متوسطاً، أم سامياً؟) يقف من البلاغة موقف المساعد على تطبيق القواعد المعيارية على الإبداعات الأدبية منذ القديم سواءً أكان ذلك لدى العرب أم غير العرب من الحضارات القديمة كالحضارة الإغريقية؛ ومن المؤكد أن المصطلح الذي كان يستعمل في حقل الدراسات البلاغية منذ عهد القرون الوسطى؛ هو مصطلح (الأسلوب)، ولم يظهر المصطلح الثاني؛ أي: مصطلح (الأسلوبية) إلا مع بدايات القرن العشرين الميلادي، ومع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة التي قرّرت أن تتخذ من الأسلوب علماً يدرس لذاته.²

وإذاً فإن المصطلح الذي كان مستعملاً قبل بزوغ فجر الدراسات اللغوية الحديثة هو مصطلح الأسلوب لا الأسلوبية؛ وهذا في ظل العصر البلاغي القديم. وبعدها استقرت الدلالة الاصطلاحية للأسلوب في حقل الكتابة على كيفية الكتابة من جهة، ومن جهة أخرى كيفية الكتابة الخاصة بكتاب معين، أو جنس ما.³

ويعدّ شارل بالي: (1865 م/1947 م) هو المؤسس الأوي لعلم الأسلوب معتمداً في ذلك على دراسات أستاذه فرديناند دو سو سيير - مؤسس علم اللغة الحديث - لكنّ بالي تجاوز ما قال به أستاذه؛ وهذا من خلال تركيزه الجوهري على العناصر الوجدانية للغة، وهو ما تلقّفه عالم الأسلوب الألماني (Seidler)؛ والذي نفى أن يكون الجانب العقلاني في اللغة يحمل بين

¹ - المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص: 34. - بتصرف -

² - أحمد درويش: الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الأول: أكتوبر، تاريخ الإصدار:

1984 م، ص: 61. - بتصرف -

³ - يوسف وغيلسي: محاضرات في النقد الأدبي المعاصر، ص: 50.

ثناياه أي بعد أسلوبِيّ، وإنما ركّز على الجانب التّأثيرِيّ والعاطفيّ في اللّغة، جاعلاً ذلك يشكّل جوهر الأسلوب ومحتواه.¹

وإنّ التفات شارل بالي إلى ظاهرة الشّحن العاطفيّ والوجدانيّ في اللّغة يشكّل مظهرًا بارزًا من مظاهر انفتاح الدّراسة الأسلوبية على الجانب التّأثيرِيّ؛ هذا الجانب الذي لا يمكن الاستغناء عنه، ولاسيّما إذا ما فهم الأدب على أنّه تعميق وتجزير للجانب الإنسانيّ؛ إذ الإنسان هو مركز العمل الأدبيّ ومحوره.²

وبهذا فشارل بالي كان هو السّباق إلى إيجاد علم الأسلوب الحديث، وإن كان قد اعتمد على الدّراسات السّابقة لأستاذه السّويسري الأصل فرديناند دو سيسير عن طريق تركيزه على العناصر الوجدانية للّغة؛ ذلك أنّ التفاتة إلى ظاهرة الشّحن العاطفيّ الوجدانيّ لهذه اللّغة يمثّل مظهرًا بارزًا من مظاهر انفتاح الدّراسة الأسلوبية على الجانب التّأثيرِيّ على الإنسان الذي هو مصدر كلّ الإبداعات الأدبية والفنية.

وقد أُلّف في ذلك مجموعة من الكتب؛ هي: المجلد في الأسلوبية في: 1905 م، واللّغة والحياة في: 1910 م، واللّسانيّات العامّة واللّسانيّات الفرنسيّة في: 1932 م، وفي الأسلوبية الفرنسيّة: 1952 م.³

ومن هذا نلاحظ أنّ شارل بالي - تلميذ فرديناد دي سوسير - يكون قد اهتدى إلى علم الأسلوب الذي يقوم أصلاً على دراسة أنساق النّص الأدبيّ؛ أي دراسته من أعماقه دون النّظر إلى سياقاته الخارجيّة، غير أنّه ركّز على وقائع التّعبير اللّغويّ من حيث المضمون الوجدانيّ، وظهرت أفكاره في الدّراسات الأسلوبية فيما قاله: "تدرس الأسلوبية وقائع التّعبير اللّغويّ من ناحية مضامينها الوجدانية؛ أي: أنّها تدرس تعبير الوقائع للحساسة المعبر عنها لغويًا، كما تدرس فعل الوقائع اللّغوية على الحساسة".

¹ - موسى ربابعة: الأسلوبية (مقاييسها وتجليّاتها)، دار الكنديّ للنشر والتّوزيع - عمّان - الأردن، الطّبعة رقم: 1،

تاريخ الطّباعة: 2003 م، ص: 9.

² - نفسه، ص: 10 - بتصرّف -

³ - نفسه، ص: 10 - بتصرّف -

ولمّا لم تستثمر أسلوبية (بالي) الخطاب الأدبي بشكل عامّ، فإنّ أتباعه وكذا المشتغلين بعلم الأسلوب سرعان ما قاموا بعزل الأسلوبية عن الخطاب الإخباري الصّرف وقصروها في الخطاب الفنّي، وبهذا أعادوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله.¹

وتطوّرت النظرة إلى علم الأسلوب، وخاصّة تلك الدّراسات التي قدّمها ليوشبترز: 1887 م / 1920 م؛ والذي اعتمد على الكشف عن ملامح لغوية تشكّل ظاهرة أسلوبية، ومن أهمّ المرتكزات التي بنى عليها أسلوبيته؛ وهي:

أ- إنّ النّقد يجب أن ينطلق من العمل الأدبيّ نفسه.

ب- إنّ الأسلوبية يجب أن تكون نقدًا قائمًا على التعاطف مع العمل وأطرافه الأخرى.

ج- إنّ التّحليل الأسلوبيّ يجب أن يقوم على تحليل أحد ملامح اللّغة في النصّ الأدبيّ.

د - إنّ عمليّة الدّخول إلى الأثر الأدبيّ تكون من خلال الحدس القائم على الموهبة والدّربة والتّجربة.

هـ - . وإنّ السّمة الأسلوبية المميّزة تكون عبارة عن تفرّغ أسلوبيّ فرديّ، أو طريقة خاصّة في الكلام تنزاح عن الكلام العاديّ، وإنّ كلّ انزياح عن القاعدة ضمن النّظام اللّغويّ يعكس انزياحًا في ميادين أخرى.²

وبهذا فإنّه يكون قد أولى اهتمامه على بعض المرتكزات التي تقوم عليها أسلوبيته؛ ومنها أنّ النّقد ينبغي أن ينطلق من الإبداع الأدبيّ نفسه، وأنّ السّمة الأسلوبية قد تنزاح عن الكلام العاديّ أحيانًا إلى غيره.

وعلى هذا نجد أسلوبية بالي قد قامت على دراسة الإبداعات الأدبية من الدّاخل؛ أي من النّسق دون النّظر إلى سياقاتها الخارجيّة، وعلى وجوب أن يقوم التّحليل الأسلوبيّ للنّصوص الأدبية على تحليل أحد ملامح اللّغة فيها، هذا الأخير الذي قد يؤدي إلى حدوث انزياحات عمّا جاء في هذه النّصوص الأدبية.

¹ - السابق، ص: 11. - بتصرّف-

² - نفسه، ص: 11، 12 - بتصرّف.-

وبمرور الأيام والأوقات بدأ الاهتمام بالدراسات الأسلوبية يتزايد شيئاً فشيئاً مهتدياً إلى المعطيات العلمية الألسنية، ومتقاطعاً مع حدودٍ علميةٍ أخرى كالبلاغة وفقه اللغة (الفيلولوجيا)، والنقد الأدبي وعلم العلامات...

والخلاصة أن المنهج الأسلوبي، أو ما يسمّى بالأسلوبية (Stylistique)، هو علم الأسلوب؛ أو تطبيق علم المعرفة الألسنية في دراسة الأسلوب؛ والذي هو اصطلاح لغويّ مستحدث، يطلق على مثقبٍ معدنيّ يستخدم في الكتابة على الألواح المشمعة (المدهونة)، ثم تطوّرت دلالاتها عبر القرون من الدلالة على كيفية التنفيذ في القرن الرابع عشر الميلاديّ إلى كيفية التّعارك، أو التصرّف في القرن الخامس عشر الميلاديّ، إلى كيفية التّعبير في القرن السادس عشر لتنتهي إلى الدلالة على كيفية معالجة موضوعٍ ما في نطاق الفنون الجميلة خلال القرن السابع عشر الميلاديّ (17 م).¹

وفي 1950 م كسبت الأسلوبية شرعيتها بعد أن انعقدت ندوة عالمية بجامعة أنديانا بأمريكا؛ والتي حضرها كثيرٌ من علماء اللغة ونقاد الأدب، وكان محور هذه الندوة (الدراسات الأسلوبية)، وقد شارك فيها العالم الروسي (رومان جاكبسون)، وبذلك تدخل معه الدراسات الأسلوبية مجالاً يقوم على سلامة العلاقة بين علم اللغة والأدب.²

وراح بعضُ النقاد المناوئين لأفكار (بالي) يعملون على تقويض ما جاء به، إلى أن انعقدت ندوة عالمية بجامعة أنديانا بأمريكا عن (الدراسات الأسلوبية)، حضرها كثيرٌ من علماء اللغة والنقاد، فاكتملت الأسلوبية شرعيتها منذ عام: (1960 م)؛ حيث ألقى فيها العالم الروسي رومان جاكبسون محاضراته حول الألسنية والإنشائية.

وقد ظهرت - بعد بالي - طائفة من الأسلوبيين الذين شقوا لأنفسهم طرقاً واتجاهاتٍ في هذا العلم الجديد، فإذا البحث الأسلوبي أصبح اتجاهاتٍ كثيرة.³

¹ يوسف وغليسي: محاضرات في النقد الأدبي المعاصر، منشورات: جامعة منتوري - قسنطينة - تاريخ الطباعة: 2004 م، د ط، ص: 50.

² موسى رابعة: الأسلوبية / مقاييسها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية، ص: 12 - بتصرّف -

³ يوسف وغليسي: محاضرات في النقد الأدبي المعاصر، ص: 50.

وبهذا تكون الأسلوبية قد اتخذت لنفسها أساليباً وتطبيقات كثيرة؛ يقول كلّ قائل فيها بقوله.

وقد تناول نقاد الأسلوبية كلّ حسب ما يراه نتيجة اختلاف المنطلقات التي انطلق منها كلّ باحث في دراسته، فالأسلوبية عند شارل بالي (المؤسس الحقيقي لها)؛ هي: "جملة من الصيغ اللسانية التي تقوم بإثراء النصّ الأدبيّ وتكثيفه، وتكشف عن طبيعة منشئه، وطبيعة تأثيره على المتلقّي." ¹

ونجد أنّ المتكلم، أو الكاتب يستخدم اللغة استخداماً يقوم على الانتقاء والاختيار ليركب جملة وفقرات نصّه بالطريقة التي يراها مناسبةً لذلك، وقد ركّزت كثيرٌ من الدراسات التي قامت حول هذا الغرض؛ أي: حول الأسلوب على الفروق الواضحة والجليّة بين علم اللغة وعلم الأسلوب؛ ومن أهمّ الفروق:

- أنّ الدراسات اللسانية تعني أساساً بالتّظهير إلى اللغة كشكلٍ من أشكال الحدوث المفترضة.
- وأنّ اللسانيات تعني باللغة من حيث هي مدركٌ مجردٌ تمثله قوانينها.
- وأنّ الأسلوبية تتّجه إلى المحدث فعلاً.
- ومن هنا يتّضح ما للأسلوب وما لعلم اللغة لما ذكر من هذه الفروق.
- وأنّ الأسلوبية تعني باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقّي كأداءٍ مباشرٍ.²

ومن هنا فالأسلوبية تركّز على عملية الإبلاغ والإفهام، بالإضافة إلى انتقالها الأساسيّ والجوهريّ للتأثير في نفس المتلقّي؛ وذلك من خلال ميل الكاتب أو المبدع إلى أن يجعل كلامه مبنياً ومؤلفاً بطريقة يلفت بها انتباه المتلقّي لما يريده؛ وفي هذا يجب الإشارة إلى أنّ الأسلوبية كمنهج يركّز كغيره من المناهج النقديّة التي يقوم على دراسة النصّ من الدّاخل لا من السّياق قد اشارت إلى دور المتلقّي؛ ذلك لما يكون لهذا الطّرف في ديمومة العمليّة الإبداعية ولذلك فالأسلوبية تسعى لدراسة الكلام على أنّه نشاطٌ ذاتيٌّ في استعمال اللغة. وتقوم الأسلوبية في

¹ - حسن ناظم: البنى الأسلوبية (دراسة في أنشودة المطر ل: بدر شاكر السياب)، المركز الثقافي العربي - بيروت

- لبنان، الطبعة رقم: 1، تاريخ الطّباعة: 2002 م، ص: 32. - بتصرّف -

² - موسى رابعة: الأسلوبية (مفاهيمها وتجليّاتها)، دار الكندي للنشر والتّوزيع - عمّان - المملكة الأردنيّة

الهاشميّة، الطبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 2003 م، ص: 9.

منطلقها المعرفي من مبدأ أساسي؛ يرى أنّ اللّغة تعطي الأديب مجموعةً من الاحتمالات اللّغوية والأساليب التعبيرية للتعبير عن الموضوع الواحد، ولذا فالأديب ينتقي واحداً من هذه الأساليب قصد التعبير والإبلاغ لخلق تأثير ما في ذات المتلقي؛ وهي المادّة التي تشغل عليها الأسلوبية محاولةً منها لجرّ معظم الاحتمالات الأسلوبية للغة.¹

والملاحظ إذاً أنّ الأسلوبية عرفت تطورها في ظلّ الدّراسات اللّغوية الحديثة؛ والتي جاء بها العالم السويسريّ فرديناد دي سوسير منذ مطلع القرن العشرين، وهي التي شهدت كتاباتٍ كثيرةً حاولت شرح وتقديم الأسس التي تقوم عليها الأسلوبية أو ما تعرف بعلم الأسلوب، ورغم أنّ الأسلوبية أصبحت اليوم في خبير كان مقارنةً بالدّراسات المعاصرة لما بعد الحداثة؛ والتي اكتسحت السّاحة النقديّة المعاصرة، وكذا ما يخاض في مجال النقد الثقافيّ من قضايا عديدة اجتماعية أو ثقافية... غير أنّ الاستئناف في الدّراسة الأسلوبية لا يعدّ شيئاً ممنوعاً، ولا حراماً من محاولة إيجاد الشيء أو بعثه بعد غيابه مدّة عن هذه السّاحة.

وأما بالنّسبة للنّقاد العرب، فعبد السّلام المسديّ يرى بأنّها: "علمٌ لسانيّ يعنى بدراسة مجالات التّصرّف في حدود القواعد البنيويّة لانتظام جهاز اللّغة."² (*)

ويرى النّاقّد العربيّ صلاح فضل بأنّ الأسلوبية هي: "الوريث الشّرعيّ للبلاغة العجوز التي أدركها سنّ اليأس، وحكم عليها تطوّر الفنون والآداب الحديثة بالعقم."³

¹ - محمّد بلوحي: الخطاب النقديّ المعاصر من السّيق إلى النّسق (الأسس والآليات)، دار الغرب للنّشر والتّوزيع - وهران - د ط، تاريخ الطّباعة: 2001 م، ص: 101. - بتصرّف -

² - المسديّ، عبد السّلام: الأسلوبية والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب - تونس - ط: 3، تاريخ الطّباعة: 1982 م، ص: 56.

(*) يعدّ النّاقّد التّونسيّ عبد السّلام المسديّ هو أوّل ناقدٍ قام بنقل هذا المصطلح النقديّ إلى السّاحة النقديّة العربيّة.

³ - يوسف وغليسي: مناهج النّقد الأدبيّ، دار جسور - المحمّديّة - الجزائر، الطّبعة رقم: 2، تاريخ الطّباعة: 2009 م، ص: 56.

ويرى الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض: "أنّ الأسلوبية على الرّغم من أنّها مجرد فرع من فروع اللّسانيّات، إلّا أنّها قامت على أنقاض البلاغة بفروعها الثلاث: (البيان، البديع، المعاني).¹

ويرى نور الدين السّد أنّ الأسلوبية: "هي الوجه الجماليّ للأسنوية؛ فهي تبحث في الخصائص التعبيرية والشّعريّة التي يؤسّسها الخطاب الأدبيّ الذي يرتدي طابعاً علمياً تقريرياً، في وصفها للوقائع وتصنيفها بشكلٍ موضوعيٍّ ومنهجيٍّ".²

وما يمكن أن نستخلصه إذاً من كلّ هذه التعريفات السابقة أنّ الأسلوبية؛ هي علمٌ لسانيّ انبثق عن البنيوية، وهو الوريثُ الشرعيّ للبلاغة القديمة التي ربّما قد أصبحت لا تتماشى مع تطوّر الخطاب الأدبيّ والعمل النقديّ المعاصر، وتقوم بدراسة الخطاب الأدبيّ من عدّة مستوياتٍ مختلفةٍ كالمستوى المعجميّ والصوتيّ والتركيبيّ والصرفيّ... الخ؛ وبهذا فنحن ننتقل من علمٍ يعنى بدراسة مجالات التصرّف في حدود القواعد البنيوية لدى الناقد عبد السلام المسديّ، إلى عجز الدرس البلاغيّ القديم الذي أدركته الشيوخوخة وغزا الشيب مفرقيه لدى الناقد صلاح فضل إلى أنّه مجرد فرع من فروع اللّسانيّات التي قامت على أنقاض البلاغة القديمة، إلى الوجه الجماليّ للأسنوية لدى نور الدين السّد، والذي يبحث في الخصائص التعبيرية والشّعريّة التي يؤسّسها هذا الخطاب الأدبيّ.

ويمكن أن نقول في الأخير: "بأنّ الأسلوبية علمٌ يدرس اللّغة ضمن نظام الخطاب الأدبيّ، وهي أيضاً علمٌ يدرس هذا الخطاب موزّعاً على هوية الأجناس الأدبية، ولذا فموضوعاته متعدّدة المستويات، مختلفة المشارب والاهتمامات، ومتنوّعة الأهداف والاتّجاهات".³ (*)

1- عبد المالك مرتاض، التّحليل السيميائيّ في الخطاب الشعريّ، دار الكتاب العربيّ - الجزائر - طبعة رقم: 1، تاريخ الطّباعة: 2001 م، ص: 11.

2- نور الدين السّد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هرمة - الجزائر - الطّبعة رقم: 1، الجزء: 1، تاريخ الطّباعة: 1997 م، ص: 16. - بتصرّف -

3- منذر عيّايش: مقالات في الأسلوبية، منشورات اتّحاد كتّاب العرب، دون طبعة، تاريخ الطّباعة: 1990 م، ص: 29. - بتصرّف -

(*) يبدو من خلال ما تقدّم أنّ الأسلوبية؛ هي أسلوبية متعدّدة المستويات، مختلفة المشارب، وهي بهذا أسلوبيات ذات تطبيقات مختلفة.

2 - 1 - 3- اتجاهات الأسلوبية: إن الأسلوبية هي مجموعة أسلوبيات؛ و لعلّ السبب في هذا الأمر يعود إلى تعدّد الرّؤى لدى النّقّاد؛ و بهذا يمكن أن نتطرّق إلى ما يلي:

أ - الأسلوبية التعبيرية الوصفية: وتهتمّ بالوقوف على القيم التعبيرية والمتغيّرات الأسلوبية بغية الكشف عن الطّاقات التعبيرية الكامنة في اللّغة، ورائدها؛ هو شارل بالي، وقد اتّسمت جلّ اهتمامات الأسلوبية التعبيرية بتلك السمّات العاطفية في الخطاب الأدبيّ، بغضّ النظر عن كون هذا الخطاب عادياً كان أم أدبياً؟ وبذلك ظلّت أسلوبية لغّة وليست أسلوبية أدب.¹

وظلّت أسلوبية شارل بالي تعبيرية بحتة؛ حيث أنّها كانت لا تعنى إلاّ بالاتّصال بالمألوف والعفويّ، مستبعدة كلّ اهتمامٍ جماليّ أو أدبيّ؛ وبهذا فهي لم تستطع أن تصمد طويلاً.²

وإنّ الأسلوبية التعبيرية كانت تهدف إلى دراسة القيم التعبيرية اللّغوية الكامنة في الكلام، وهي تختلف عن الدّرس البلاغيّ القديم في كون أنّها لا تقف عند الأنماط التقليديّة المتعارف عليها قديماً؛ بل تمتدّ إلى الكلام في مقولة لا متناهية على نحوٍ خاصّ أمام الكلام المنطوق لتلاحظ العلاقة القائمة بين المحتوى الوجدانيّ (المضمون العاطفيّ)، والتركيّب الذي جاء عليه الكلام.

وإذا ما كنّا في موقف الاشتقاق تنتج عبارة مثل: (يا للمسكين!)، فإنّ هناك علاقةً أسلوبيةً يمكن أن تقوم من خلال التّحليل بين الشّفقة والتّعجب والإيجاز، وكذلك يمكن اكتشاف المحتوى الوجدانيّ للتّصغير من عبارة: (يا بنيّ) من خلال الإشارة إلى الرّقّة أو الضّعف.³

ومن الملاحظ إذاً أنّ الأسلوبية التي جاء بها شارل بالي هي أسلوبية تعبيرية أصبحت تعمل على دراسة القيم اللّغوية الكامنة في الكلام، ولا تقف عند الأنماط القديمة التي كان

¹ - موسى ربابعة: الأسلوبية (مفاهيمها وتجلياتها)، ص: 11. - بتصرّف -

² - محمّد بن يحيى: السمّات الأسلوبية في الخطاب الشعريّ، عالم الكتاب الحديث - عمّان - المملكة الهاشميّة الأردنيّة، الطّبعة رقم: 1، تاريخ الطّباعة: 2011 م، ص: 15. - بتصرّف -

³ - محمّد كريم كزار: علم الأسلوب (مفاهيم وتطبيقات)، منشورات جامعة السّابع من أبريل - طرابلس - ليبيا، الطّبعة رقم: 1، تاريخ الطّباعة: 2005 م، ص: 98. - بتصرّف -

الدّرس البلاغيّ القديم يقوم ويعتمد عليها في دراسته للظواهر الأدبية المختلفة شعراً كانت أم نثرًا؟

ب - الأسلوبية الأدبية: وتهتم بدراسة لغة أديبٍ واحدٍ من خلال إنتاجه متبَعَةً في دراسة اللغة مجموعةً من الآليات عن طريق الاعتناء بظروف الكاتب ونفسيّته، ومن روادها: ليو سبيتزر.¹

وقد ظهرت عناية المنهج الأسلوبيّ بالنصّ الأدبيّ بعد أن عنيت الأسلوبية التعبيرية بالكلام المحكيّ واللغة المنطوقة؛ إذ التفتت إلى أسلوب الكاتب والنزعة الذاتية التي يضمورها، وقرأت النصّ الأدبيّ في الأسلوب الذي عدته انزياحًا عن المألوف من الأنماط اللغوية.

وقد استمدت الأسلوبية الأدبية عنوانها من عنايتها بالأعمال الأدبية، وكشفها عما تنطوي عليه من أساليب متفردة، والأسلوبية الأدبية، هي منهجٌ يعنى بالنصّ انطلاقًا من مكوناته، وليس من مبادئ مسبقة، فالنصّ كلّ متكاملٌ، وروح المؤلف فيه هي النسيج الذي يمده بالحياة؛ ومن ثمة فإن غاية الناقد على ضوء هذا المنهج تنصبّ على المحور الأدبيّ للنصّ، أو ما يسمّى بأدبية النصّ، والتي نطلّ من خلالها على تفاصيله، وفي كلّ جزئيةٍ من تلك التفاصيل نحتمي بما يدلّ على شيءٍ من الخصوصية الأسلوبية المميّزة لأديبٍ ما، وفي الأعمال الأدبية تكون اللغة هي المنطلق باعتبارها ماء هذا النصّ؛ وهو ما أشار إليه الناقد العراقيّ رحمان غركان في مصنفه الأسلوبية بوصفها مناهج.

وقد ظهرت الأسلوبية الأدبية إثر عناية النّقد الأسلوبيّ بالنصّ الأدبيّ واللغة الأدبية؛ حيث التفتت إلى أسلوب الكاتب والنزعة الذاتية التي يضمورها، أي صلة الأسلوب بالفرد من دون تغييب لتوجّه الفرد للجماعة.²

وقد اتخذت الأسلوبية الأدبية تسمياتٍ مختلفةً فيما بعد، نذكر أهمّها فيما يلي:

¹ - رحمن غركان: الأسلوبية بوصفها مناهج (الرؤية والمنهج والتطبيقات)، الدار العربية للعلوم، ناشرون - لبنان -

الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1435 هج/ 2014 م، ص: 87.

² - نفسه، ص: 87. - بتصرف -

- الأسلوبية النقدية، أو الجديدة: وإنما رغب بعض أعلام الأسلوبية الأدبية في إطلاق تسمية الأسلوبية النقدية على الأسلوبية الأدبية، حينما ذهب تلك الأخيرة بعيداً في تأمل الخطاب الأدبي ووظائفه وعلله وأسبابه كقراءاتٍ نقديةٍ واصفةٍ غير معيارية.¹

وقد قامت هذه المدرسة على مبادئ ليو سبيتزر في الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة الناقد الإسباني دماسو ألونسو الذي استطاع سنة: 1940 م أن يعثر على الصيغة الملائمة التي تتوج جهود الدراسات السابقة.²

وخلص إلى أن الأسلوب هو العلم المنوط به شرح النظام التعبيري للأعمال الأدبية؛ حيث عرض وجهة نظره حول الأسلوبية في عدة مؤتمراتٍ دوليةٍ أقيمت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يرى بأن: " الأسلوبية النقدية يمكن أن تطبق على الأعمال الأدبية المعاصرة والقديمة معاً الأمر الذي يقتضي إعادة بناء العناصر المكونة للعمل الأدبي من الداخل لا من الخارج، حتى ترقى لاستشراف القيمة الجمالية له".³

وتمثل الأعمال الأدبية المبدعة خلوداً وإشراقاً، وهي تشكل حواراً أزلياً بين مبدعها وقارئها، وهي تقوم على القواعد التالية:

أ - القارئ: وتختلف درجة القراء من شخصٍ إلى آخر، وآخر مرتبةً منهم القارئ العادي.

ب- الناقد: ويعد الناقد في هذه العملية قارئاً استثنائياً؛ وهذا لكونه يتمتع بقدره استثنائيةٍ كبيرةٍ وحدوسٍ صافيةٍ وعميقةٍ، وهو الشخص القادر على التعبير بطريقةٍ سريعةٍ، كما أنه بإمكانه أن يقوم بهذا العمل الأدبي الذي يعتبر فيه رأيه دليلاً لدى القارئ.

¹ - السابق، ص: 87. - بتصريف -

² - محمد شكري عياد: مبادئ في علم الأسلوب، مكتبة مبارك العامة - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة رقم: 2، تاريخ الطباعة: 1413 هـ / 1992 م، ص: 74.

³ - نفسه، ص: 74. - بتصريف -

ج- المحلل الأسلوبي: وهو ذاك الشخص الذي يعتبر العمل الأدبي عالماً منغلَقاً على ذاته؛ فيعمل على تحليله بالحدس والدراسة العلمية التي تتم من خلال جمع العناصر المتفكّقة، أو المتشابهة بعضها ببعض.¹

الأسلوبية التكوينية: وهو مصطلح أطلق على الأسلوبية الأدبية بتأثير من رأي ليو سبيترز في أن: "أفضل وثيقة عن روح الأمة هي أدبها؛ وبما أن الأدب ليس إلا لغته، ولا يمكن فهم روح الأمة إلا عن طريق لغة الأعمال الأدبية المرموقة."²

وبعني هذا الأمر اجتهاد الناقد الأسلوبي في استشراف مكونات الأسلوب الأدبي لهذا الأدبي أو ذاك في ثقافة أمته التي تكشف عنها التجارب الأدبية الرفيعة من وجه، وتعبير أسلوب الكاتب عن أسلوب عصره ونهج أمته من وجه آخر؛ ممّا يجعل من مثلث (الكاتب، العصر، الأمة) أشبه بدورة الأساليب في حياة الكتابة الإبداعية في أدب هذا الكاتب أو ذاك، ولا سيما وأن الوعي الفردي ظاهرة موجّهة ثقافياً وشبه محددة تاريخياً.³

- الأسلوبية التفسيرية: وهي عبارة عن توجه الأسلوبية الأدبية إلى قراءة الأعمال الأدبية بما يكشف عن بناها الداخلية من (عناصر ومسوغات وموجهات) كشفاً يضمن تفسير المكونات الخارجية التي يلوّح بها النص الأدبي.⁴

- الأسلوبية التشخيصية: وهي أسلوبية أدبية حينما تستهدف الوصول إلى تحديد الاتجاه النفسي الكامن وراء الشكل اللغوي، ومن ثم فإن الشكل اللغوي هو بمنزلة (أعراض) لشيء أعمق يتحكم فيه؛ وهو (الشكل الداخلي)، أو الروح، أي: روح المؤلف، وروح العصر، وروح الأمة؛ وهو المنحى الذي سيطر على التحليلات الأولية للناقد ليو سبيترز.⁵

¹ - رزيق بوعلام: الخصائص الأسلوبية في نونية أبي البقاء الرندي، رسالة ماجستير، إشراف: محمد زهار، جامعة محمد بوضياف - المسيلة - الموسم الجامعي: 2010 م / 2011 م، ص: 28.

² - رحمن غركان: الأسلوبية بوصفها مناهج، ص: 88. - بتصرف -

³ - نفسه، ص: 88. - بتصرف -

⁴ - نفسه، ص: 98. - بتصرف -

⁵ - نفسه، ص: 98. - بتصرف -

- الأسلوبية الفيلولوجية: وتتعلق الأسلوبية الفيلولوجية من كون اللغة تفسيراً فنياً أدبياً خلافاً صادراً عن الذات؛ حينما يقوم الناقد الأسلوبي بتأمل المتن اللغوي ببصيرة دلالية حتى تتبدى له سمة أسلوبية معينة في ذلك المتن، ليجتهد في تأويلها اجتهاداً موصولاً بنفسية المؤلف، وذلك أنّ اللغة هي تبديات خارجية تصلح دليلاً وهدايا للكشف عن داخل النص الأدبي الفني.¹ (*)

والأسلوبية الفيلولوجية هي طريقة في الأسلوبية الأدبية؛ والتي قام (ليو سبيتر) بتطويرها بما صار معروفاً بـ: (الدائرة الفيلولوجية) التي توجه بها إلى النقد الأسلوبي.² ومصطلح الفيلولوجيا لدى (ليو سبيتر) يعني الثقافة التي صدر عنها النص الأدبي. وهنا فهو ليس مرادفاً لفقه اللغة كما كان شائعاً سابقاً، فالأسلوبية الفيلولوجية عنده تقوم على ثمان مرتكزات؛ وهي:

- النقد الأدبي محايتٌ للأثر الأدبي أو ملازم له.
- كلّ أثر أدبي هو وحدة كلية أو وحدة كاملة وفي المركز منه، ويمثّل فكر مبدعه أساس تلاحمه الداخلي أو جذره الروحي.
- ينبغي لكلّ جزئية أن تتيح لنا الولوج إلى مركز العمل الأدبي بما يعدّ رؤية القراءة ويبسطها على التفاصيل التي من خلالها نستدلّ على ما يصلنا بمركز ذلك العمل.
- ونتوغّل في الأثر الأدبي بفعل الحدس، بما يجعلنا نصل من المحيط إلى مركز العمل؛ وهو إجراء خاضعٌ للتحقيق بالملاحظات والاستنتاجات من خلال حركة (ذهاب وإياب) من المركز إلى المحيط، والحدس الأوّل هو مفتاح الدخول للطريق إلى روح العمل أو أسلوب الكاتب أو العصر أو المرحلة.

¹ - السابق، ص: 90 . - بتصرّف -

(*) ويقول ليو سبيتر في هذا المضمّار: (مما يجب أن يطالب به الدارس النّقد من السّطح إلى المركز - مركز الحياة الباطنية للعمل الفني؛ وذلك بأن يبدأ بملاحظة التفاصيل عن المظهر السّطحيّ للعمل الأدبيّ الذي يتناوله، ثمّ يقوم بجمع تلك التفاصيل محاولاً أن يتكامل في مظهر إبداعيّ لعله كان موجوداً في نفسية الفنّان، ثمّ يعود إلى سائر المجموع من الملاحظات ليرى إن كان الشكّل الباطنيّ الذي كونه بصورة أوليّة قادراً على تفسير الكلّ. ينظر: شكري عياد، اتّجاهات البحث الأسلوبيّ، دار العلوم - الرياض - المملكة العربيّة السّعوديّة، د ط، تاريخ الطّباعة: 1985م، ص: 110، 111.

² - نفسه، ص: 91. - بتصرّف -

- يدمج الأثر في المجموع ما أن يعاد بناؤه، وثمة مخرج مشترك لجميع الآثار في عصرٍ واحدٍ أو بلدٍ معيّن، وإنّ روح الكاتب تعكس روح أمته.

وهنا نجد ليو سبيتزر كان يصل بين اللغة وتاريخ الأدب، ولا سيما أنّ الملمح اللغويّ الذي كان يرصده يمثّل انحرافاً أسلوبياً فردياً لا يأخذ بالمألوف.

- تكون الدّراسة أسلوبية حين تتخذ من إحدى سمات اللغة في الخطاب الأدبيّ منطلقاً لها.

- والسمة المميّزة هي انحراف أسلوبيّ فرديّ، أو تفرّغ أسلوبيّ مائز.

- ويلزم الأسلوبية أن تكون نقدًا متعاطفًا، وهي تفترض كمال العمل، وتخضع لنوع من إرادة التعاطف معه.¹

- **الأسلوبية الظاهرية:** وهو مصطلح أطلق على الأسلوبية الأدبية بسبب تركيزها على فكرة (الحدس) مدخلًا أوليًا لرصد السمة الأسلوبية في العمل الأدبيّ أو الفنيّ حسب ما ذهب إليه (ليو سبيتزر) متأثرًا بظاهرة (هوسرل) التي تقول بأنّ (الخبرة الحدسية) هي نقطة البداية لتحليل الظاهرة الأدبية.²

- **الأسلوبية الذاتية:** وهو مصطلح أطلق على الأسلوبية الأدبية بسبب من وصفها من لدن ليو سبيتزر بأنها (فيلولوجيا حدسية)، أو حسب رأي ريفانير فإنّ سبيتزر يستنتج نفسية المؤلف اعتماداً على إحدى التفصيلات، ويجعل هذا الاستنتاج فرضاً يختبره بفحص تفصيلات أخرى لافتة في النصّ نفسه ليقوم استنتاجه على أول إثارة تستدعي انتباهه، وعلى تفسيره لها، ويعتمد هذا التفسير على فرضية أنّه ثمة علاقة بين سمة ما في الحديث وبين حالة نفسية ما، وبهذا يكون لدينا نقطة انطلاقٍ منفردةٍ بنى عليها بناءً يستوعب الوقائع في مجموعها، وهو باب مفتوحٌ للذاتية.³

¹ - رحمن غركان: الأسلوبية بوصفها مناهج، ص: 93، 94. - بتصرف -

² - نفسه، ص: 91. - بتصرف -

³ - نفسه، ص: 91. - بتصرف -

ج - الأسلوبية الوظيفية: وتهتم بدراسة وظائف اللغة ونظريات التواصل، ومن روادها: رومان جاكسون.¹

ومن خصائصها:

- أنها تعمل على تقديم قراءة شاملة متكاملة للنص الأدبي، وتحلله تحليلاً وافياً.

- تهتم بالبنية السطحية والعميقة لهذا النص.

- تبدي اهتماماً بالغاً بالجانب الدلالي للكلمات، وتبين أثرها وعلاقتها السياقية في تكوين البنية الشكلية للنص الأدبي.² (*)

د - الأسلوبية البنيوية: وفي منظورها أن النص بنية خاصة أو جهاز لغوي، يستمد فيه الخطاب قيمة الأسلوبية منه، ومن روادها: ريفاتير وجاكسون.³

فهذه جوانب من الأسلوبية الأدبية مما يؤكد أن الأسلوبية أسلوبيات مختلفة وكثيرة، وبالتالي فهناك تطبيقات أسلوبية كثيرة ومتعددة.

هـ - الأسلوبية الصوتية: وتتعلق أساساً من فكرة أن مادة الأدب هي الأصوات والألفاظ، وعليه فإن أي تحليل جمالي للأدب لا يتحقق إلا من خلالها؛ أي عن طريق تحليل القلب الصوتي لهذا العمل الأدبي.⁴

ويعدّ موضوع دراسة الأسلوبية الصوتية هو الوحدات الصوتية والسياس الصوتي في النص الأدبي، وتفسير العلامات التي تؤدي إلى معانٍ وإبحاءات تساعد على نقل الفكرة.⁵

و- الأسلوبية الإحصائية: إن البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير

1- محمد كريم كزار: علم الأسلوب (مفاهيم وتطبيقات)، ص: 102.

2- أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، ص: 137. - بتصرف -

(*) وبهذا فالناقد الأسلوبية يقوم بدراسة الجانب الدلالي، وهو يسعى إلى الكشف عن التفاعل بين الجانب الشكلي والدلالي للنص الأدبي.

3- محمد بلوحي: الخطاب النقدي المعاصر، من السياق إلى النسق (الأسس والآليات) دار الغرب للنشر والتوزيع - وهران - دون طبعة، تاريخ الطباعة: 2001 م، ص: 102.

4- محمد صالح الضالع: الأسلوبية الصوتية، دار غريب - القاهرة - جمهورية مصر العربية، د ط، تاريخ الطباعة: 2002 م، ص: 15.

5- نفسه، ص: 12، 13. - بتصرف -

الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينها، ويكاد ينفرد من بين هذه المعايير الموضوعية بقابليته لأن يستخدم في قياس الخصائص الأسلوبية كائنًا ما كان التعريف الذي يتبناه الباحث في الأسلوب.¹

وإن كثيرًا من الدراسات الأسلوبية وإن كانت تولي عنايةً كبيرةً للغة الأدب ترى أن الأسلوبية صفةً يمكن اسباغها على أي نص من نصوص اللغة؛ والتي إن نظرنا إلى السمات اللغوية، أو في أي لغة على أنها مجموعة من الثوابت والمتغيرات، وتعدّ السمات الثابتة القواعد العامة التي تشكل النظام الأساسي للغة؛ مثل: تركيب الجمل الاسمية والفعلية والمضاف والمضاف إليه والصفة والموصوف. أما المتغيرات فتمثل السمات التي يمكن للمنشئ أن يتعامل معها بقسطٍ أوفر من الحرية؛ ومن أبرزها المفردات.²

وتهتم الأسلوبية الإحصائية بإحصاء بعض الكلمات كالأسماء والأفعال والمصادر والأصوات، وتمثيلها برسوم هندسية وأشكال بيانية ثم تحديد بعض دلالاتها في النصّ الأدبي، وقد تميّزت الأسلوبية بعدة مميّزات؛ منها أنها:

- تؤكد على وجود موضوع في النصّ ما يمكن أن نستنتج أدبيته عبر نسيجه اللغوي.
- تقدّم للنقاد جهاز مفاهيم لتحليل النصّ، والحكم عليه.
- تهتمّ بالأثر الجمالي للنصّ الأدبي باعتباره لغةً شعريةً.
- تعتمد على دراسة مستويات التحليل الأسلوبي، كالمستوى الصوتي (الوزن، والتّبر والتّغميم... إلخ)، والمستوى الصرفيّ مثل: (دراسة الأفعال، وأزمنتها)، والمستوى التركيبيّ... إلخ.³

ويرى البعض من النقاد أنّ الأسلوبية أصبحت من القراءات شبه المهجورة منذ بداية الستينيات من القرن الماضي بسبب ظهور علم السيمياء، أو السيميولوجيا؛ غير أنّه ليس من المستحيل بمرور الزمن أن تعود إلى ما كانت عليه من قبل من ازدهار، إذا أخذ النقاد بيدها، وليس هذا الأمر بالصعب إذا ما عمل الباحثون بآلياتها والدارسون مرّةً أخرى في أبحاثهم.

¹ - سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار علاء للكتاب - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الثالثة: 1412 هـ / 1996 م، ص: 51 - بتصرف -

² - نفسه، ص: 54.

³ - محمّد بلّوحي: الخطاب النقديّ المعاصر من السياق إلى النسق (الأسس والآليات)، دار الغرب للنشر والتوزيع - وهران - الجزائر، تاريخ الطباعة: 2001 م، ص: 102. - بتصرف -

وإن كان الذي حدث للأسلوبية منذ 1965 م؛ حيث عوضت بالأُسْنِيَّة التَّأَلِيفِيَّة مع ميشال أريفي بسبب ظهور علم السِّيميائيَّا حيث أنَّ البحوث لم تصبح تمارس وفقًا لرؤيتها.

لكنَّ هذا لا يعني البتَّة أنَّ هذه القراءة لا تقبل عمليَّة الاستتفاف؛ فكثيرًا من الأمور قد تقبل الاستتفاف، والأسلوبية هي من هذه الأمور كذلك، وما تناولُ مثل هذه الموضوعات بآلياتها إلا دليلٌ قاطعٌ على ذلك؟

ومن أدواتها الإجرائية: الانزياح، الكلمات المفتاح، النِّظْم، إمكانات النَّحو، الإحصاء....إلخ.

الباب الأول

الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

الفصلُ الأولُ

الخطابةُ وأشكالها.

المبحث الأول: ماهية الخطابة وأهميتها.

المبحث الثاني: البناء الهيكلي للخطبة.

المبحث الثالث: شروط الخطيب وآدابه.

المبحث الرابع: أنواع الخطب وأشكالها.

المبحث الأول: مفهوم الخطابة وأهميتها.

المطلب الأول: مفهوم الخطابة.

1- الخطابة في الجانب اللغوي: جاء في لسان العرب لابن منظور، خطيبٌ حسنُ الخطبة، وجمعه خطباء، وخطبةٌ بضم الخاء (خُ) وخطابةٌ بفتح الخاء (خ)، أي: من فعل (خَطَبَ) ¹

ونقول: خَطَابَةٌ، (مفرد) خُطْبٌ، خُطْبٌ، وخطب على القوم، أو خطب في القوم، وخطب على القوم، أي: إذا ألقى قطعة من الكلام يتوجه بها إلى جمهور من الناس؛ فهو: (كلام يخاطب به المتكلم جمعاً من الناس). ²

ونقول: خطب الناس، أو خطب فيهم، أو عليهم: خطبةٌ، أي ألقى عليهم خطبةً. ³ (*) كما نقول: خطب الناس، أو في الناس، أو على الناس، خطابةً وخطبةً، أي ألقى عليهم خطبةً. ⁴

والخطابة في اللغة كالخطاب، وهي الكلام الموجه به نحو الغير للإفهام. وإذا فالخطابة هي من مادة (خطب خطبةً أو خطاباً) في الماضي، وفي الحاضر (يخطب) برفع الطاء، وليس بكسرهما حيث يتغير المعنى من إلقاء الخطاب على مسامع الحاضرين إلى طلب الزواج.

¹- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين (أبو الفضل): لسان العرب، المجلد الثاني، باب خطب، دار صادر - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 1، 1997 م، ص: 276 - بتصرف -

²- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، دار علا للكتب (للنشر والطبع والتوزيع) - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى: 1429 هـ / 2008 م. ص: 660 - بتصرف -

³- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، تاريخ الطباعة: 1426 هـ / 2004 م، ص: 242.

^(*) وجاء تعريفها في المعجم الوسيط أيضاً، بأنها: "الكلام المنثور الذي يخاطب به متكلم فصيحُ اللسان جمعاً من الناس لإقناعهم بما يقول." - بتصرف -

⁴- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، تاريخ الطباعة: 1315 هـ / 1994 م، د ط، ص: 202.

و في اللّغة أيضًا مصدرٌ كالخطابِ، هي: "توجيه الكلام نحو الغير بقصد الإفهام." ¹ ومما سبق يتضح أنّ مادة (خطب) تعني: أنّ الشّخص المتكلّم قد ألقى كلمة على القوم، أي على مسامعهم، أو في القوم؛ وذلك من أجل إفهامهم برغبة ما يريد أن يقوله لهم، كما أنّه يكون قد وجّه لهم كلامًا معيّنًا بقصد إفهامهم بما يريد مناهم.

2- المفهوم الاصطلاحي للخطابة: الخطابة في الاصطلاح، هي الكلام المنثور الذي يخاطب فيه المتكلّم الفصيح اللسان، أو الخطيبُ جمعًا من الناس قصد إقناعهم بأمر من الأمور. ²

وهي إذًا ما ينثر من الكلام على لسان أيّ خطيبٍ في زمنٍ معيّنٍ وفي مكانٍ ما من الأمكنة على جمعٍ من الحضور لإقناعهم بأمرٍ من الأمور.

وذهب البعض إلى إنّ الخطبة عند العرب هي: "الكلام المنثور المسجّع ونحوه"، والخطبة مثل: الرسالة التي لها أولٌ وآخر. وتعتبر الخطابة من أقدم الفنون الأدبية التي عرفها العرب، منذ أقدم العصور، وكان لها شأن عظيم عندهم على مرّ العصور.

والخطابة هي فنٌ يرتبط بالجمهير الشعبيّة، وهي تتطوّر في المواقف والظروف التي تثير مشاعر الناس وتلهب أحاسيسهم، وتكون هذه الظروف في حالة اليقظة القومية، وأثناء الثورات السياسيّة والاجتماعيّة والحركات التحريريّة التي تشهدها تلك الشعوب أحيانًا.

وبهذا فالخطابة هي فنٌ من الفنون النثريّة التي تقوم على المادّة الملقاة على مسامع الحاضرين لتبليغهم بأمر من الأمور، والخطابة فنٌ من فنون النثر الأدبيّ، وهي فنٌ لسانيّ يُلقى على جمهور السامعين، ولها مجالاتها التي لا يمكن لأيّ فنٍّ من الفنون الأدبية أن يستغني عنها بحكم طبيعتها التي تلازمها على مرّ العصور والأزمنة. ³

¹ - الشّيخ عليّ محفوظ: فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، دار النّصر للطباعة الإسلاميّة. شبرا. جمهوريّة مصر العربيّة، تاريخ الطباعة: 1984 م، ص: 13 - بتصرّف -

² - المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّوليّة - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، الطبعة الرابعة، د ت، ص: 242.

³ - عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلاميّة (أصولها، تعريفها، عناصرها). الأزاريطة - الإسكندريّة - ج، مصر العربيّة، تاريخ الطباعة: 2006 هـ / 1426 م، ص: 11 - بتصرّف -

ونخلص من هذا إلى أنّ الخطابة في الاصطلاح هي ذلك الكلام المنثور الذي يحاول فيه ذلك الشخص المتكلم؛ ذو اللسان الفصيح أن يخاطب جمهوراً معيناً من الناس قصد إفهامهم وإقناعهم بما يريد تحقيقه منهم، وهي ذلك الكلام الفني المسجّع؛ مثل الرسالة التي لها بدايةً ونهايةً، وهي من أقدم الفنون الثريّة التي ارتبطت بالجماهير الشعبيّة في الأسواق الأدبيّة، أو الأماكن العامّة، في عصر الجاهليّة، وكان له شأن عظيم بينهم إلى جانب الشعر الذي كان يعدّ ديوان العرب يسجلون فيهم مآثرهم ومفاخراتهم ومنازعاتهم...إلخ.

وكذلك هي مجموعة من القوانين التي تعتمد على الاقتناع الممكن بأيّ موضوع يراد تقديمه، وكذا الإقناع؛ والذي يعني حمل السامع على التسليم بصحّة المقول وصواب الفعل أو التّرك.¹ وهما نوعان:

- أ. برهانيّ: وغايته إذعان العقل لنتيجة مبنية على مقدّمات تثبت لها صحّتها.
- ب. خطابيّ: وغايته إذعان العقل بصحّة المقول وصواب الفعل أو التّرك، بأقيسة مؤلّفة من أقوالٍ مظنونة أخذ فيها بالاحتمال الزاجح، أو مقبولة صدرت ممّن يُعتقد صدقُه وسدادُ رأيه.²(*)

وقد عرّفها أرسطو (الفيلسوف اليونانيّ القديم) على: "أنّها القدرة على الكشف في أيّ حالٍ من الأحوال عن وسائل الإقناع الخاصّة بتلك الحال التي يستطيع الخطيب بها إقناع الحضور بالحقّ أو الباطل، فالخطابة كالمنطق تستعمل للبرهنة على التّقيض، وهي بالمنطق تنظّم مادة موضوعها، وتُعرض أدلّتها للتأثير في جمهور معيّن، ولا بدّ من الملاءمة بين العبارات والحجج وظروف الجمهور."³ (**)

¹ - الشّيخ عليّ محفوظ: فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، دار النّصر للطباعة الإسلاميّة. شبرا. مصر، تاريخ الطّباعة: 1984 م، ص: 13 - بتصرّف -

² - نفسه، ص: 13 - بتصرّف -

(*) أقيسة: وهي جمع قياس.

³ - حسين الحاج حسين: أدب العرب في الجاهليّة، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع - بيروت - الطّبعة رقم: 3، تاريخ الطّبع: 1417 هـ / 1997 م، ص: 257.

(**) وبهذه فالخطابة تسعى دوماً للوصول إلى إقناع المستمعين عن طريق ما يعرضه الخطيب من أدلّة وبراهين للتأثير فيهم بأيّ شكلٍ من الأشكال.

ويقول طه حسين: "إنّ الخطابة العربيّة فنّ إسلاميٌّ خالصٌ، ذلك أنّها ظاهرة اجتماعيّة ملائمة لنوع خاصّ من الحياة."¹

المطلب الثاني: أهميّة الخطابة. من المعلوم أنّ الخطبة تتكوّن من ثلاثة عناصر؛ وهي:
أ - الخطيب: وهو المرسل الذي يسعى لتبليغ رسالة معيّنة للمستمعين، أو القراء.
ب - موضوع الخطبة: وهو موضوع الرّسالة التي يريد الخطيب أن يبلغها للمتلقّين.
ج - المتلقّون: وهم الجماعة التي تستمع لما جاء في متن الخطبة، أو التي تقوم بقراءة ما جاء فيها.

ومن المعلوم أنّ الخطابة لعبت كفنّ نثريّ في الحياة الأدبيّة للشعوب دورًا هامًا منذ القديم إلى يومنا هذا؛ حيث أنّها لا تزال كذلك إلى جانب الشّعْر تقوم بدورٍ هامّ، وكذا في الحياة السياسيّة والاجتماعيّة... الخ.

ويمكن أن نلخص أهميّة الخطابة بشكل عام من القديم إلى يومنا هذا فيما يلي:

- استثمار الخطبة في تقديم النصيحة والإرشاد للمتلقّين من النّاس؛ أي لأقوامهم وذويهم على نحو ما أشيع عن مكانة فُسّ بن ساعدة الإيادي، وما برز من دوره بين النّاس آنذاك، وما انتشر من تميّزه بين أبناء الجاهليّة من واقع تفوّق حسّه الدينيّ عليهم، حيث كان يتوّقع أن يُبعث نبيّ ليصحّ معتقدات الجاهليّة الخاطئة، ومما جاء في خطبته المشهورة: "أيّها النّاس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ، ليلٌ داج، ونهارٌ ساجٌ، وسماء ذات أبراج، ونجومٌ تزهر، وبحارٌ تزخر، وجبالٌ مرساءة، وأرضٌ مدحاة، وأنهارٌ مُجرأة..."²، و يقال أنّ هذه الخطبة الهامّة قيلت في سوق عكاظ. (*)

¹ - عبد الرّحمن عبد الحميد: تاريخ الأدب في العصر الجاهليّ، دار الكتاب الحديث . القاهرة، الكويت، الجزائر، تاريخ الطّبِع: 1428 هـ / 2008 م، ص: 210. - بتصرّف -

² - مي يوسف خليف: تطوّر الأداء الخطابيّ بين عصر صدر الإسلام وبنو أميّة، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع - القاهرة - مصر، د ط، د ت، ص: 17. - بتصرّف -

(*) سوق عكاظ: وهي من الأسواق الأدبيّة؛ كانت توجد بين الطائف ومكّة المكرّمة، يتوافد إليها الشّعراء والخطباء، وكانت تضرب فيها قبة حمراء لإصدار الأحكام التّقديّة، وتنتشد فيها الأشعار كالتي كانت تقال أمام النّابغة الذّبّيانِيّ للحكم عليها. ينظر: بسيوني عبد الفتّاح فيود: قراءة في النّقد القديم، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، الطّبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1431 هـ / 2010 م، ص: 34. - بتصرّف -

- استخدام الخطبة في تبليغ الرسول ﷺ للرسالة السماوية لأهله وعشيرته حيث اجتمع بهم في جبل الصفا بمكة بعد نزول الآية الكريمة عليه: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾¹؛ حيث صعد الرسول ﷺ جبل الصفا، ثم نادى في الناس: "واصباحاه"، فلما اجتمعوا إليه قال: "لو أخبرتكم أن خيلاً تريد أن تخرج عليكم من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدّقي؟ قالوا: "نعم، ما جرّنا عليك كذباً"، فقال: "فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ".، فقال -عمّه- أبو لهب: "تبّاً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟"².

وهذا الموقف أدى إلى السبق في الدخول في الإسلام من طرف بعض أقربائه؛ مثل: عمّه حمزة بن عبد المطلب، ومنهم من تأخر إلى ما بعد غزوة بدر مثل: عمّه العباس بن عبد المطلب، ومنهم من ثارت ثائرتة ضدّ الرسول ﷺ حسداً وبغضاً؛ مثل عمّه: أبي لهب الذي قال له: "تبّاً لك لهذا جمعتنا". وفي هذا جاء الرد الإلهي عليه؛ حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْمَسَدٍ (5) ﴾³. (*)

- استثمار الخطبة في توضيح معالم الرسالة الإسلامية في حجة الوداع على صعيد عرفات بمكة المكرمة في العام العاشر للهجرة؛ حيث خاطب الرسول الكريم ﷺ من كان معه من الحجاج.

ومما جاء فيها ما يلي: " الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له،

¹- الشعراء، الآية: 214.

²- محمّد بن عبد الوهّاب: مختصر سيرة الرسول، تح: عبد الرزّاق المهديّ، دار الكتاب العربيّ - بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1424 هـ / 2004 م، ص: 54.

³- المسد، الآية: من: 1 إلى: 5.

(*) وهذه السورة هي من سور الإعجاز القرآنيّ الخالد؛ ذلك أنّها بشرت أبا لهب وامرأته بالنار وبئس القرار، ولو حدث وأسلم هو وامرأته أو تظاهر على الأقلّ كالمنافقين الذين كانوا يُظهرون الإسلام ويخفون الكفر لحدث ما حدث في الإسلام، ولكنّ علام الغيوب قالها كلمة؛ وهي لا رجعة فيها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير.¹

أما بعد؛ أيها الناس: "اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً."

أيها الناس: "إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنّكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإنّ كلّ رباً موضوع، ولكنّ لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون... الخ."²

- استنثار الخطبة في توضيح سياسة الحاكم بعد توليه مقاليد الحكم والسياسة؛ مثلما فعل أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- في أول خطبة له في سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة؛ ومما جاء فيها توضيح سياسته التي سوف يسير عليها مع رعيتة: "...إنّي وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حقّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطلٍ فسددوني... أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم..."³

- استعمال الخطبة في توضيح سياسة الحدة والصرامة والقوة، مثلما جاء في كثير من خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ومما جاء في قوله في إحدى خطبه: بعد أن صعد المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس، إنّي داعٍ فأمّنوا: اللهمّ إنّي غليظٌ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحقّ ابتغاء وجهك، والدّار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك، وأهل الدّعارة والتّفاق، من غير ظلمٍ منّي لهم، ولا اعتداء عليهم..."⁴

- استغلال الخطبة في توطيد أركان الملك في الكثير من الدّول؛ مثلما فعل الحجاج بن يوسف النّفقيّ في عهد الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان مع أهل الكوفة لمّا وليّ العراق؛ حيث صعد المنبر، وهو ملثّمٌ بعمامة حمراء، وقال: "عليّ بالنّاس" فحسبوه وأصحابه من

¹ سيّد عليّ أمير: روح الإسلام، تر: عمر الدّيراي، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى: 1961 م، والطّبعة الثّانية: 1975 م، ص: 131.

² البوطي، محمّد سعيد رمضان: فقه السيرة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة - رغاية - الجزائر، الطّبعة الثّامنة، تاريخ الطّباعة: 1988 م، ص: 439.

³ أحمد بن محمّد بن عبد ربّه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد التّرجيني، الجزء الرابع، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1404 هـ / 1983 م، ص: 150.

⁴ نفسه، ص: 156.

الخارج، فهموا به حتى إذا اجتمعوا في المسجد، فقام فكشف عن وجهه، وقال مخاطباً الحاضرين:

أنا ابن جلا وطلاءُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفونني
صليب العود من سلفي نزار كنصل السيِّف وضاح الجبين
فماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت الأربعين...¹

- وقد تعمل الخطابة على توضيح الأخلاق الحميدة في ثناياها؛ مثلما جاء عن الخليفة الأمويِّ عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - في خطته الأخيرة بخنصرة (*)؛ والتي فارق بعدها الحياة بأيام قليلة، حيث حمد الله وأثنى عليه، وصلى وسلّم على رسوله، ثم قال في الناس: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تُتركوا سدىً، وإنّ لكم ميعاداً يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كلَّ شيء، وحرّم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واعلموا أنّ الأمان غداً لمن خاف الله اليوم، وباع قليلاً بكثيرٍ، وفانثاً بباقي، ألا ترون أنّكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك، حتى تردوا إلى خير الوارثين، ثم أنتم في كلّ يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نحبه وبلغ أجله، ثم تغيّبونه في صدعٍ من الأرض، ثم تدعون غير موسدٍ ولا مههدٍ، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وياشر التراب، وواجه الحساب؛ غنياً عمّاً ترك، فقيراً إلى ما قدّم... الخ.²

- استغلال الخطبة في تشجيع الناس على قتال الأعداء؛ مثلما فعل طارق بن زياد في خطبة فتح الأندلس في أواخر القرن الهجريّ الأول، بعد ما قام بإحراق جميع السفن لإجبار جيشه على مقاتلة العدو بكلّ بسالةٍ واستماتةٍ؛ وبعدهما حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهلُّ له، جاء فيها قوله: أيها الناس: أين المفرّ؟ البحر من ورائكم والعدوُّ أمامكم، وليس لكم والله إلاّ الصّدق والصبر، واعلموا أنّكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلاّ سيوفكم، ولا أقوات إلاّ ما

¹ - سلامة موسى: أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، مطبعة الهلال - القاهرة - مصر، د ط، تاريخ الطباعة: 1924م، ص: 68.

(*) خنصرة: مكان بمنطقة الشام.

² - الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد التّرجيني، الجزء الرابع، دار الكتب العلميّة-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1404 هـ / 1983 م، ص: 182، 183.

تستخلصونه من بين أيدي عدوكم، وإن امتدّت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تتجزوا أمرًا ذهبت ربحكم وتعوّضت القلوب من رعبها... الخ¹

- استعمال الخطبة في إيصال حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها في وقتنا الحاضر إلى المنتديات والمحافل الدوليّة؛ مثل خطبة الشيخ محمّد البشير الإبراهيميّ أمام وفود منظمة اليونسكو بباريس؛ حيث أوضح فيها حقّ الشّعوب الضّعيفة كالجزائر آنذاك في تقرير مصيرها والحصول على استقلالها من برائن الاستعمار الفرنسيّ الغاشم؛ وهي عبارة عن " خطاب له أمام الوفود العربيّة والإسلاميّة في إحدى منظمات الأمم المتحدة. " في مساء يوم الثلاثاء من 29 جوان 1952 م؛ حيث ألقى الشيخ محمّد البشير الإبراهيميّ -رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- على مسامع الوفود العربيّة والإسلاميّة في منظمة الأمم المتحدة خطبته بطريقة ارتجالية، وقد قام الأستاذ أحمد بن سودة بتلخيصها تلخيصًا وافيًا، حيث أنّه لم يند عنه إلاّ القليل من ألفاظها ومعانيها.

ومّا جاء فيها: "

حضرات الإخوان."

هذه ليلة ارتفعت فيها الكف، وغابت عنها العواذل، وغفل عنها الرّقاء - إن شاء الله - فاسمحو لي أن أخرج عن الوضع المتعارف عليه في رسوم الخطاب. فأنا بصفتي رجلاً دينياً مسلماً أمثلُ الإسلام في بساطته وسماحته وباعتباراته الرّوحيّة، يحلو لي أن أخاطبكم بما جاء به الإسلام في آدابه الرّاقية، ومثله العليا، وهو وصف الأخوة.²

وإنّ النّبوة هي أكمل الخصائص الإنسانيّة، وأشرف المواهب الإلهيّة، ولكن الله حينما يرفع ذكر الأنبياء، يضعهم في الدّرجة الأولى من معارج الرّقيّ، وهي درجة العبوديّة لله، فمحمّد

¹ - سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، مطبعة الهلال - القاهرة - مصر، د ط، تاريخ الطّباعة، 1924 م، ص: 20.

² - أحمد طالب الإبراهيميّ، آثار البشير الإبراهيميّ، الجزء الثّاني، (خطاب أمام الوفود العربيّة والإسلاميّة في الأمم المتّحدة: 1940 م - 1952 م)، الشركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، - رغبة - الجزائر، تاريخ الطّباعة: 1982 م، د ط، ص: 464.

هو عبد الله قبل أن يكون رسوله، وفي القرآن، جاء قوله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾،
وأيضاً: ﴿وَأذْكَرُ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45)﴾.¹

وأنا حينما أخاطب إخواني الكرام الذين أتاح لي الحظُّ السعيدُ أن أقف أمامهم في هذه اللحظة - لا يخلو لي إلا أن أخاطبهم بهذا الوصف الجليل - وهو وصف الأخوة الذي منذ أن فقدناه لم نجد أنفسنا، وكأنا حبات انقطع سلكها فأصبحت كلُّ حبةٍ منها في كفٍّ لاقطٍ، فمعدرةً إلى إخواني الذين أعتزُّ بأخوتهم إن خرجت عن التَّمط المألوف في رسم الخطاب، فخاطبتهم ب: (يا أيها الإخوان).

أيها الإخوان المتلاقون على هوى واحدٍ؛ وهو هوى الوطن الجامع، المتعبدون بعقيدةٍ واحدةٍ هي عقيدةُ تحرير هذا الوطن الجامع، الطالعون كالكوكب من أفقٍ واحدٍ هو هذا الشرق الذي اطلعت سماؤه: الشمس والقمر، واطلعت أرضه: الأنبياء والحكماء... الخ²

- وكثيراً ما تستعمل الخطبة اليوم لدى السياسيين في الحملات الانتخابية في كلِّ الاستحقاقات أيّاً كان نوعها انتخاباتٍ أم استفتاءاتٍ؟ وكلٌّ من كانت له البلاغة الكافية في تقديم برنامجٍ معينٍ من البرامج الانتخابية في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي... حتماً سيفوز بقلوب الهيئة النّاخبة، فيحصل بذلك على الكثير من المقاعد، أو حتّى على كرسيّ الرئاسة، ولم لا؟

- كما تستعمل الخطبة أيضاً في أيامنا هذه في تنشيط الحملات الانتخابية في الاستحقاقات المحلية كالانتخابات البلدية والولائية، وفي الانتخابات البرلمانية؛ حيث نجد الرجل القادر على التحدّث إلى الجماهير الشعبية بطلاقةٍ وبفصاحةٍ وسلاسةٍ يحسن من خلالها أداء ما يريد أن يبلغه لهم من رسالةٍ يلخص فيها برنامجه الانتخابي بكلِّ سهولةٍ، ليكسب بذلك أفئدتهم وعقولهم، ممّا يجعلهم يميلون إلى اختيار هذا البرنامج الانتخابي دون غيره من البرامج الأخرى.

- وتستثمر الخطابة اليوم أيضاً في حملات الشرح لسياسات الدول على مختلف أشكالها ومشاريع الحكومات، وبرامجها التّنموية المختلفة على مستوى المجالس الوطنية أو البرلمانات،

¹ - السابق، ص: 465.

² - نفسه، من الصّفحة: 464 إلى: 472.

ومجالس الشيوخ... الخ؛ وهذا بشكل مباشر، لتنتقل على وسائل الإعلام السمعية، أو السمعية البصرية، فتكون قريبةً من مسامع الجماهير الشعبية.

وبهذا كانت الخطابة إذاً وسيلةً، ولا تزال لحدّ الساعة تلعب الدور الهامّ في جلب قلوب المتلقين من الناس؛ وخاصةً إن أحسن الخطيب أداءها على الصورة الحسنة بلغة سليمة واضحة ذات بلاغة وفصاحة تمكّنه من استقطاب عقولهم واستلهاهم أحاسيسهم ليكونوا أداةً طيعةً تعمل لصالح هذا الخطيب فتحقق له ما يريد أن يحققه دون غيره من الخطباء العاجزين على الكلام إلى الناس بطلاقة وفصاحة، ومن الفوائد التي تعود أيضاً على الخطيب ما يلي:

- أ- قد يكتسب الخطيب من خلال ممارساته الخطابية الجرأة على الكلام والتحدّث إلى الناس بطلاقة تامّة؛ فلا يتلعثم أمامهم ولا يثأثي فيما يقوله، وإن أكثر من كلامه معهم.
- ب- كما قد يكتسب الشجاعة في قول الحقيقة - وإن كانت مرّة - أمام المستمعين، لأنّ قول الحقيقة أفضل من كتمانها على الناس؛ فهي تُكتشف ولو بعد حين.

المبحث الثاني: البناء الهيكلي للخطبة.

2 - 1: البناء الهيكلي للكتابة: تتخذ الكتابة البناء الهيكلي التالي.

أ - العنوان: إنّ العنوان الممتاز هو الذي يتكوّن من كلمات معدودات، ويكون مشوقاً للقارئ، وذا لغة صحيحة فصيحة وسليمة، وذا تعبير مؤثّر يدعو القارئ إلى خوض غمار البحث، وأن يمثّل بحق الموضوع كلّهُ؛ فلا يجوز مثلاً أن يكون العنوان عن فصل الربيع، بينما لا يتناول العرض فصل الربيع فيه إلا قليلاً، فيتشعب فيه الكاتب في ذكر كلّ الفصول، ليدخل في باب السياسة أو الصحافة أو الأحوال الاجتماعية في العرض؛ وقد لا يعرف القارئ في هذه الحالة ما يريده الكاتب، وما الهدف الذي يقصده من هذا العرض.¹

وبالمثال يتّضح المقال؛ حيث يقول أحد الشعراء:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزةً وأهلي وإن ضنّوا عليّ كراماً.

¹ - إبراهيم صبيح، وأحمد حمّاد، وحسين عبد الحليم، وسعود عبد الجابر، وعبد الله مقداد، وكامل ولويل: فنّ الكتابة والتعبير، دار الحامد للنشر والتوزيع - عمّان - المملكة الأردنية الهاشمية، تاريخ الطباعة: 1997 م، د ط، ص:

- ولو طرح أحدنا سؤالاً مفاده اختيار عنوانٍ مناسبٍ لهذا البيت الشعريّ على بعض التلاميذ أو بعض الطلبة، وإذا كان اختيارهم للإجابة على الشكل التالي:
- الوطن شيءٌ عزيزٌ علينا.
 - بلدنا وأهلنا.
 - الوطن والأهل أعلى ما يملك الإنسان.¹

فهي إذاً كلّها عناوين قد يكون كلّ واحدٍ منها مناسباً، غير أنه يتمّ اختيار الأنسب منها والأكثر قرباً للموضوع؛ وقد تكون كلّ هذه العناوين صالحةً لهذا البيت الشعريّ.

ب - الفاتحة: وتتميّز الفاتحة أو التمهيد أو المقدمة بما يلي:

- تعتبر الفاتحة الجيدة مدخلاً كريماً للنصّ؛ وذلك كونها تثير مشاعر القراء والمستمعين.
- تجعل القارئ أو المستمع يتتبع كلّ ما كتب، أو ما دون في هذا الموضوع بشغفٍ وميلٍ إليه.
- تداعب فكر و مشاعر القراء و المستمعين، ممّا يجعلهما أكثر اهتماماً ورغبةً لما سيكون بعدها.
- تستميل قلب القارئ و المستمع عن طريق إثبات الكاتب بالأشياء الجديدة، والتي تلبّي رغبته.
- وتثير فضول هذا المتلقّي في معرفة ما سيأتي بعدها في العرض.

وتتميّز الفاتحة أو المقدمة بالتعميم، وفيها يعمل القارئ على إيجاد جزئياته المطروحة فيه.²

ج - العرض: ويتميّز العرض أو الوسط أو الغرض بما يلي:

- العرض وهو ما يلي الفاتحة أو التمهيد.
- يعرض فيه الكاتب كلّ التفصيلات والجزئيات.
- يبرز فيه الكاتب أجزاء الموضوع وتفصيلاته، وسمات آرائه.

¹ - السابق، ص: 17. - بتصرّف -

² - فخري خليل النجار: الأسس الفنيّة للكتابة والتعبير، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع. - عمّان - المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى: 1431 هـ/ 2011 م ، ص: 144.

- يُجزئ في الأفكار الرئيسية إلى أفكار جزئية لتوضيح الجوانب المختلفة للموضوع.¹
- يراعي فيه البعد الزماني والمكاني للموضوع، ولا يتخطى فيه من عصر إلى آخر دون ترتيب لذلك العمل.

- يتدرج في تحقيق الحلول بواقعية واطمئنان.

- ويراعي فيه تسلسل الأحداث الزمانية وواقعيتها.

ويتميز بعدم طغيان فكرة على أخرى، وبحسن الانتقال بين الأفكار، والسعي إلى

تحقيق الانسجام بينها، وتحقيق الترابط اللغوي.

د - الخاتمة: والخاتمة هي خلاصة للموضوع، وآخر انطباع للقارئ أو المستمع للموضوع، وقد يحدّد فيها الكاتب ما تناوله في عرضه للقارئ، وقد يخرج بنتائج لهذا الموضوع المعالج، وقد يضع اقتراحاً لبعض المشكلات التي واجهته في طرح موضوعه على القراء والمستمعين، ليبث الرغبة في نفوس البعض من الناس في تكملة المشوار، لأنّ الكاتب الحاذق والجيد هو من يفتح الطريق باقتراحه لمن بعده.

ويحسن فيها الاقتباس أحياناً لبعض الآيات القرآنية الكريمة؛ مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (15).²

وتتميز الخاتمة بخصائص عديدة؛ والتي في العادة كثيراً ما يقبلها القارئ، وتحقق

رغبته.

- فهي نهاية للأحداث، أو تلخيص سريع لها.

- وهي بيان لرأي الكاتب حول موقف معين، وترك انطباع معين في نفسية القراء أو المستمعين.³

- وتتميز الخاتمة بالإيجاز والاختصار، إذ لا مجال هنا لمناقشة الأدلة والمعلومات والإحصائيات.

¹ - السابق، ص: 144.

² - الأحقاف، الآية: 15.

³ - نفسه، ص: 144، 149، 150. - بتصرف-

وقد تبقى الخاتمة مفتوحةً يتصوّر فيه القارئ الحلول التي يراها مناسبةً للموضوع المعالج، وقد تكون مدخلاً، أو استمراراً لأحداثٍ متتاليةٍ، ومتواليةٍ أخرى.¹

وقد تنتهي ببعض الأحاديث النبوية الشريفة، أو بحكمة من الحكم، أو ببيت شعريّ يصبُّ في صميم ذلك الموضوع من أجل أن يترك صدًى في نفسيّة القارئ أو المستمع، فتجده يردّد في نفسه هذه الجمل المقتبسة في نهاية الخاتمة.²

2- 2: البناء الهيكلي للخطبة: يقوم الخطيب أيّما كان بترتيب خطبته التي يريد إلقاءها على مسمع من الناس، ويقسمها على الشكل التالي:

أ - مقدّمة:

ب - عرض :

ج -خاتمة:

أ - ففي المقدّمة :

يقوم الخطيب بالتمهيد إلى الموضوع الذي سوف يعرضه على المستمعين. وقد سنّ النبي ﷺ مقدّمة أصبح الخطباء فيما بعد يستعملونها؛ وهي قوله: "إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله."³ (*)

وقد عرف العرب بعض الخطباء الذين دخلوا في صلب الموضوع مباشرة دون التّناء على الله بما يستحقّ، ودون الاعتراف بوحديّته، و دون الإقرار بنبوة رسوله؛ مثل الخطبة البتراء لزياد بن أبيه؛ ومّا جاء فيها قوله:

¹ - السابق، الصفحات نفسها.

² - إبراهيم صبيح، وأحمد حمّاد، وحسين عبد الحليم، وسعود عبد الجابر، وعبد الله مقداد، وكامل ولويل: فنّ الكتابة والتعبير، دار الحامد للنشر والتوزيع. عمّان - الأردن، تاريخ الطّباعة: 1997 م، ص: 21. - بتصرف -

³ - الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمّد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد التّرجيني، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الجزء الرابع: من كتاب الوساطة، ص: 147، 148.

(*) وعادة ما تأتي عبارة (أما بعد) بعد هذه المقدّمة - وهي الحدّ الفاصل - بينها وبين ما سيأتي من حديث؛ ألا وهو العرض.

"أما بعد، فإنّ الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والعمى الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ومشتمل عليه حلماتكم من الأمور العظام ينشأ فيها الصغير، ولا يتمشى عنها الكبير... " ¹

ب - وفي العرض: يقدّم الخطيب أفكاره في نموّ وتسلسلٍ، معتمداً في نسجها على وسائل الإقناع المختلفة من حُجج وبراهين، كما يستعمل الخطيب مادةً واضحةً المعاني، سليمةً الأفكار، والتي يسهل فهمها على عامة الجمهور ليتفاعل معها فتؤتي ثمارها وأكلها فيهم. ويكون للتكرار المحمود فيها أثر ملموس في نفوس مستمعيه.

ج - أما في الخاتمة: فيعمل الخطيب على التركيز على الأثر الذي يريد أن يتركه في أذهان السامعين.

وكان آخر كلام الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)؛ والذي اعتاد عليه في خاتمة حديثه؛ وهو الذي أصبح يُعرف به أنّه إذا تكلم به، فهو يختتم به خطبته؛ وهو قوله: "اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه." ²

أما آخر كلام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)؛ والذي هو الآخر اعتاد على أن يقوله في خاتمة حديثه؛ حتى أصبح يُعرف به إذا قاله، فهو دليلٌ على فراغه من كلامه الذي يوشك أن يفرغ من خطبته، وهو قوله: "اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين." ³ (*)

وبهذا نستنتج أنّ كلّ الخطب على تقوم هذا التنظيم الهيكلي، من التمهيد إلى الموضوع إلى الولوج فيه، فيقدّم فيه الخطيب أفكاره بتسلسلٍ معتمداً على الحجج والبراهين بأسلوب مفهوم ليتمكن المستمعون من فهمه والافتناع بما يحاول الخطيب قوله ومجتنباً للتكرار والإطناب

¹ - سلامة موسى: أشهر الخطب ومشاهير الخطباء ، ص: 16، 17.

² - أحمد بن محمد، بن عبد ربّه: العقد الفريد، كتاب الوساطة من الجزء الرابع، تح: عبد المجيد التّرحيني، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1404 هـ / 1983 م، ص: 156.

³ - نفسه، ص: 156.

(*) وبهذا نخلص إلى أنّ الخطبة سواء أكانت مكتوبة أم كانت ارتجاليةً فهي تتكوّن من ثلاثة أقسام؛ وهي: المقدّمة، والعرض، أو ما يعرف (بصلب الموضوع)، والخاتمة، كما ذكر آنفاً.

ليتسنى له رسم الآثار التي يريدها في نفوس السامعين، إلى أن يصل إلى الخروج منه بسلاسة تامّة تترك آثاراً طيبةً في نفوسهم.

المبحث الثالث: آداب الخطيب وشروطه.

3 - 1: آداب الخطيب. هناك آدابٌ كثيرةٌ ينبغي على الخطيب أن يتمتع بها حتى يكون

عند حسن ظن المتلقين من الناس؛ وهي:

3- 1 - 1: الآداب الخاصة بالخطيب.

أ - سداد الرأي: ويتحقق هذا الأمر بدراسة موضوع الخطبة دراسةً تامّةً وشاملةً.

ب - صدق اللّهُجة: وهو أن يظهر الخطيب مخلصاً فيما يدعو إليه، وحريصاً على الحقيقة،

فإنّه إن ظهر كذلك، وثق الناس به، وصدّقوه فيما يدعو إليه، وأحسّوا بأنّه شريفٌ تجب

إجابته لشرفه وشرف ما يدعو إليه؛ ومن أجل أن يكون الإخلاص بادياً عليه، يجب أن يكون

من حاله ما يطابق مقاله، ولا يتجافى عمله عن قوله، بل يكون أكثر أخذاً بقوله.¹

ج - التودّد للسامعين: ويكون هذا الأمر بالتواضع لهم - لا بالتكبر عليهم - وأن يكون

ممن يألّفون ويؤلّفون، فلا يكون جافياً خشناً معهم، ولا قاسياً عليهم.²

3 - 1 - 2: آداب الخطيب مع السامعين: ينبغي على الخطيب أن يتصلّ بنفوس من

يخاطبهم ويتقرّب من قلوبهم، فالناس مختلفون في عاداتهم وأخلاقهم ومهنتهم ومراتبهم

وطبائعهم، ولكلّ أحوالٍ طائفةً من الناس تقتضي نوعاً من الخطاب، قد لا تقتضيه أحوال

جماعةٍ أخرى؛ ولذا فعلى الخطيب أن يلبس لكلّ حال لبوسها، ويعالج كلّ طائفةً بأنجع دواءٍ

له حتى تستقيم له الطريقُ فيصلَ إلى تحقيق هدفه المنشود في أفضل حالٍ.³ (*)

3 - 2: شروطه. ومن شروط الخطيب المسلم ما يلي:

- الاستعانة بالله: إنّ الخطيب الناجح في خطبته هو ذلك الشّخص الذي يحرص كلّ

¹ - عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلاميّة (أصولها، تعريفها، عناصرها)، الأزرابطة - الإسكندرية - مصر، تاريخ الطّباعة: 2006 م، د ط، ص: 11.

² - نفسه، ص: 11.

³ - نفسه، ص: 11.

(*) ومما ذكر فيما عرض سابقاً أنّ الخطيب ينبغي أن يتخلّق بالآداب الحسنة في ذاته ونفسه، ومع المتلقين من المستمعين لما يعرض، ولما يقول.

الحرص على الاستعانة بالله في كلِّ الظروف والأحوال في الإعداد، وحسن الأداء، وجمال الإلقاء.¹

- وهو الشّيء الذي يمكنه من أداء مهمّته على أكمل وجه وأحسن طريقةٍ أمام المستمعين.
- **الإخلاص:** وهو روح الأعمال وسرّ قبولها، وبه يجمع الله سبحانه وتعالى القلوب، وإن اختلفت؛ فالإخلاص عاملٌ هامٌّ و مهمٌّ في النّجاح والتأثير، وينبغي على الخطيب أن يحذر من أمراض القلوب، وأنّ يبتعدَ عن الغرور والرياء وحبّ الظهور.²
- **القدوة الحسنة:** ينبغي على الخطيب أن يكون قدوةً حسنةً، وأن يكون ذا سلوك قويم، وذا سيرة سليمة بين الناس، وأن يعمل بما يقول، وأن يكون عمله هذا في مرضاة الله تبارك وتعالى، كما ينبغي على هذا الخطيب أن يتجنّب الرّياء والنّفاق.³

- **معرفته للفنون الأدبيّة:** يمثل الأدب عنصرًا هامًا ومادةً دسمةً بالنسبة للخطيب أيًا كان لما للأدب من أهميّة بالغة الأثر في الحياة؛ وذلك ما يستتج من خلال الخطب الملقاة على مسامع الحاضرين لأنّ الخطيب الضالّع في ميدان الأدب، والتمكّن منه جديرٌ به أن يكسب عقول الحاضرين فيكسبهم إلى صفّه، وإنّ الأدب بشعره ونثره، وأمثاله وحكمه ووصاياه وخطبه هو شيءٌ ضروريٌّ للخطيب والداعية، حيث أنّه يقوّم به لسانه، ويجوّد به أسلوبه، ويرهفُ به حسّه، ويخلّه إلى أجود العبارات الرائعة الرّاقية والأساليب الفائقة، والصّور المعبرة، والأمثال السائرة، والحكم البليغة.⁴ (*)

- **معرفة الخطيب لعلوم اللّغة:** إنّ من الأهميّة بمكان؛ والتي لا يمكن تجاهلها أبدًا في أنّ

¹ - عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلاميّة، ص: 15.

² - نفسه، ص: 15.

³ - نفسه، ص: 15. - بتصرّف -

⁴ - محمود محمّد، محمّد عمارة: الخطابة بين النّظرية والتّطبيق، ص: 22. - بتصرّف -

(*) ما أوج الخطيب والداعية إلى الفنون الأدبيّة أيضًا لما لها من أهميّة في تكوين شخصيّته، وخاصّة أثناء تأديته للخطبة أمام المستمعين، حيث يجب عليه أن يدعّم قوله بالكثير من الأشعار والحكم والأمثال... لأنّه يتعامل مع المستمعين، وذلك لأنّ الخطبة تقوم على ثلاثة أسسٍ، وهي:

أ - الخطيب: و هو المتكلّم، ويجب أن يكون فاهمًا، وواعيًا لما يقول ليتحقّق له إقناع الجمهور.

ب - الخطبة: وهي الرّسالة التي يريد الخطيب إيصالها إلى الجمهور، أو إلى المستمعين، ويجب أن تكون هادفة مقنعة له.

ج - المتلقّون: وهم المستمعون للخطبة، وهم أشكال كثيرة، فمنهم العبقرّي، ومنهم المتعلّم، ومنهم من لا يملك أيّ استعداد لتلقّي الرّسالة التي تؤيّد ذلك الخطيب أن يوجّهها إليه، أو إلى غيره من هؤلاء المستمعين.

للعلم اللغوي أهمية كبيرة في عملية تقديم الخطيب لأي خطبة من خطبه على مسامع الناس لما لها من خطورة في فقدانها؛ ومن أدلة أهمية الثقافة اللغوية وخطورتها: أن أعرابياً قدم المدينة المنورة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب يسأل عن يعلمه القرآن، فأقرأه رجل آيات من سورة براءة، أو (التوبة) ومما تلاه عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ﴾؛ وذلك بكسر حرف (اللام) في كلمة (رسوله)، فقال الأعرابي: "إن يكن الله قد برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه." وبلغ الخبر الخليفة عمر فدعاه، وعرف منه القصة، وقال: "ليس هكذا يا أعرابي، إنما الصحيح: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾؛" ¹ (*)؛ أي: برفع حرف (اللام) في كلمة (رسوله). فقال الأعرابي: "وأنا والله أبرأ مما برئ منه الله ورسوله".

وبهذا يكون للعلوم اللغوية دور هام في حياتنا وفي كل ما يتصل بنا؛ حيث لا يمكن لنا أن نتعامل دون هذه القواعد لأن القول الخاطئ والذي قد لا يحسب له أي حساب قد يؤدي أحياناً إلى قلب الموازين بتغيير المعنى من النقيض إلى النقيض؛ بل وإلى ارتكاب الأثام بمجرد تغيير حركة من الحركات في مثل هذه الآيات القرآنية الكريمة.

وقد حكى أن مدرساً في مصر أبقى طالباً أكثر من سنة في مستوى دراسي واحد، حائلاً بينه وبين نجاحه إلى المستوى الأعلى بسبب كتابته لكلمة (لكن) خاطئة، حيث كان يكتبها (لاكن)؛ أي: بلام الألف. ²

كما قيل أن أحد الأعراب صلى خلف إمام مرة في مكان ما، فسمعه يقرأ: "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا."؛ أي: بفتح (التاء) في كلمة (تَنْكِحُوا)، فقال الأعرابي: "والله وإن آمنوا فلن نُنكحهم." وقيل له: "إنه عادة ما كان يلحن وليس هكذا تُقرأ." فقال الأعرابي: "أخروه قبحة الله، ولا تجعلوه إماماً عليكم فإنه يُحل ما حرم الله." ³ (*)

¹ - محمود محمد محمد عمارة: الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1418 هـ / 1998 م، ص: 19. - بتصرف -

(*) ورسوله هنا رُفعت على الابتداء؛ وتقدير الكلام هو: أن الله برئ من المشركين، ورسوله برئ منهم أيضاً.

² - نفسه، ص: 20. . بتصرف .

³ - نفسه، ص: 20.

(*) إن العيب كل العيب أن يرفع الخطيب أو المنكلم أمام الناس في الأماكن الرسمية ما يجب أن ينصب، أو أن

وبهذا إن كانت الثقافة الدينيّة لازمةً للخطيبِ الداعيّة بالدرجة الأولى، فإنّ الثقافة اللغويّة والأدبيّة لازمةً له كذلك، فالأولى تلزمه لزوم المقاصد والغايات، والثانية تلزمه لزوم الوسائل والأدوات.¹

- **الموهبة:** إنّ نجاح الخطيب في مهمّته فيه جانبٌ يكتسبه عن طريق الاطلاع على كتب فنون الخطابة وآدابها، والاستماع إلى الخطباء، والاستفادة منهم، إلى جانب الموهبة التي يمنحها الله للإنسان ليكون ذا قابليّة تمكّنه من الكلام وإلقاء الخطب أمام الحاضرين مهما كثر عددهم دون خوفٍ أو ضجرٍ.²

- **الشجاعة:** لا بدّ أن يكون الخطيب شجاعاً لا يخاف إلاّ الله خاصّة إذا كان هو صاحبُ رسالةٍ، ولذلك فالشجاعة أمرٌ ضروريٌّ لتبليغ الحقّ المُبين، وعلاج المشكلات بكلّ وضوح وصراحة، ومحاربة الظلم وإقرار العدل.³

- **حسن استعمال الألفاظ اللائقة بالخطبة:** ومن شروط الخطيب النّاجح في أداء رسالته الخطابيّة، أن يكون استعماله للفظ اللائق للتحدّث به إلى المتلقّين؛ لأنّ حسن اختيار الألفاظ أمرٌ مهمّ في تبليغ الرّسالة إلى المستمعين بصورة سريعةٍ؛ حيث أنّ ما أن ينطق الخطيب بمثل هذه الألفاظ إلاّ وتتلقّفها آذانهم بكلّ سرعةٍ لتكون الاستجابة منهم له بعد حين.

وفي هذا الشأن نورد رأي أحد الأدباء العرب في لفظ الخطيب؛ حيث (كان إبراهيم بن جبلة يعلم بعض الفتيان الخطابة، فمرّ به بشر بن المعتمد، ووقف يستمع له، فظنّ إبراهيم أنّه إنّما وقف ليستفيد ممّا يقول، ثمّ قال: "اضربوا عمّا قال صفحاً، واطووا عنه كشحاً"، ثمّ دفع إليه بصحيفةٍ كانت من تميمه وتحبيره، يصحّ أن نعتبر ما جاء فيها أساساً لما جرى عليه بعض الخطباء العرب في تأليف الخطب.⁴

وفي هذه الصّحيفة يقول بشر: "خذ من نفسك ساعة نشاطك و فراغ بالك وإجابتها إيّاك، فإنّ نفسك في تلك السّاعة أكرم جوهرًا وأشرف حسابًا وأحسن في الاستماع وأعلى في

ينصبّ ما ينبغي أن يرفع، أو أن يجزّ ما لا يجب جزؤه، فالمعنى قد يتغيّر من النقيض إلى النقيض، ولا سيّما في كتاب الله وحديث رسوله ﷺ؛ والصّحيح هو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾، [البقرة: 221].

¹- السّابق، ص: 20.

²- نفسه، ص: 15.

³- نفسه، ص: 15.

⁴- سلامة موسى: أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، مطبعة الهلال -القاهرة - مصر، دون طبعة، تاريخ الطباعة:

1924م، ص: 4.- بتصرّف-

الصدور وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكلّ عينٍ من لفظٍ شريفٍ ومعنىٍ بديعٍ. واعلم أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يعطيك يومك الأطول بالكّد والمطاوله والمجاهدة بالتّكليف والمعاودة، ومهما حاول أن يخطئك لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً وخفيفاً على اللسان سهلاً كما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه، وإياك والتّوعر، فإنّ التّوعر يسلمك إلى التّعقيد؛ والتّعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك، ومن أذاع معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإنّ من حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف.¹

ومن حقّه ما أن نصونها عمّا يفسدهما ويهجنهما ويجب أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، أو فحماً سهلاً، ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً. وعند الخاصّة إن كنت للخاصّة قصدت، وعند العامّة إن كنت للعامّة أردت.

والمعنى ليس يتضح أن يكون من معاني العامّة، وإنّما مدار الأمر على الشرف مع الصّواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال. وكذلك اللفظ العامّي والخاصّي، فإنّ أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة لفظك ولطف مداخلك وقدرك في نفسك على أن تفهم العامّة معاني الخاصّة، وتكسوها الألفاظ للتوسّطة التي لا تلتف على الدهماء ولا تجفو عن الكفء فأنت البليغ التام.² (*)

- قوّة الملاحظة: يجب أن تكون نظرة الخطيب إلى مستمعيه نظرة فاحصة يقرأ من الوجوه خواطر القلوب، ومن اللّمحات ما تُكنّه نفوسهم تجاه ما يقول ليجدّد من نشاطهم، ويذهب عنهم فتورهم، فتتصلّ روحه بأرواحهم، ونفسه بنفوسهم.³
- حضور البديهة: إنّ حضور البديهة أمرٌ مهمّ في شخصيّة الخطيب، ذلك أنّها تسعفه بالعلاج المطلوب إنّ وجد من مستمعيه إعراضاً، والدواء الشافي، إن وجد منهم اعتراضاً. وقد يُلقّي الخطيب خطبةً، فيعقب بعض المستمعين معترضاً، أو طالباً لإجابة سريعة عن مسألة ما، وبالتالي إنّ لم تكن سرعة البديهة حاضرةً معه قد تضيع الخطبة وتندثر آثارها.⁴
- رباطة الجأش: ينبغي على الخطيب أن يقف مطمئن النفس، هادئ البال، قويّ الجنان،

¹ - السابق: ص: 4، 5. - بتصرّف -

² - نفسه، ص: 5. - بتصرّف -

(*) وإذا فحسّن اختيار اللفظ أمر مهمّ في تبليغ الرّسالة إلى المستمعين؛ لأنّ اللفظ الكريم لا يولد إلاّ معنى كريماً.

³ - عبد العاطي محمد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلاميّة (أصولها، تعريفها، عناصرها)،

الأزاريطيّة - الإسكندريّة - جمهوريّة مصر العربيّة، 2006م، د ط، ص: 15. بتصرّف.

⁴ - نفسه، ص: 15.

- غير هيّاب ولا وَجَلٍ، وغير مضطربٍ ولا منفعلٍ.¹
- طلاقة اللسان: وتعدّ هذه من أَلَزَم صفات الخطيب، وأشدّها أثراً في انتصاره في ميادين القول.² (*)
- الهيئة الحسنة: كما يجب أن يكون الخطيب ذا هيئةً حسنةً تزيّن حاله؛ ولذا ينبغي له أن يهتمّ بكلّ ما يجعل هيئته حسنةً، فيكون ذا زيٍّ جميلٍ أمام الحاضرين، وأن تتزّن حركاته وبيتعدّ عن الحركاتِ باستعمال الأيدي أو الإشارة بالرأس، أو ما شابه ذلك، والتي قد تجعل منه ممثلاً مثيراً للضحك أو الفكاهة أو التندر.³
- السياسات والتّيارات الفكرية الحديثة: كما يكون من شأن الخطيب أن يتصّف باطلاعه على أحداثِ العصرِ وأحوالِ النَّاسِ وقضايا السّاعةِ حتّى يستطيع أن يدلّو فيها بدلوه متى دعت الضّرورة إلى ذلك.⁴
- التّمكّن من الثقافات والعلوم الحديثة: كما أنّه من الضّروريّ أن يكون الخطيب في هذا العصر متمكّناً من الثقافات والعلوم الحديثة، وكذا اللّغات الأجنبيّة- وعلى الأقلّ من ذلك المشهورة منها في عالمنا المعاصر- حتّى لا يكون عرضةً لما قد يصاب به الجاهل بها أثناء حديثه للنّاس، فيفروا من حوله إلى غيره ممّن يمتلك هذه العلوم والثّقافات. وبهذا يجب أن يكون هذا الخطيب ذا اطلاعٍ كبيرٍ، وذا ثقافةٍ واسعةٍ؛ أي: يجب أن يكون موسوعياً حتّى ينجح في مهمّته، وحتّى يتمكّن من أدائها على أحسن وجه، وأكمل صورة.
- ولهذا فإنّ الخطيب النّاجح في مهمّته، هو من يحسن تنسيق خطبته من ألفها إلى يائها ليقدم مادة دسمة للمستمع أيّاً كان شكله.

وممّا جاء في كتاب الخطابة لأرسطو طاليس؛ والذي يُطلق عليها لفظ:

(الرّيظوريّاً) ما يلي:

" فأما التّصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنّها أنواع ثلاث:

¹- السابق، ص: 16.

²- نفسه، ص: 16.

(*) وينبغي إذاً أن يكون هذا الخطيب في هذه الحالة خالياً من أمراض الكلام كالتأتأة واللّغّة... وما شابه ذلك من أمراض الكلام المتعدّدة، حتّى يتمكّن من التّبليغ الجيّد لما يريد أن يقوله للمتلقّين.

³- نفسه، ص: 16.

⁴- نفسه، ص: 17. - بتصرّف-

- منها ما يتعلّق بتهيئة السّامع واستدراجه نحو الأمر.
- ومنها ما يتعلّق بالكلام نفسه قبل التّثبيت.
- ومنها ما يتعلّق بكيفية المتكلّم وسمّته؛ والسمّت؛ أي: حسن النّحو في مذهب الدّين، ويقال: سمّت، يسمّت، سمّتا، أي أنّه: حسن المقصد والرّأي، وفي حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - : "ما أعلم أحداً أشبه سمّتا وهدياً ودالاً من رسول الله ﷺ".¹
- وهذه الأمور يجب إعطاؤها الأهميّة البالغة حتّى يمكن للمتكلّم أن يوصل رسالته إلى الحضور أو المتلقّين فينجذبوا إليها فيعملوا بما جاء فيها.
- فأما ما يتعلّق بالكيفيّة والسمّت، كأنّ يكون الكلام بنحو يجعل المتكلّم أهلاً لأن يُصدّق، ويُقبل قوله، والصّالحون هم المُصدّقون سريعاً بالأكثر في جميع الأمور الظّاهرة.
- وأما الأمور التي ليس فيها أمرٌ قاطعٌ حيث يكون الوقوف فيها بين ظنّين، فإنّه ينبغي تثبيتها بالكلام.
- وأما ما يتعلّق بتهيئة السّامع، حين يستميله الكلام إلى شيء من الآلام المعترية له، فإنّه ليس إعطاؤنا الأحكام في حال الفرح والحزن والمحبة والبغضاء سواء.
- وأما فيما يتعلّق بالتّصديق من قبل المتكلّم نفسه، فيكون مثبّتا بما نراه من قوّة الإقناع.²

وينبغي إذاً على الخطيب أن يتمتّع بصفاتٍ هامّة تساعده على أداء مهامه الخطابيّة، وأنّ يتميّز بصفات معيّنة تعينه في الوصول إلى تحقيق هدفه ممّا يقوله، وأنّ يراعي أموراً كثيرة في تقديم خطبته، كما يجب عليه أن يسعى إلى ضرورة كسب انتباه السّامعين لما يحاول أن يقوله، أو أن ينشره بين أوساط المتلقّين بالطريقة التي يراها مناسبة لهذا المقام ليحقّق الغاية المنشودة من خطبته هذه

المبحث الرابع: أنواع الخطب وأشكالها.

- 4-1: أنواع الخطب: وتتعدّد بحسب مجالاتها المختلفة وتعدّد أغراضها؛ فنجد منها ما يلي:
- أ- الخطبة العلميّة: وهي أقلّ الخطب بلاغة، ولا تنثير العاطفة، كما أنّها لا توقد نار الغضب ولا تحرك عوامل البغض أو الرّحمة، كالمحاضرات العلميّة فهي كلام علميّ يحاول

¹ - ابن منظور، محمّد بن مكرم بن عليّ جمال الدّين، (أبو الفضل): لسان العرب، باب: سمّت، دار صادر - بيروت - لبنان، د ط، د ت، ص: 2087.

² - أرسطو طاليس: الخطابة، التّرجمة العربيّة القديمة، تحقيق وتعليق: عبد الرّحمن بدويّ، دار النّشر لوكالة المطبوعات - الكويت - ودار القلم - بيروت - لبنان، تاريخ الطّباعة : 1979 م، د ط، ص: 10. - بتصرّف-

- فيه الخطيب تقريب الحقيقة العلمية من أذهان السامعين.¹
- 4-ب- الخطبة السياسية: وهي التي تلقى في المجالس النيابية أو الشورية، والتي ينظر فيها في شؤون الدولة، وأمور الرعية، أو النوادي العمومية وغيرها؛ ولهذه الخطب شأن كبير في حياة الأمم، ورفيها مادياً ومعنوياً وأدبياً، وينبغي على الخطيب السياسي أن: -يكون ذا دراية تامة بقوانين الدولة وسياستها.
- يكون مخلصاً في محبة وطنه، وبريئاً من كل أنانية وحرص شخصي، أو تحيز إلى نصره أحد على آخر، أو خذلائه؛ أي: أن الخطيب يجب أن تتوافر في نفسه صفات معينة تظهر على أقواله وأفعاله بما يؤكد حب الجماعة لا حب الذات.
- يؤمن النظر في جميع وجوهها ليكون حكمه على بصيرة تامة بعيداً عن الخطأ والزلل.²
- ج- الخطبة العسكرية: وهي التي يلقيها قادة الجيوش قبل اندلاع الحروب، حيث يحضون الجنود فيها على الاستماتة في القتال، والغاية منها إنهاض همهم، وإذكاء نار الحماسة فيهم، وإثارة النخوة والحمية والإقدام في نفوسهم؛ ولهذه الخطب ثلاث صفات؛ وهي:
- أن يلقيها الخطيب بحماس عظيم، وانفعال شديد.
- أن تكون واضحة في تركيبها، قريبة المنال فيدركها الجنود بسهولة تامة.
- أن تكون موجزة لأن الحرب في أصلها لا تدع مجالاً واسعاً للتأصيل.³
- د- الخطبة القضائية: ويلقيها المحامون أمام المحاكم القضائية، وكذا رجال النيابة أمام القضاء لإدانة الجناة، أو الدفاع عن الضعفاء، ويجب على الخطيب:
- أن يكون عالماً بالحقوق التي يريد أن ينتصر إليها.
- أن يكون بارعاً في أساليب المطالبة بحقوق المظلومين والدود عنهم.
- وأن يكون واسع الاطلاع بكل القوانين والأعراف والعادات.⁴
- هـ - الخطبة الدينية: وهي التي تلقى في المساجد في صلاة الجمعة والعيد، وأثناء المناسبات الدينية، وكذا الدروس المسجدية... وهي تهدف إلى دعوة الناس إلى الهدى، وإحياء الفضيلة وإماتة الرذيلة، وإصلاح القلوب، وتطهير النفوس من الأمراض النفسية

¹ - الشيخ علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، مكتبة رحاب نهج روسيني، ساحة بور سعيد - الجزائر - د

ت، د ط، ص: 80. - بتصرف -

² - نفسه، ص: 82، 83.

³ - نفسه، ص: 85. - بتصرف -

⁴ - نفسه، ص: 97. - بتصرف -

والاجتماعية¹.

والخطبة الدينية؛ هي: تلك الخطب التي تدعو إلى تحقيق عمل ديني بحت كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الدعوة إلى إحقاق الحق، أو إقامة ركن من أركان الدين، كالصلاة، والزكاة، والحج، أو قراءة القرآن؛... الخ.²

كما تدعو إلى التعريف بالأحكام الشرعية، أو الإصلاح بين المتخاصمين، أو التذكير بالموت والدار الآخرة، والحقيقة أن الخطبة الدينية، هي تلك الخطبة التي تشمل كل شؤون الحياة، لأن الإسلام يقوم على العقيدة والعبادة والمعاملة، وبه قانون شامل لكل ما يقابل الناس في حياتهم من بيع وشراء وإيجار وزراعة وصناعة وشركات وما شابه ذلك.³ وهذا النوع من الخطب لم يكن معروفًا في العصر الجاهلي فيما نقرأ خطبة المأمون الحارثي، وخطبة فس بن ساعدة الأيادي؛ مما نرجح أنها كانت من الأدب المصنوع، ونحن نجد الأدب الجاهلي خاليًا من العنصر الديني ما عدا ما كان من شعراء اليهود والنصرانية، وكان أمية بن أبي الصلت ممن عرفوا النصرانية، وكان يطمح أن يكون النبي العربي المنتظر، وقد جاءت بعض أحاديثه عن الدار الآخرة والأنبياء السابقين.⁴ أما الشعراء الوثنيون فلا نجدهم يتحدثون عن آلهتهم أو يذكرون شيئًا عن أصنامهم، وكل ما جاء في أشعارهم عبارة عن لمحات تذكر بالموت، أو بأن الناس سيحاسيون على أعمالهم، وكل ذلك قليل بالمقارنة مع غيرهم كما جاء في قول طرفة بن العبد:

لعمرك أن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخي وثنياه باليد

متى ما يشاء يوما يقده لحتفه ومن يك في جبل المنية ينقد⁵ (*)

¹ - السابق، ص: 106.

² - عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، الطبعة الثالثة - القاهرة - جمهورية مصر

العربية، تاريخ الطباعة: 1408 هـ / 1987 م، ص: 195. - بتصرف -

³ - نفسه، ص: 195. - بتصرف -

⁴ - نفسه، ص: 195. - بتصرف -

⁵ - نفسه، ص: 195. - بتصرف -

إطول: الحبل.

الثنايا: الأطراف.

الحتف: الموت.

(*) ويتضح من هذا الشيء أن الخطابة الدينية في العصر الجاهلي كانت قليلة.

فلا تكتمنن الله في نفوسكم ليخفي ومهما يكتنم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم.¹

وإذاً فهناك الكثير من الميادين التي تتناولها الخطب؛ وبذلك فهي تتخذ أنواعاً وأقساماً كثيرة لا يمكن الإحاطة بكل تفاصيلها.

4 - 2: أشكال الخطابة: قد تتخذ الخطابة أشكالاً أخرى لا تخرجها عن كونها حديثاً مباشراً من المتحدث إلى جمهوره، ولكنها قد تأخذ تسميات مختلفة تبعاً لنوعية الجمهور المستمع ومستوياتهم الثقافية، وموضوع الحديث، والوسيلة التي تنقل بها إلى هذا الجمهور، ومن أهم هذه الأشكال ما يلي:

أ - المحاضرة: وهي تلك التي تقدم في المدرجات والأقسام للطلبة لمواد دراسية مختلفة، أو لأناس لهم درجة من الوعي.

ب - المناظرة: وتدور مادتها حول الآراء التي يكثر فيها الجدل والخلاف، كالمناظرات الدينية.

ج - الحديث المذاع أو الحديث المتلفز: ويمتاز بالقصر والتركيز على الموضوع الذي يتناوله المتحدث عبر أمواج الأثير أو عبر شاشة التلفاز، ووضوح معانيه وسهولة ألفاظه.

وبالتالي فهناك أنواع وأشكال كثيرة من الخطب؛ وكلها تعتمد أساساً على ما يمكن أن يقدمه المتكلم في ذلك المقام إلى الحضور كمحاولة منه لتقديم أفكاره وآرائه بما يتمكن من إقناعهم بما يحب أن يقول، أو بما يريد أن يبلغهم به.

ومن الملاحظ جلياً أن هذا الأمر يرجع إلى تعدد الميادين وكثرتها في حياتنا المعاصرة سواءً تعلق الأمر بالجانب الاجتماعي أم بالجانب السياسي أم بالجانب الاقتصادي، أم غيرها... إلخ.

¹ - السابق، ص: 196 - بتصرف -

الفصل الثاني:

الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين

- المبحث الأول: الخطابة النبوية والمجالات التي غطتها.
- المبحث الثاني: عوامل قيامها ومميزاتها.
- المبحث الثالث: التعريف بالعهد الراشد وخلفائه.
- المبحث الرابع: عوامل ازدهار الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين وخصائصها.
- المبحث الخامس: صفات الخطيب المسلم وزاده.
- المبحث السادس: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين والميادين التي تناولتها.

المبحث الأول: الخطابة النبوية والمجالات التي غطتها.

المطلب الأول: الإرهاصات الأولى للخطابة لدى العرب قبل ظهور الإسلام. عرف العرب الخطابة وهي لون من ألوان اللسان والبيان، وقد ازدهرت ازدهارا مُعِينًا في عصر الجاهلية؛ وهي في ترتيب أجزائها أقرب إلى المنطق منها إلى الشعر؛ ولهذا الغرض يقول الجاحظ: "الخطابة هي: الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخيير اللفظ، والمحبة فيها مقرونة بقلة الاستكراه."

وقد ارتبط هذا الفن بحياة العرب الاجتماعية من منافراتٍ ومنازعاتٍ ومفاخراتٍ؛ فهي:

- في إصلاح ذات البين.
- في التسديد للملك.
- في التأكيد للعهد.
- في عقد الأملاك.
- في الإشادة بالمناقب.

ولكن ما يراد ذكره ونشره وشهرته بين الناس، إلا أن هذا اللون من الخطابة زال من حياة العرب بظهور الإسلام الذي دعا إلى نبذ التفاخر والتكاثر بالأحساب والأنساب.¹

وإن العرب هم من أسبق الشعوب إلى استعمال الخطابة في كثير من أمور حياتهم، ومن أشهر خطبائهم فُس بن ساعدة الأيادي؛ وهو الشخص الذي كان يُضرب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة، وكان يدعو إلى نبذ الأوثان، وكذا لبيد بن ربيعة، ويرشدُ الناس إلى عبادة الخالق، وهم بن قطبة الفزاري وعمرو بن كلثوم، وضمرة بن ضمرة، وقيس بن عاصم وعمرو بن الأهم، وأكتم بن صيفي، وكثيرٌ من أمثالهم.²

ومما جاء عن فُس بن ساعدة الأيادي أنه خطب في الناس يوماً في سوق عكاظ، ولما التقى وفد قيس برسول الله ﷺ، قال: "أيكم يعرف فُس بن ساعدة؟" فقالوا: "كلنا نعرفه يا رسول الله"، قال: "لست أنساه بعكاظ، إذ وقف على بعير أحمر له"، فقال: "أيها الناس اجتمعوا، وإذا اجتمعتم فاسمعوا، وإذا سمعتم فَعُوا، وإذا وعيتم فقولوا، وإذا قلتهم فاصدقوا. من عاش

¹ - عمر عروة: النثر الفتي القديم (أبرز فنونه وأعلامه)، دار القصبية للنشر - حيدرة - الجزائر العاصمة، د ط، د ت، ص: 19.

² - نفسه، ص: 20.

مات، ومن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ".
 أما بعد: " فَإِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبِيرًا، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعَبْرًا، مَهَادٌ مَوْضِعٌ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ، وَنَجُومٌ تَمُورٌ، وَبِحَارٌ لَا تَغُورُ، أَقْسَمُ بِاللَّهِ قَسَمًا حَقًّا لَا كَاذِبًا فِيهِ وَلَا آثَمًا. وَلَنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ رِضًا لِيَكُونَ سَخَطًا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَتَاكُمْ أَوْلَاهُ، وَلِحِقَّتْكُمْ مَدَّتُهُ. مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ؟ أَرْضُوا بِالْمَقَامِ، فَأَقَامُوا؟ أَمْ تُرْكُوا فَنَامُوا؟" ¹ (*)

وهو أيضا من قال مخاطبا قومه بني إِيَاد: "يا معشر إِيَاد: أين ثمودٌ وعاد؟ وأين الآباءُ والأجدادُ؟ أين المعروفُ الَّذي لم يُشكَّرْ والظلمُ الَّذي لم يَنكُرْ؟" وأقسَمَ قُسٌّ قَسَمًا بِاللَّهِ: "إِنَّ لِلَّهِ لَدِينًا هُوَ أَرْضَى لَهُ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا." ²

ويؤكِّد الجاحظ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو الَّذي روى خطبة قُسِّ بن ساعدة الأياديِّ في سوق عكاظ، ويقول إنَّه إسنَادٌ تعجز عنه الأمانى وتتقطع دونه الآمال، ومع ذلك لم يستطع روايتها كاملةً، إنَّما روى أجزاء منها، وهي قوله: "أَيُّهَا النَّاسُ: اسْمَعُوا وَعُوا، مِنْ عَاشِ مَاتٍ، وَمِنْ مَاتِ فَاتٍ، وَكُلِّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ، آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، مَطْرٌ وَنَبَاتٌ، آبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ، وَذَاهِبٌ وَآتٌ، ضَوْءٌ وَظَلَامٌ، بَرٌّ وَآثَامٌ، لِبَاسٌ وَمَرْكَبٌ، مَطْمَعٌ وَمَشْرَبٌ، نَجُومٌ تَمُورٌ، وَبِحَارٌ لَا تَغُورُ، سَقْفٌ مَرْفُوعٌ، وَمَهَادٌ مَوْضِعٌ، لَيْلٌ دَاجٌ، وَسَمَاوَاتٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ. مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَمُوتُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ، أَرْضُوا فَأَقَامُوا؟ أَمْ حَبَسُوا فَنَامُوا؟" ³

وقال هانئ بن قصبية الشيبانيِّ لقومه في ذي قارٍ وهو يحرضهم على القتال: "يا معشر بكر، هالكٌ معذورٌ خيرٌ من ناجٍ فرور، وإنَّ الحذرَ لا يُنجي من القدر، وإنَّ الصبرَ

¹ - سحر الخليل: مختارات من النثر العربي، دار البداية، ناشرون وموزعون - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى: 1432 هـ / 2011 م، ص: 18.

(*) يبدو أنَّ قُسِّ بن ساعدة كان - من أهل التوحيد - وإن عاش قبل البعثة المحمدية، أي: قبل مجيء الإسلام بنوره المنير الخالد إلى الناس كافة.

² - الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام، محمد هارون، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي - القاهرة - جمهورية مصر العربية، تاريخ الطباعة: 1370 هـ / 1960 م، ص: 309.

³ - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة العاشرة، تاريخ الطباعة: 1425 هـ / 2005 م، ص: 34.

من أسباب الظفر، المنية لا الدنية، وإن استقبال الموت خير من استدباره، وإن الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا من بدّ." ¹

ومما قاله أكثر من صيفي المشهور بقلة المجاز، وحسن الإيجاز "إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكهم، وأفضل الملوك أعمهم نفعاً لرعاياهم، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقهم، الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشتر لجاجة، و الحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء، وآفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر." ²

ومن قصار خطب العرب خطبة أبي طالب - عم النبي - في الأملاك عند تزويج

النبي ﷺ من خديجة - رضي الله عنها - يقول فيها:

"الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محجوجًا، وجعلنا الحكم على الناس، وإن محمدًا بن عبد الله - ابن أخي - هو من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجع عليه بركةً وفضلًا، وعدلاً، ومجدًا ونبلًا، وإن كان في المال مقلًا، فإن المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة (*) رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أردتم من الصداق فهو عليّ." ³

ويتضح مما عرض من هذه الخطب أن الخطابة ارتبطت في عصر الجاهلية ارتباطاً وثيقاً بحياة العرب؛ حيث شملت مختلف مناحي الحياة، لكنّها في الغالب كانت تدعو إلى الاعتزاز بالأحساب والأنساب؛ ومنها تلك الخطبة التي تزوج بها، النبي ﷺ من خديجة بنت خويلد؛ وكانت أرملة ابنة الأربعين من عمرها، بينما كان عمره ﷺ آنذاك يناهز الخامسة والعشرين فقط، وكان رجلاً فاضلاً من خيرة رجال قريش وغيرها؛ والتي ألقاها عمه أبو طالب على مسامع الحاضرين.

¹ - عمر عروة: الثثر الفتي القديم، أبرز فنونه وأعلامه، دار القصة - حيدرة - الجزائر العاصمة، د ت، د ط، ص: 14.

² - نفسه: ص: 20.

³ - الباقلائي، محمد بن الطيب أبو بكر: إجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة - جمهورية مصر العربية، د ت، د ط، ص: 153.

(*) وكانت خديجة نعم الزوج ونعم المعين لرسول الله ﷺ؛ حيث كانت أول من صدق برسالته.

فالخطابة الجاهليّة إذا كانت قد التصقت بالحياة اليوميّة للعرب في حلّم وترحالهم.
المطلب الثاني: نبذة عن حياة النبي ﷺ.

2 - 1 - نسبه: هو محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وإلى هنا: (فهو معلوم الصّحة)، ولا خلاف فيه.¹ وما فوق عدنان، فهو مختلف فيه، غير أنّه لا خلاف من أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السّلام، ولا خلاف في أنّ الرسول ﷺ، ولد بمكّة المكرّمة في (عام الفيل).² (*) وكانت موقعة الفيل مقدّمة قدّمها الله لنبيّه ورسوله ﷺ وآل بيته، وإلاّ فأهل الفيل، هم أهل كتاب؛ أي: (نصارى)، ودينهم خيرٌ من دين أهل مكّة؛ لأنّ أهل مكّة كانوا عبّاد أوثان، ولكنّ الله نصرهم على أعدائهم نصرًا لا مثيل له، وفي هذا الشّأن جاء قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (5) ﴾.³

وفي هذا الوقت أرسل أبرهة الأشرم رسالةً إلى النّجاشيّ ملك الحبشة يقول له فيها: "إنّي سأبني كنيسةً بأرض اليمن لم يبن من قبلها مثلها." وفعلاً كانت كنيسةً هائلة رقيقة البناء عالية الفناء مزخرفة الأرجاء سميت ب: (القليس). وذكر مقاتل بن سليمان أنّ فتيةً من قريش دخلوها وأجّجوا فيها نارًا فأحترقت فتأهّب أبرهة وجّهز جيشًا عرمرمًا لهدم الكعبة مصطحبًا معه فيلاً ضخّم الجثّة لم ير مثله، وكان قد بعث به النّجاشيّ لذلك، ويقال أنّه كام معه ثمانية أفيال، وقيل اثنا عشر فيلاً، فكانت القبائل العربيّة التي كانت في طريق جيشه تفرّ منه أو تصانعه مثلما فعلت الطائف، ولمّا وصل إلى مشارف الكعبة غار بعض جنوده

¹ - الإمام محمّد بن عبد الوهّاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ، مراجعة وتحقيق: عبد الرزّاق، المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1424 هـ / 2004 م، ص: 33.

² - نفسه، ص: 33.

(*) ولد الرسول ﷺ بمكّة المكرّمة ليلة الإثنين من 12 ربيع الأوّل من عام 53 لما قبل الهجرة النبويّة، وهو ما يوافق 571 م، والذي عرف (بعام الفيل).

³ - الفيل، من الآية: 1 إلى الآية: 5.

على المراعي وساقوا إيلها، ومنهم مائتي بعيرٍ لعبد المطلب؛ والذي أقبل على أبرهة يطلبها قائلاً: "إن حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعيرٍ أصابها جنده؛ فقال أبرهة: " كنت قد أعجبتني حينما رأيتك ثم زهدت فيك أتكلمني في مائتي بعيرٍ أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه كيف لا تكلمني فيه؟ فقال عبد المطلب: " أنا ربّ الإبل وإنّ للبيت ربّ سيمنه. فقال أبرهة: "ما كان ليمنتع مني". فقام عبد المطلب وهه أخذ بحلقة باب الكعبة، وجماعة من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة، وكان ينشد قائلاً:

لا هم إنّ المرء يمن
ع رحله فامنع حلالك
لا يغلبنّ صليبههم
ومحالمهم أبداً محالك.

وبعدئذٍ خرج الجميع إلى رؤوس الجبال، ولمّ أصبحوا تهيأً أبرهة بجيشه لدخول الكعبة فأبى الفيل قصدها مراراً وتكراراً، ثمّ أرسل الله عليهم طيوراً أبابيل ترميهم بحجارةٍ من مناقرها وأرجلها فأصبح الجيش كعصف مأكول¹.
وقيل كان عبد المطلب يدعو ؛ فيقول:

ياربّ لا أرجو لهم سواكا
ياربّ فامنع منهمو حماكا
إنّ عدوّ البيت من عاداكا
فامنعهمو أن يخزبوا قراكا

فأرسل الله عليه طيراً أبابيل، فكان الطير الواحد فيها يحمل ثلاثة أحجار برجليه ومنقاره، ولمّا غشيت القوم أرسلتها عليهم فهلكوا جميعاً، وبعث الله على أبرهة داء في جسده، ممّا جعل أنامله تتساقط، وانتهى إلى صنعاء وهو كالفرخ، وما مات حتّى انصدع صدره عن قلبه ثمّ هلك شرّ هلاك.

2-2- محمد ﷺ قبل البعثة:

اختلفَ في وفاة أبيه، فهل توفّي قبل ولادته أم بعدها؟ والأرجح على أنّه توفّي، وأمّه حبلَى به، فكفله جدّه عبد المطلب حتّى بلوغه السنة الثامنة، وأرضعته حلّيمة السعدية في ديار بني سعد بالبادية خارج مكة المكرمة مدة أربعة أعوام، وبعد وفاة جدّه تولّى تربيته عمّه أبو طالب².

¹ - ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ عماد الدين إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، تقديم: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفحاء - دمشق - سوريا، دار السلام - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1414 هـ / 1994 م، ص: 711، 712.

² - محمد بن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ، مراجعة وتحقيق: عبد الرزاق، المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1424 هـ / 2004 م، ص: 36، 39. - بتصريف -

وكان من عادة العرب في القديم أن يبعثوا بأولادهم الرّضع إلى البادية لكي يتمتّعوا بالهواء الطّلق ويتربّوا في أحضان الصّحراء فيكتسبوا من أخلاق أهلها الشّيء الكثير والصّحة الجيدة.

- اشتغل النّبِيّ ﷺ وهو صغير السنّ راعياً للماشية من أجل إعانة عمّه أبي طالب الذي كان قليل الحال وكثير العيال.

- ولمّا بلغ النّبِيّ ﷺ سن الخامسة والعشرين من عمره خرج إلى الشّام في تجارة لخديجة بنت خويلد- رضي الله عنها - ومعه غلامها ميسرة؛ حيث وصل منطقة بصرى بالشّام، وبعد عودته تزوّج منها، وهي أوّل امرأة يتزوّجها؛- وكان من أرملة- وهي التي بشرها الملك الأمين جبريل عليه السّلام ببشرى سارة، قائلاً لرسول الله ﷺ: "أقرأها السّلام، وبشرها ببيت في الجبّة من قصب، لا نصب فيه، ولا صخب."¹

2-3- البعثة النّبويّة: حُبّب إلى رسول الله ﷺ التحنّث في الخلاء والتعبّد في غار حراء؛ حيث أنّه لم يكن شيء أبغض إليه من أوثان قريش؛ فإنّ الله أنبته نباتاً حسناً، فكان أفضل قومه مروءةً وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأحفظهم للأمانة حتّى سمّاه قومه (الأمين)، وعن عائشة بنت الصّدّيق - أمّ المؤمنين - رضي الله عنهما، أنّها قالت: "أول ما بدئ برسول الله ﷺ من الوحي: الرّؤيا الصّادقة في النّوم، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصّبح، ثمّ حُبّب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه ويتعبّد اللّيالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ليتزوّد لذلك، ويرجع إلى خديجة بعدنّذ فيتزوّد لمثلها حتّى فاجأه الحقّ وهو في الغار؛ حيث جاءه الأمين جبريل عليه السّلام، وقال له: "اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ"، فقال: "فأخذني فغطّني حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني"، وقال: "اقرأ"، فقلت: "ما أنا بقارئ"، فأخذني فغطّني الثانية حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ فعل الشّيء نفسه في المرّة الثالثة، ثمّ قال: ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾.²

¹- الحميدي، محمّد فتوح: الجمع بين الصّحاحين (البخاريّ ومسلم)، تح: عليّ حسين، الميواب، دار حزم- بيروت- لبنان، الطّبعة رقم: 2، تاريخ الطّباعة: 1423 هـ / 2002 م، الجزء رقم: 03، ص: 131، حديث نبويّ شريف رواه أبو هريرة، تحت رقم: 2401.

²- محمّد بن عبد الوهّاب: مختصر سيرة الرّسول ﷺ، تح: عبد الرزّاق المهديّ، دار الكتاب العربيّ- بيروت- لبنان، تاريخ الطّباعة: 1424 هـ / 2004 م، الطّبعة الأولى، ص: 48، 49. - بتصرّف-

وبهذا ظهر الإسلام عام (610 م)، وقد عرفت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة مرحلتين؛ وهما:

أ - **مرحلة الدعوة السريّة:** واستغرقت ثلاث سنوات أسلم فيها القليل من الناس سرّاً؛ ومن الذين استجابوا للدعوة الإسلامية: خديجة بنت خويلد (زوجته)، وأبو بكر الصديق، ثم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم جميعاً، والشاب عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وكان ابن ثمان أعوام، وقيل كان ابن عشر؛ والذي كان في كفالة رسول الله ﷺ. ¹

وترامت الأنباء إلى قريش فلم تُعَرِّها اهتماماً، وحسبت محمداً ﷺ من أولئك الديّانيين الذين يتكلمون في الألوهية وحقوقها، ثم توجّست خيفةً من ذيوع خبره وامتداد أثره، فأخذت ترقب دعوته على مرّ الأيام. ²

ب- **مرحلة الجهر:** واستغرقت عشر سنوات، وقد أمر الله تعالى نبيّه ورسوله محمداً ﷺ بتبليغ الرسالة الإسلامية إلى الناس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94)﴾. ³

ولقد كان محمداً ﷺ كبير المنزلة في بلده مرموقاً بالثقة والمحبة، وها هو ذا يواجه مكة بما تكره، ويتعرّض لخصام السفهاء والكبراء؛ وأول قوم يغامر بخسران مودّتهم هم عشيرته الأقرّبون، لكنّ هذه الأيام تهون في سبيل الحقّ الذي شرح الله به صدره للإسلام، فلا عليه أن يببّيت بعد هذا الإنذار ومكة تموج بالغرابة والاستنكار، وتستعدّ لحسم هذه الثورة التي اندلعت بغتةً، وتخشى أن تأتي على تقاليدها وموروثاتها. ⁴

إذاً فالفترة الأولى هي مرحلة السرّ، ثم تأتي فترة الجهر بالدعوة في مكة، ودامتا مدة 13 سنةً.

1- السابق، ص: 52. - بتصرّف -

2- الغزالي، محمّد: فقه السيرة، دار الشهاب للطباعة والنشر - باتنة - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، د

ط، د: ت، ص: 100. - بتصرّف -

3- الحجر: 94.

4- نفسه، ص: 101 ، 102.

وتأتي بعد ذلك الفترة المدنيّة بعد هجرة الرّسول ﷺ إلى يثرب، أي: (المدينة المنورة)؛ وذلك عام: (622 م؛ أي: 1 هـ إلى تاريخ التحاقه بالرفيق الأعلى ليلة الاثنين: 11/ ربيع الأوّل/ 11 هـ / 632 م.

المطلب الثالث: الخطابة النبويّة والمجالات التي غطتها.

3 - 1 - الخطابة النبويّة: كان ظهور الإسلام إيذاناً بتطور الخطابة، حيث اتخذها الرّسول ﷺ أداة للدّعوة إلى الدّين الحنيف طوال مُقامه بمكّة المكرّمة قبل الهجرة حيث ظلّ مدّة (13) ثلاثة عشر سنة، يعرض على قومه من قريش وكلّ من يلقاه في الأسواق آيات القرآن الكريم، وهو في ذلك يخطب في النّاس داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة محاولاً بكلّ طاقته أن يوقظ ضمائرهم بما يصور لهم من قوّة الكائن الأعلى.¹

وعلى هدي القرآن الكريم، كان الرّسول محمّد ﷺ يخطب في العرب، ليخرجهم من ظلمات الوثنيّة إلى نور الهداية السّماويّة - الرّبانيّة- وقد أدّى من اللّسن والفصاحة، ما ملك به أزمّة القلوب، وكأنّما كانت المعاني والأساليب موقوفةً بشخصها بين يديه ليختار منها ما تهشّ لها الأسماع، وتصغي إليه الأفئدة.²

وبقي الرّسول الكريم ﷺ بمكّة المكرّمة يعاني هو وأصحابه الذين دخلوا الإسلام سرّاً وعلائيّة الضّعفاء والعبيد يعانون الأمرين من زعماء قريش تعذيباً وتنكيلاً وتشريداً وقتلاً إلى أن أمر الله رسوله بالهجرة.

وقد ظلّ طوال مُكثه بمكّة المكرّمة ينلو على قريش، ومن يلتقي به في الأسواق ما نزل عليه من القرآن الكريم حيناً، وحيناً آخر كان يخطب في معانيه المكيّة نفسها متحدّثاً عن رسالته، وداعياً إلى وحدانيّة الله عزّ وجلّ، ومبيّناً للنّاس أنّ الله يهيمن على أعمالهم، وأنّه سوف يبعثهم يوم القيامة ليجزي بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً.³

¹ - سحر الخليل: مختارات من النثر العربي، ص: 25.

² - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (2) العصر الإسلامي، دار المعارف- القاهرة- جمهوريّة مصر العربيّة،

الطبعة السابعة، تاريخ الطّباعة: 1963 م، ص: 114، 115.

³ - نفسه، ص: 115 - بتصرف-

ولو عدنا إلى أول خطبة للرسول ﷺ لكانت خطبته في عشيرته، والتي كانت بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، [الشعراء: 214]؛ والتي يأمر فيها الله تعالى بوجوب تبليغ الإسلام إلى الناس.¹

فأتى رسول الله ﷺ الصفا؛ حيث صعد عليه، ثم نادى في الناس، أن اجتمعوا، فاجتمعوا عليه، فقال: "يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب؛ أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مصدقي؟" قالوا: "نعم ما جرّينا عليك كذباً"، قال: "إني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد." ²

ونجده في هذا المقام يخاطب قومه بصدقٍ امتثالاً لأمر ربّه في إنذار عشيرته الأقربين، وتبليغ رسالته لهم.

وممّا خطب به رسول الله ﷺ الناس بعد الهجرة، ما كان فعلاً يتطابق مع أي القرآن الكريم التي كانت تنزل عليه تباعاً، فتراه أحياناً واعظاً، وأحياناً أخرى مشرعاً، ومراتبٍ أخرى تراه يجمع بين الأمرين من الوعظ والتشريع في نسيجٍ بلاغيٍّ رائع.³

ونسوق في هذا المضمار أول خطبة له ﷺ؛ والتي خطبها في المدينة المنورة أثناء دخوله إليها حينما صلى بالناس صلاة الجمعة، وهي تمضي على هذه الشاكلة.

الحمد لله أحمدته وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأُعادي من يكفره، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُهُ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وقرط وضلّ ضلالاً بعيداً.

وأوصيكم بتقوى الله، فإنّها خيرٌ ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً. وإنّ تقوى الله لمن عمل بها على وجلٍ ومخافةٍ من ربّه عونٌ صدقٍ على ما

¹ - الشعراء: 213.

² - عبد العاطي محمد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلامية، ص: 35.

³ - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (2) العصر الإسلامي، ص: 115 - بتصرف -

تبعون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانيّة لا ينوي بذلك إلاّ وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره، وذخرا له فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم.

وما كان من سوى ذلك، يودّ لو أنّ بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد والذي صدق قوله، وأنجز وعده لا خلف لذلك، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29) ﴾، [ق: 29] فاتقوا الله في عاجل أمركم وأجله، وفي السرّ والعلانيّة، ويقول: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5) ﴾، [الطلاق: 05].¹

وإنّ تقوى الله تُوقِي مقتَه وتُوقِي عقوبته وتُوقِي سخطَه، وإنّ تقوى الله تُبَيِّضُ الوجوه، وتُرْضِي الرّب، وترفع الدرجة، فخذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله، فقد علّمكم الله كتابه، ونهَج لكم سبيله ليعلّم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وأكثروا من ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنّه من يصلح بينه وبين الله يكفّه الله ما بينه وما بين النّاس؛ ذلك بأنّ الله يقضي على النّاس ولا يقضون عليه، ويملك من النّاس ولا يملكون منه. الله أكبر، ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.²

وظلّ الرّسول الكريم ﷺ يخاطب النّاس بما أوتيته من كلام الله الجليل العليم بالّتي هي أحسن لكسب عقولهم وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور اليقين ومن ظلمات الجاهليّة إلى نور الإسلام.

وكان الرّسول ﷺ يبيّن لهم عظمة مدبر هذا الكون ومنظّمه الذي لم يخلقهم عبثاً على ظهر هذه الأرض، وإنّما خلقهم ليعبّدوه حقّ عبادته، وليستشعروا كلّ ما يمكن من الكمال الرّوحيّ والاجتماعيّ والإنسانيّ حتّى تتمّ لهم السعادة في الدارين: الدّنيا والآخرة.³ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) ﴾، [الدّاريات: 56].

وكان الرّسول ﷺ يعمل على توضيح عظمة الخالق وعظمة هذا الدّين الذي جاء به ليخرج النّاس من الظلّات إلى النور ويهديهم إلى الصّراط المستقيم، ومن أجل نشره أمر بالهجرة،

¹ - السابق، ص: 116.

² - نفسه، ص: 116 - بتصرّف -

³ - سحر الخليل: مختارات من النثر العربيّ، ص: 25. بتصرّف.

فهاجر إلى المدينة المنورة، فاتصلت خطابته به، واتسعت جنباتها بما أخذ يُشرع للمسلمين ويرسم لهم من حدود دولتهم ونظم حياتهم التي ينبغي أن تقوم على المؤاخاة والعدالة والمساواة والتعاون في سبيل نصره الحق والخير، وهو في تضاعيف ذلك يأخذهم بآداب رفيعة من السلوك السامي مبيّناً لهم معاني الإسلام الروحية الرفيعة، والتي تقوم عليها معرفة الله الواحد الأحد وتكون الصلة به فقط، كما تقوم على معرفة العمل الصالح، وأن وراء هذه الحياة، حياة أخرى يُحاسب فيها الإنسان على ما قدمت يداه ولو كان مثقال ذرة، وما يزال يعرض أوامر هذا الدين ونواهيه، واضعاً الحلول لكثير من المشاكل الدنيوية مثل مشكلة الرقيق، ومشكلة توزيع الثروة، ومشكلة العلاقات بين الرجل والمرأة وغير ذلك بما يحقق سعادة البشر.¹

ونعود إلى أول خطبة للرسول الكريم ﷺ؛ والتي خطبها في قومه بمكة المكرمة؛ حيث قال فيها بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: "إن الرائد، لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة. والله لتموتن كما تاملن، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً."²

ومما روي من خطبه القصيرة بعد حمد الله والتناء عليه ما جاء في قوله ﷺ: "أيها الناس كأن الموت في الدنيا على غيرنا كُتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذين نشيخ من الأموات سفر عمّا قليل إلينا يرجعون، نبؤهم أجداثهم، ونأكل ثرائهم كأننا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظية، وأمنّا كل جائحة. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، ورحم أهل الذل، وخالط أهل الفقه والحكمة، وطوبى لمن أذل نفسه وحسنت خليقته، وصححت سريره، وعزل عن الناس شره، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم يعدها إلى البدعة."³

¹ - السابق، ص: 25.

² - عبد العاطي محمد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلامية، ص: 32.

³ - عمر عروة: النثر العربي القديم (أبرز فنونه وأعلامه)، دار القصب للنشر - حيدرة - الجزائر، د ط، د ت، ص: 35.

وطبيعي أن تقضي هذه الخطابة على كلّ لون قديم من الخطابة الجاهليّة التي لا تتفقُ وروح الإسلام، ولا نقصد سجع الكهّان الذي يرتبط بدينهم الوثنيّ فحسب، بل نقصد خطابة المنافرات، والتفاخر بالأحساب والأنساب... إلخ.

ومن خطب الوعظ النبويّ، ما قاله الرّسول الكريم ﷺ بعد حمد الله والثناء عليه.

أيّها النّاس: "إنّ لكم معالِمَ فانتهوا إلى معالِمكم، وإنّ لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم، إنّ المؤمنَ بين مخافتين:

- بين أجل مضى لا يدري ما الله صانعٌ فيه.

- وبين أجل بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه.

فليأخذ العبدُ من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشّببية قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت. والذي نفس محمّدٍ بيده، ما بعد الموت مستعتب، ولا بعد الآخرة دارٌ إلاّ الجنّة أو النّار.¹

ولم تقف الخطابة الدّينيّة عند شبه الجزيرة العربيّة؛ بل أخذت تحلّ مع المسلمين في كلّ بلد قاموا بفتحها، وكان هذا الأمر بلا شكّ عاملاً من عوامل نموّها حيث تكاثر من يردّدونها ومن يُحسنون حوكمها وصياغتها مستلهمين من القرآن الكريم وخطابة الرّسول ﷺ فيما يعظون به النّاس من مواعظ حسنة.²

وقد استثمر نشاطها في نشر التّعالم الإسلاميّة المجيدة، وكان الرّسول ﷺ أخطب العرب قاطبة، وقد أصبحت الخطبة بعد هجرته من مكّة إلى المدينة فريضةً مكتوبةً.

ومن خطبه ﷺ الجامعة المانعة خطبة الوداع؛ ومما جاء في هذه الخطبة الهامة، والتي كانت آخر خطبةٍ له؛ وتمتّت فيما يلي:

¹ - عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق - بيروت - لبنان، الطّبعة الثّانية، تاريخ

الطّباعة: 1408 هـ / 1986 م، ص: 197.

² - سحر الخليل: مختارات من النثر العربيّ القديم، دار البداية ناشرون وموزعون - عمّان - المملكة الأردنيّة الهاشميّة،

الطّبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1432 هـ / 2011 م، ص: 26، 27.

"إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضَلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

"أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحسبكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير".¹

أما بعد؛ أيها الناس: اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإتكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغتُ، فمن كانتْ عنده أمانةٌ فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كلَّ رباً موضوعٌ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون.²

قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كله، وأن كلَّ دم في الجاهلية موضوعٌ، وأن أولَ دمايكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - كان مُسترضعاً في بني ليث - فقتلته هذيلٌ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.³ ويواصل الرسول الكريم ﷺ قوله، أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر يضلُّ به الذين كفروا يُحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها: أربعة حرمٌ، ثلاثٌ متواليات، ورجبٌ (مضر) الذي هو بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.⁴

1 - الفقيه الأندلسي، أحمد بن عبد ربّه: العقد الفريد، الجزء الرابع، كتاب الوساطة، ص: 147، 148.

2- ابن هشام، أبو محمّد، عبد الملك: السيرة النبوية، تعليق وتخرّيج: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان، دار الأصاله - الجزائر - تاريخ الطباعة: 1426 هـ / 2005 م، د ط، ص: 603.

3- نفسه، ص: 603.

4- نفسه، ص: 604.

أَيُّهَا النَّاسُ: فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نَسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِهِنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ، وَلَا يُدْخِلَنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ، فَإِنَّ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ أَذْنٌ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ، فَإِنَّ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَلِهِنَّ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا، فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا، أَمْرًا بَيْنًا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ، تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أُعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلَا تَتَّظَلَّمَنَّ أَنْفُسَكُمْ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟¹

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لِأَدَمٍ وَآدَمٌ مِنْ تَرَابٍ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقَكُمْ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى. أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَد. فَلْيَبْلُغْ مِنْكُمْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

ويواصل الرسول الكريم ﷺ خطبته الجامعة المانعة قائلًا:

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيْبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَلَا تَجُوزُ لَوَارِثٍ وَصِيَّةٌ، وَلَا تَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ، وَالْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرِ. مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلِيهِ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَوْنٌ، وَلَا عَدْلٌ.² وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.³

¹ - السابق، ص: 604.

² - سيد أمير علي: روح الإسلام، تعريب: عمر الديراوي، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى:

1961 م، والطبعة الثانية: 1975 م، ص: 132.

³ - عبد الجليل، محمد شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الثالثة، تاريخ الطباعة: 1408 هـ / 1987 م، ص: 182.

3 - 2: أهم المجالات التي تناولتها الخطابة النبوية.

إنّ الخطابة في هذا العهد هي الأخرى شغلت حيزًا هامًا من بين الأجناس الأدبية الأخرى، وكان لها الأثر الفعّال في تدعيم أركان الدولة الإسلامية الفتية بالمدينة المنورة؛ حيث تناولت ميادين مختلفة، مثل:

1 - إنذار العشيرة والأقربين: أمر الرسول ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين، وتبليغهم بما جاءه عن ربّه؛ حيث يقول تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) ﴾، [الشعراء: 214، 215].
ويقول أيضا: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) ﴾، [الحجر: 94].

وهذه الأخيرة تعدّ أول خطبة له؛ والتي أنذر فيها بني عبد مناف في نهاية السنة الثالثة للبعثة.

2 - تبليغ الرسالة الإسلامية: كانت عملية تبليغ الرسالة الإسلامية إلى الناس هي الشغل الشاغل لرسول الله ﷺ بطريقتين سلميتين؛ وهما:

أ - الخطابة: وكان للخطابة الشأن العظيم والمكانة الأسمى في عهد الرسول ﷺ في محاولة تبليغ الرسول ﷺ لما جاءه من ربّه من تعاليم الإسلام الحنيف إلى الناس كافة؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28) ﴾.¹
وقوله أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾.² (*)

ب - إرسال الوفود الدبلوماسية والرسل إلى الدول المجاورة: بعد عقد الرسول ﷺ لصلح الحديبية مع قبيلة قريش؛ وهو صلح انعقد بين الرسول ﷺ وسهيل بن عمرو ممثّل قريش في العام السادس للهجرة على أن تقف الحرب بين الطرفين لمدة (عشرة أعوام)؛ وفيها يعود الرسول والصّحابة من حيث جاؤوا هذه السنة؛ أي: إلى المدينة المنورة حتّى العام المقبل، وبهذا استغلّ

1 - سبأ: 28.

2- المائدة: 67.

(*) وكان الرسول ﷺ لا يفوت فرصة في حياته بعد البعثة في مخاطبة الناس وتبليغهم بما جاءه عن ربّه، وترغيبهم في الجنة وترهيبهم من النار بإقامة الحجّة البالغة والدأمة بما أنزل الله من قرآن كريم.

الرّسول ﷺ هذه الهدنة المؤقتة في تبليغ تعاليم الرّسالة الإسلاميّة إلى ملوك الدّول المجاورة لشبه الجزيرة العربيّة وأمرائهم، وهذا بطريقة سلميّة بحنة؛ ومن بينهم:

- **كسرى ملك الفرس:** كانت الدّولة السّاسانيّة الفارسيّة وعاصمتها - المدائن - تمتدّ من حدود الجهة الشماليّة والشماليّة الشرقيّة لشبه الجزيرة العربيّة، إلى جانب منطقة الجنوب منها؛ أي (اليمن) إلى حدود باكستان حالياً وقد وصلت رسل رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس لتبليغه بما جاءه عن ربّه جلّ وعلا، وكان ردّه قبيحاً على حملة رسالة رسول الله، ويقال أنّ الرّسول ﷺ كان قد دعا عليه أن يمزق الله ملكه و بهذا سقطت دولته في يد الفاتحين المسلمين أيّام الخليفة الرّاشد الثاني عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.
- ومما جاء في كتابه ﷺ إليه: " من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس: سلام على من اتّبع الهدى، وأمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، إني أدعوك بدعاء الله تعالى؛ فإنّي أنا رسول الله إلى النّاس كافّة لأنذر من كان حيّاً، ويحقّ القول على الكافرين، فأسلم تسلم. " ¹ (*)
- **هرقل عظيم بيزنطة:** كانت الأمبراطويّة البيزنطيّة تسيطر على الجهة الشماليّة والشماليّة الغربيّة من شبه الجزيرة العربيّة التي شهدت قيام الدّولة الإسلاميّة - بقيادة الرّسول ﷺ في

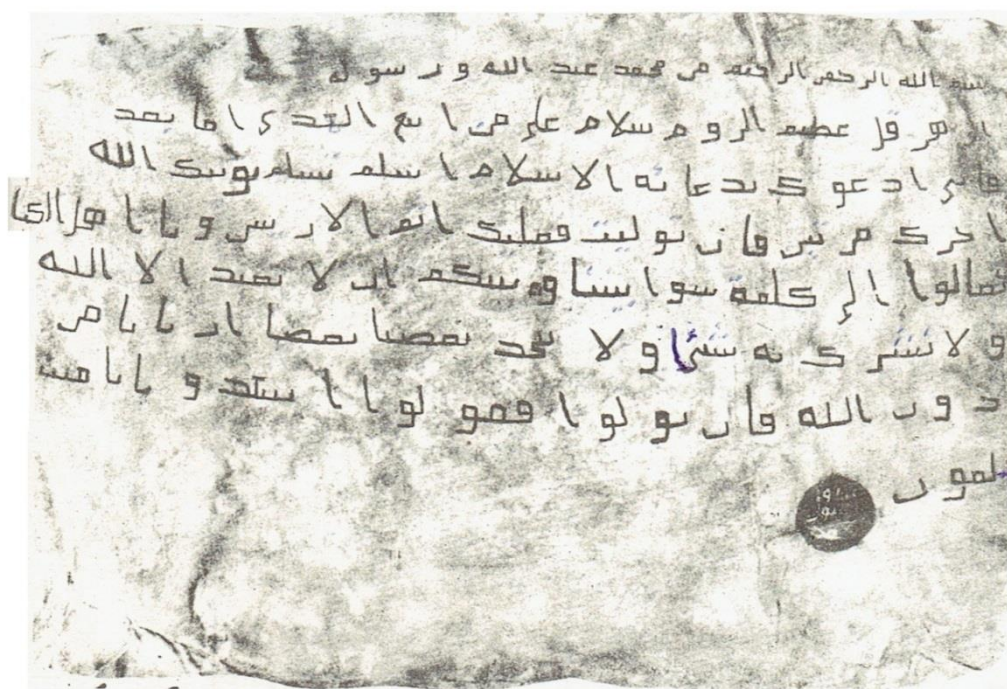
¹ - الباقلائي، أبو بكر: إعجاز القرآن، ص: 134.

(*) وكان ردّ كسرى ملك الفرس على رسالة النّبّي ﷺ ردّاً قبيحاً، وكان الرّسول (صلعم) رجل السّلام لا رجل الحرب بعكس ما يدعيه المغرضون وأعداء الإسلام من افتراءات وأكاذيب، ويقول العقّاد: "...في الواقع كان الإسلام هو المعتدى عليه في بادئ عهده، ولم يكن من قبله اعتداءً على أحد، وظلّ بعد تلبية الدّعوة المحمّديّة واجتماع القوم حول النّبّي ﷺ فإنّهم كانوا يقاتلون من قاتلهم فقط؛ وفي هذا يقول تعالى: ﴿ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) ﴾، [البقرة: 190]، وقد صبر المسلمون على المشركين حتّى أمروا أن يقاتلوهم... وكانت حروب النّبّي (صلعم) كلّها حروب دفاع وليست حروب هجوم إلاّ على سبيل المبادرة بالدّفاع بعد اليقين من نكث العهد أو الإصرار على القتال، وتستوي في ذلك حروبه مع قريش أو مع اليهود أو مع الرّوم البيزنطيين أو غيرهم. وفي غزوة تبوك عاد جيش المسلمين أدرجه بعد أن تيقّن من انصراف الرّوم عن قتال المسلمين، وكان قد سرى للنّبّي ﷺ نبأ أنّهم يُعبئون جيوشهم على حدود البلاد العربيّة الإسلاميّة لقتال المسلمين، فلمّا عدلوا عن ذلك عدل المسلمون عن قتالهم على فرط ما تكلف الأمر من الجهد واليقظة من تجهيز الجيش وسفره إلى تخوم الشّام. " ينظر: العقّاد، عبّاس محمود: عبقرية محمّد، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر - بيروت - صيدا - لبنان، د ط، د ت، ص: 30. - بتصرّف -

المدينة المنورة، والذي بدأت وفوده الدبلوماسية ورسله تصل إليها، مثل هرقل الإمبراطور البيزنطي في عقر داره. وكان رده رداً جميلاً.¹

ويقال أن الإمبراطور البيزنطي - هرقل - استمع لرأي أبي سفيان بن حرب الذي كان بالشام آنذاك حين وصول رسول الله إليه؛ والتي دارت كل إجاباته حول الحقيقة ذاتها باعتبار أن هرقل كان يتقصى أخبار النبي من عيون وأحوال قريش.

- اعداد عبد الرحمن فرناس (ج.ع.ل) - التاريخ 1974



صورة طبق الأصل لرسالة النبي عليه الصلاة والسلام إلى الإمبراطور الروماني هرقل مكتوبة على جلد غزال تم العثور عليها عن طريق أميرة عربية بلندن أعلنت ان هذه الرسالة آلت اليها بالميراث .

ومما جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: "فإني أدعوك بدعاء الإسلام، أسلمت سلم يؤتلك الله

¹ - صورة لرسالة النبي ﷺ إلى هرقل - إمبراطور بيزنطة - مرفقة في هذه الصفحة، تنظر: مجلة العلم والإيمان، لوزارة الإعلام والثقافة الليبية، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - طرابلس - ليبيا، 3/ 1396 هـ / 1976 م، ص: 14.

أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين. ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".

وختمت هذه الرسالة بطابعٍ صنع من حجر العقيق، نُقشت عليه عبارة: (محمد رسول الله).

• المُقوقس حاكم القبط:

وصلت رسلُ رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك مصر باسم الإمبراطورية البيزنطية، وتقول كتب التاريخ أنّ المقوقس أكرمهم وبعث ببعض الهدايا للرسول ﷺ دون أن يعلن إسلامه.

• النجاشي ملك الحبشة:

من بين من أرسل إليهم الرسول ﷺ برسالة يدعوها فيها إلى الدخول في الإسلام النجاشي ملك الحبشة؛ ومما جاء فيها ما يلي:

" من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة:

سلم أنت، فإنني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة، فحملته من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة له، وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني، وإنني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، فقد بلغتُ ونصحتُ؛ فاقبلوا نصحي. " والسلام على من اتبع الهدى. ¹ (*)

4- تناول أمور المسلمين وحلّ المسائل الطارئة في حياة الصحابة:

¹ - الباقلائي: إجاز القرآن، ص: 134.

(*) وقد تضطره الظروف والأحوال إلى استعمال القوة مع أعداء الله ورسوله بعد عرض الإسلام عليهم وبعد إنكارهم لذلك.

وكان الرسول الكريم ﷺ كثيراً ما يلتجئ إلى الخطبة لحلّ بعض المسائل العالقة في حياة المسلمين اليومية أو الأسبوعية والموسمية، فيستغلّوا بعض الأيام من الأسبوع أو المناسبات الدينية، مثل يوم الجمعة-وهو العيدُ الأسبوعيُّ للمسلمين- أو صلاة العيدين ...الخ.

وكان المسجد النبوي الشريف قبلةً لهذه الأحداث العظام، كيف لا؟ وهو الذي عرف أول خطبة للجمعة في الأسبوع الأول من السنة الأولى للهجرة النبوية، بعد استقرار الرسول والمهاجرين في دار الهجرة.

وكثيراً ما كان الرسول الكريم ﷺ يدعو إلى الصلاة الجامعة لحلّ الأمور الطارئة على حياة المسلمين، فيدعو إلى الصلاة في غير وقتها بالمسجد بغرض مناقشة الأمور المستجدة في حياتهم، وكثيراً ما كان يخاطب الحضور في هذه الصلاة الجامعة بقوله: "ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا؟".

وقد كانت هناك خطب قصيرة غايتها حلّ المسائل الطارئة بين المسلمين في الصلاة الجامعة؛ وكثيراً ما كان النبي ﷺ يلتجئ إلى أسلوب التعميم في تبليغ بعض القضايا للناس حتى لا يجرح الفاعل؛ أي: المخالف لأمر النبي أمام الملا من المسلمين؛ فيقول: " ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا، أو تصرفوا على هذه الشاكلة؛" مثل حديث بريرة؛ والتي تقول عنها أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): "جاءتني بريرة؛ فقالت: كاتبته أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية، فأعينيني، فلما بلغ النبي ﷺ، قام في الناس مخاطباً؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله، فهو باطلاً وإن كان مائة شرط، وقضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق."¹

(*)

5 - الدعوة إلى تحقيق تقوى الله عز وجلّ والامتثال لطاعته: كانت تعاليم الإسلام ولا تزال تدعو إلى تحقيق تقوى الله عز وجلّ والامتثال إلى طاعته، ومما توضح تلك التعاليم الإسلامية

¹- الحميدي، محمد بن فتوح: الجمع بين الصحاحين، جزء: 4، ص: 16، رقم الحديث: 3148.

(*) بريرة: هي أمة أرادت أن تعتق نفسها؛ أي: (كانت تريد استرجاع حريتها)، حيث أنها كاتبته مولاهما على شروط هي ليست من كتاب الله عز وجلّ.

ومن هنا يتضح أنه كانت لرسول الله ﷺ خطبٌ طويلة، وأخرى قصيرة لتبليغ ما أمر بتبليغه و إيصاله للناس رغبة في هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ أي: إلى نور الإسلام السّمح الحنيف.

المثاليّة؛ ماجاء في الخطبة الأولى لأوّل جمعة ألقاها الرّسول ﷺ يوم وصوله إلى المدينة المنورة ما يلي:

"... من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط، وظلّ ظلّالاً بعيداً؛ أوصيكم بتقوى الله، فإنّه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة. واحذروا ممّا حدّركم الله في نفسه، فإنّ تقوى الله لمن عمل به على وجلٍ ومخافةٍ من ربّه عون صدقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين ربّه من أمره في السرّ والعلانيّة، لا ينوي به إلاّ وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان ممّا سوى ذلك يودّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً.

وإنّ تقوى الله توقي مقتته، وتوقي عقوبته، وتوقي سخطه، وإنّ تقوى الله تبيّض الوجوه، وترضي الرّب، وترفع الدّرجة، فخذوا بحظّكم، ولا تفرطوا في جنب الله، فقد علّمكم كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين..."¹

6 - تحقيق العدل والمساواة بين النّاس: عن عائشة أمّ المؤمنين - رضي الله عنها - أنّ امرأة من بني مخزوم سرقت حلياً، وأنّ قريشاً أهمّها شأن هذه المرأة التي سرقت؛ فقالوا: "ومن يكلم رسول الله ﷺ عنها؟" فقالوا: "ومن يجترئ على ذلك إلاّ أسامة بن زيد - حبّ رسول الله - فكلمه أسامة فقام الرّسول في النّاس مخاطباً.

وأخرج البخاريّ ومسلم وغيرهما عن عائشة أنّه قال: "أيّها النّاس: إنّما أهلك الذين قبلكم؛ أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحدّ، وإيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعن يدها."² وفي رواية أخرى: (لقطع محمّد يدها).

ونستنتج من هذا أنّ الخطابة النّبويّة تدعو إلى تحقيق المثل العليا على هذه البسيطة التي ملئت جوراً.

7 - جهاد الأعداء ومحاولة تأمين حدود الدّولة الإسلاميّة الفتية:

¹ - الطّبري، محمّد بن جرير بن غالب، أبو جعفر: تاريخ الطّبري، الجزء الثّاني، مطابع دار المعارف - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، تاريخ الطّباعة: 1968 م، ص: 395.

² - حديث نبويّ شريف أخرجه البخاريّ ومسلم في صحيحيهما عن عائشة - أمّ المؤمنين - (رضي الله عنها).

وقد استعملت الخطابة في نشر روح الجهاد في سبيل الله لنشر الرسالة الإسلامية في الأمصار المحيطة والقريبة من حدودها، وفي محاولة تأمين الحدود الإسلامية من خطر الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين الذين كانوا يترصّون بها ويكيدون المكاييد للمسلمين بغرض عرقلتهم في نشر تعاليم وشريعة الإسلام، والتي جاءت لكافة الناس لتخرجهم من الظلمات إلى النور، وفي هذا الغرض؛ يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۗ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) ۝ 1

والملاحظ أنّ الرسول ﷺ إنّما قاتل الذين بدأوا بقتاله ومحاربة دعوته، أو لتأمين حدود دولته الفتية.

8 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من المبادئ التي قامت عليها الشريعة الإسلامية عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولذلك فكثيرا ما كانت الخطب الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية بالذات واعظة للمسلمين، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) ۝ 2

وكان الرسول ﷺ يحثُّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الطرقات لما نهى المسلمين عن الجلوس فيها، لكنّ المسلمين ادّعوا أنّهم لم يجدوا غيرها، وفي هذا الشأن يقول الرسول ﷺ: "إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يارسول الله ما لنا من مجالسنا بدّ نتحدّث فيها، قال: فأما إن أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقّه، قالوا: يارسول الله فما حقّ الطريق؟ قال: غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السّلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر." 3

وإذا فهناك الكثير من الميادين التي تناولتها الخطابة النبوية غير أنّ المقام لا يتسع لذكرها جميعاً وبكلّ تفاصيلها والعبرة فيما ذكر.

1 - التوبة: 73.

2 - آل عمران: 110.

3 - حديث نبويّ شريف أخرجه البخاريّ ومسلم في صحيحهما عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه.

المبحث الثاني: عوامل قيامها وأهم مميّزاتها.

المطلب الأول: عوامل قيامها.

كانت للخطابة الإسلامية التي عرفها العهد النبويّ عوامل ساعدت على رقيّها وازدهارها، ومن هذه العوامل؛ والتي أدّت إلى رقيّها آنذاك ما يلي:

1 - 1: القرآن الكريم.

وجدت الخطابة في البيئة الإسلامية عوامل رقيّ ونموّ وأسباب تقدّم وتطوّر، فقد كانت الحياة العربيّة خصبةً بالتقوى والإيثار وقوة الرّوح التي جاء بها الإسلام بنزول القرآن الكريم الذي زلزل عرش كسرى- ملك الفرس- وانكمش ملك قيصر- ملك الروم البيزنطيّين- تحت سيفه، إنّه هو الذي أوجد تلك القوة الخارقة التي دكّت العروش وزلزلت القلوب، وجعلت من سكّان الصحراء حكّاماً لبلاد الفرس السّاسانيّين والروم البيزنطيّين.¹

فقد جاء القرآن الكريم منذ مطلع القرن السّابع للميلاد على لسان سيّدنا محمّد ﷺ، فهزّ النفس العربيّة، وأصاب شغفها، وتحديّ اللّغة العربيّة بأسلوبه وبيانه الأخاذ للقلوب والألباب؛ بل وتحديّ كلاً من الإنس والجنّ على حدّ سواء، وذلك بأنّ يأتوا بآية واحدة من مثله، تكون أفضّ لما جاء به، وأبلغ في تكذيبه، وأسرع في تفريق أتباعه؛ والذي يقول الله تبارك و تعالی في شأنه: ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (88).²

وبهذا فالقرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي أهدى اللّغة العربيّة الفاظاً ومصطلحاتٍ ما كان للبشر القدرة على الإتيان بها أو حتّى بمثلها، كما ساهمت كلماته في ترويض اللسان العربيّ وغير العربيّ على اقتباس ألفاظه في كلامهم وحتّى العاديّ منه، أو تضمين كلامهم بشيءٍ منه، أو الاستشهاد به في الكثير من مواقفهم. وما دام القرآن الكريم كتاباً معجزاً في آياته باختلاف أشكالها وأسلوبه البيانيّ البليغ أيّما بلاغة؛ فإنّ البشر والجنّ نفسه سيظلّان

¹- أبو زهرة، محمّد: الخطابة (أصولها وتاريخها في أزهي عصورها عند العرب)، مطبعة العلوم، شارع الخليج -

القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، الطّبعة الأولى: 1359 هـ / 1934 م، ص: 47، 48 - بتصرّف -

²- الإسراء: 88.

عاجزين أمامه؛ وفي هذا يقول تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) ﴾. ¹

وإذا كان أثر القرآن الكريم في مناوئيه بهذه الشاكلة؛ وهم قوم خصّمون وهو ما علمنا من حيرة ودهشة وعجز، بل إعجاب، ولكن مرض النفوس والكفر والعناد كلّها تحاول أن تخفي ذلك الإعجاب به، فكيف كان أثره في الآخذين بهديه المقتبسين من نوره؟ ²

ولقد أثر القرآن الكريم فيهم أبلغ تأثير، وأفادت الخطابة أعظم فائدة، وجنت منه أكبر الثمرات من ناحيتين؛ وهما:

- **أما الأولى:** اكتسبت اللغة العربية من القرآن الكريم سعة في المعنى؛ حيث أتى بمعانٍ لم يتورد العرب من قبل موردها، إذ كانوا حسيين، وكانت لغتهم حسيّة؛ فجاء القرآن الكريم، وحدّث عن النفس فوصفها وصفاً لم يعهد به من قبل. حيث أحسن وصفها؛ إذ حلّ نفس الإنسان الضالّ وبيّن علة ضلاله، كما درس نفس المهتدي ووضّح طريق اهتدائه، وصوّر تقلّبات القلوب وخلجات النفوس، وما يؤثّر في المشاعر، كما دعا كلّ المسلمين لينهلوا من منهل العذب، فسمت به اللغة العربية إلى مستوى ما كان ليتهياً لها بغير القرآن الكريم. ³

وقد جاء القرآن الكريم في لفظ سهل متين، خالٍ من الألفاظ الخشنة الجاقّة، حيث يصل إلى الغرض المرغوب فيه من أقرب المسالك؛ فأعجب به قارئوه ومستمعوه، فحاكوه في نهجه، وإن لم يساموه في قدره، وتهذّبت به اللغة العربية أيّما تهذيب؛ حيث سهلت عباراتها، ورقت أساليبها، واستأنست ألفاظها، وكان لها فتحاً عظيماً في علم الأسلوب والبيان. ⁴

- **وأما الأخرى:** فإنّ الخطباء قد أخذوا ينهجون نهج القرآن الكريم في الاستدلال بأدلّته بعد أن وجدوا فيه أبلغ طرق الإقناع الخطابية؛ حيث اجتمع في أدلّة القرآن الكريم ما لا يمكن أن يجتمع فيما سواه؛ حيث تجد فيها استقامة المعنى إذا ما قيس بمقياس المنطق، فالمقدّمات

¹ - الجن: 1، 2.

² - أبو زهرة، محمّد: الخطابة (أصولها وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب)، ص: 48. بتصرّف.

³ - نفسه، ص: 50. بتصرّف.

⁴ - نفسه، ص: 50.

تلاءمت مع النتائج، وتوافرت فيها كل شروط النتائج، كما ظهر فيها جمال اللفظ، وأشرقت فيها جودة الأسلوب، وعلا فيها سلطان المنطق وإثارة الرغبة في الوصول إلى الحق اليقين.¹

وإنّ القرآن الكريم كتابٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فهو تنزيلٌ من حكيم حميد، ولننعمن معاً في قوله تبارك وتعالى؛ وهو يخاطبُ العقلَ والمنطقَ البشريَّ، حيث يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (22).²

وقد وجد الخطباء في القرآن الكريم معلماً لطرق الإقناع والاستدلال، فتأثروا بطريقته واقتبسوا من عباراته؛ حتى أصبح من مزايا الخطبة عندهم أن تكون مشتملة على شيء منه، وفي هذا الشأن يقول الجاحظ: "كانت العرب تسمى الخطبة التي لم تُوشح بالقرآن، وتُزين بالصلاة على النبي ﷺ بالشوهاء."³

وقد نزل هذا الكتاب العزيز بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، فراع العرب سحره، وبهرهم أسرته، وأخذ بمجامع قلوبهم بيانه السحريّ، وأسلوبه المعجز القاسم، فتوهمه سحرًا، وما هو بالسحر، وظنّوه شعراً، وما هو بالشعر، وقالوا عنه أساطير الأولين.⁴ ولكن هيهات فما هو بالسحر ولا بالشعر، ولا هو بأساطير الأولين؛ بل هو قرآنٌ مجيدٌ في لوح محفوظ.

وكما يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (69) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (70).⁵

1 - 2: الحديث النبوي الشريف.

يعتبر كلام النبي ﷺ الكلام الذي يلي منزلة القرآن الكريم احتراماً وإجلالاً، وقد اجتمعت فيه فصاحة اللفظ وجودة المعنى وحسن الأداء، حيث بلغ من البلاغة الذروة، ووصل من الروعة إلى القمة؛ فهو من جوامع الكلم، فيه روائع الحكم، وهو القول الفصل أخذ من القرآن، وأوحى

1 - السابق، ص: 50.

2 - الأنبياء: 22.

3 - نفسه، ص: 51.

4 - السيوفي، مصطفى: تاريخ الأدب في صدر الإسلام، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، (ش، م، م)، الطبعة الأولى،

تاريخ الطباعة: 2008 م، ص: 22.

5 - يس: 69، 70.

إليه به الرحمن، تحيط به هالة روحية، وتجد له جلالاً تحسّ منه بشعاع النبوة؛ ولو أنّ كلامه عرض عليك منسوبا لغيره لأنكرت هذه النسبة، ورددت الحق إلى صاحبه.¹

ويقال أنّ أبا بكر الصديق-رضي الله عنه- قال لرسول الله ﷺ: "لقد طفتُ في العرب، وسمعتُ فصحاءهم، فما سمعتُ أفصح منك فمن أدبكَ؟" فقال النبي ﷺ: "أدبني ربّي فأحسن والحديث النبويّ الشريف هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثرت معانيه وجلّ عن الصنعة ونزه عن التكلّف؛ حيث استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشيّ- إلاّ القليل منه- كما رغب عن الهجين السوّقي، فلم ينطق فيه النبيّ ﷺ إلاّ عن حكمةٍ بليغةٍ، ولم يتكلّم إلاّ بكلامٍ قد حفّ بالعصمة وشيّد بالتأييد ويسرّ بالتوفيق.²

(*)

وبهذا فالحديث النبويّ الشريف يمثل الرّكيزة الأسمى بعد القرآن الكريم؛ فقد اجتمعت فيه كثير من الصفات من حيث اللفظ والمعنى، ومن حيث حسن الأداء. وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86) إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَزَرُ لِلْعَالَمِينَ (78)﴾.³

وإذاً فالحديث النبويّ الشريف يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث القيمة ومن حيث كونه الممؤن الثاني للغة العربية بألفاظٍ بليغةٍ لها من من القيمة في ميزان اللغة ما لها؛ لأنّ الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأنّ كلّ ما يقوله ما هو إلاّ وحيّ يوحى إليه من ربّه؛ وبهذا فكلامه له من القيمة اللغوية والبلاغية ما له من المكانة، وهو عين الحكمة التي لا ينطق بها إلاّ رسول جاء من عند الله يهدي إلى صراطه المستقيم، وكان الذي يخرج من لسانه كلاماً غايةً في البلاغة بعيداً عن كلّ الشبهات متمماً لما لم يأت به القرآن الكريم.

¹- أبو زهرة، محمّد: الخطابة (أصولها وتاريخها)، ص: 51.

²- مصطفى السيّوقي: تاريخ الأدب في صدر الإسلام، الدار الدّولية للاستثمارات الثقافيّة- القاهرة- مصر، طبعة رقم: 1 ، تاريخ الطّباعة: 2008 م، ص: 46- بتصرف-

^(*) وبهذا يأتي الحديث النبويّ الشريف بأقسامه المختلفة (صحيح، حسن، متفق عليه، قدسي...) من حيث الإجلال والتعظيم في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، وحاشا لرسول الله ﷺ أن ينطق عن الهوى، وفي هذا الشأن يقول

المولى تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (2) إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (3)﴾. [النجم: 02، 03].

³- ص: 86، 87.

وكان للحديث النبوي الشريف أثرٌ في الخطابة من ناحيتين؛ وهما:

- **أما الأول:** فمن ناحية تأثيره في اللغة، لأنّ الحديث أضاف إلى اللغة العربية ثروةً من المعاني، وثروةً أخرى من الأساليب التي كانت تُعدُّ ابتكاراً، مثل قوله ﷺ لمن كان يسوق إبلاً بعنف، وكانت تلك الإبل تحمل نساءً على ظهرها: "رويدك رفقا بالقوارير، ولأنّ الحديث النبوي هدّب اللغة العربية تهذيباً قريباً من تهذيب القرآن الكريم؛ فسهل ألفاظها، ورقق أساليبها، وذهب بالوحشي منها.¹

وكان للحديث النبوي الشريف الأثر البالغ في اللغة العربية؛ حيث أضاف إليها الشيء الكثير؛ حيث زودها بالألفاظ السهلة ذات المعاني البليغة، كما كان لهذا الحديث باختلاف أنواعه وأشكاله أثر كبيرٌ على اللغة العربية من حيث اللفظ والمعنى.

- **وأما الآخر:** فإن كثيراً من الخطباء كان يربط كلامه بشيء من الأثر النبوي تيمناً بأحاديثه، والاستشهاد بها في خطبهم، لكي يكسبوا كلامهم روعةً ورونقاً.²

وفي مقال لمجلة الشهاب - لسان حال جمعية العلماء الجزائريين - بعنوان: اليوم العالمي للغة العربية، ومما جاء فيه باختصار: "... فاللغة العربية هي المدخل لفهم كتاب الله وسنة رسوله طبقاً لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (3)، [فصّلت: 02].

كما أنّها نقلت على مدى قرونٍ عديدةٍ الثقافة العربية والإسلامية إلى شتى بقاع المعمورة؛ ولا سيما تلك المناطق التي تعرّضت إلى الفتوحات الإسلامية لمدى طويلٍ خلال القرون الوسطى ممّا جعلها تسهم في نشر الإسلام الذي يبّد ظلام القلوب بنوره، ويزيل بعلمه جهل العقول.³

1-3- الخطابة النبوية: كانت خطب النبي ﷺ هي المثل الأعلى الذي يحتذي به الخطيب الموقّق؛ والتي كانت في جملتها تهوّن من شأن الدنيا، وتذكّر بالآخرة، وتحتّ على مكارم الأخلاق، وحسن المعاملة، وهي خليفة أن تكون دستوراً للمسلمين وقانوناً لهم لا يخالف أيّ

¹ - أبو زهرة، محمّد: الخطابة (أصولها وتاريخها في أزهي عصورها عند العرب)، ص: 53.

² - نفسه، ص: 53. - بتصريف -

³ - يوسف جمعة، سلامة: مقال بعنوان (اليوم العالمي للغة العربية)، مجلة البصائر الأسبوعية، من: 09 - 15

ربيع الثاني/ 1440هـ / الموافق ل: 17 - 23 ديسمبر/ 2018 م، العدد: 940. ص: 16. - بتصريف -

شيء منه، وهي في واقع الأمر بناءً للأمة وسعادة لها ورفع لشأنها وشأن أبنائها، حتى أنّ علماء الأخلاق وزعماء الإصلاح لا يزالون يجدون فيها مدداً كبيراً لهم وسنداً قوياً، ويتخذون منها هادياً ومرشداً لهم في أعمالهم الإصلاحية.¹

وقد كان لرسول الله ﷺ خطبٌ كثيرةٌ شملت شؤوناً عديدةً، وكانت كلّها تنتم بأنّها عمل لله تبارك وتعالى وقربى إليه، وهي التي كانت نبزاً منيراً للخلفاء الراشدين والصّحابة الكرام والتابعين والحكام وغيرهم، ومن عاش بعدهم.

وكثيراً ما كانت تتصلّ بأعماق القلوب وببواطن الأفئدة، فتترك أثراً عميقاً في النفوس، فيستقيم به السلوك المعوج، وتقلّ من الغرائز الجامحة، وتعدّل العصاة بالتالي عن ارتكاب الذنوب والمعاصي.²

وكانت هذه الخطبُ مُجملةً وقصيرةً في غالبيتها، لكنّها كانت تخاطب القلب والعقل، فيستطيع الواعظ استناداً إليها أن يولّد خطباً مطوّلة مما يؤدي به إلى الشرح والتحليل.

وكانت هذه الخطب الدينية في غالبيتها أبلغ في النفس، وخاصةً إذا كان صاحبها ذا رغبة جامحة في نشرها وإذاعتها بين الناس، وقد قيل قديماً: "ما خرج من القلب وصل إلى القلب، وما كان من اللسان فقط لا يُجاوز الأذان".

1-4- تكوين حكومة نظامية: إنّ تكوين حكومة جديدة كان هو الآخر عاملاً من عوامل اتّساع موضوعات الخطابة الإسلامية، وقد كانت الخطابة أداة اتّصال بين الحاكم والمحكوم، فكان الحاكم يبيّن بواسطتها ما يريد أن يكون عليها المحكوم من طاعة في الحق وإرشاد للحاكم بالمعروف.³

¹ - عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، تاريخ

الطبعة: 1408 هج/ 1986 م، ص: 196. - بتصرّف -

² - نفسه، ص: 196. - بتصرّف -

³ - أبو زهرة، محمّد: الخطابة (أصولها وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب)، ص: 54. . بتصرّف.

1- 5 - الوعظ الديني: كان للوعظ الديني الشأن الأول لدى المسلمين، لأن الإسلام هو أساس وحدتهم وجامع كلمتهم، ومكون دولتهم، فالإسلام يحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو قوام هذه الأمة، ومناط عزها، وطريق رقيها.¹

وكانت خطبة الجمعة ولا تزال فرضاً في يوم الجمعة؛ وهي في الأصل خطبتان يجلس الإمام بينهما جلسة خفيفة بعد انتهاء الخطبة الأولى، وقد أقيمت لغرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعالجة أمور المسلمين بما يرتضيه القرآن الكريم وتبئته السنة النبوية المطهرة، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (110)، [آل عمران: 110].

وهي تقام في العادة أسبوعياً، فتجمع المسلمين في المساجد لذكر الله تعالى وللاستماع للوعظ الديني بإلقاء الإمام لخطبتين، يجلس بينهما هنيئاً، يأمر بالمعروف وينهى فيهما عن المنكر، وفي هذا يقول تبارك وتعالى في سورة الجمعة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (11).²

المطلب الثاني: أهم مميزاتهما.

2 - 1 - الألفاظ: اتصفت ألفاظ الخطابة في هذا العهد بالصفاء والسهولة؛ حيث عذبت ورقت، وذلك لأن القرآن الكريم واقتفاء طريقه؛ وذلك لأن سبيله أصبح المثل الأعلى في الخطب، ولذلك نجد الخطباء كانوا يحاولون محاكاته، وإن لم يتساموا إليه، ولأن نفوسهم هذبت، ولأن الإسلام من جفوتها، وقلل من شدتها، وبدلها مكان القسوة رحمةً، ومكان العنف رفقاً، وإذا رقت النفس لا يصدر عنها إلا العذب من الألفاظ، والسهل من الكلمات، والتي هي الصورة

¹ - السابق، ص: 54، 55.

² - الجمعة: 9، 10.

الحيّة لهذه النفس التي تجيش بها؛ ولأنّ الدولة الإسلاميّة اتّسعت حدودها حيث وصل المسلميّين من النعيم ما وصلهم، فلانت ألفاظهم وسهلت عباراتهم في أحاديثهم وخطبهم.¹

ولقد ذهب من هذه الألفاظ ما كان غريباً وحشياً؛ وهذا لاجتماع العرب على لغةٍ واحدةٍ وهي لغة قريش، وبذهاب تلك اللغات، التي لم يبق منها إلاّ النادر من الألفاظ والأساليب، فكان عماد الخطابة في ظلّ الإسلام المألوف والمكشوف.

وكانت الغاية إذاً، إمّا إفهام النّاس السنن والأحكام والشرائع، وإمّا الحثّ على الجهاد في سبيل الله، وإمّا المشورة وإبداء الرأي والنصيحة للإمام وكلّ هذه الأمور تقتضي الوضوح والسهولة، وكان الثّراورن والمتفقيّهون^(*) هم أبغض النّاس إلى نفس النبيّ ﷺ وقلبه.² (*)

وقد ذهب الغريب الوحشيّ من كلام الخطبة آنذاك - إلاّ ما قلّ - وقد اجتمع العرب على لغةٍ واحدةٍ؛ ألا وهي لغة قريش مع بقاء بعض الأساليب العربيّة النادرة لأنّ الهدف من مضمون الخطبة إمّا هو إقناع النّاس بما يجب إقناعهم به.

2-2- المعاني: سلكت المعاني في الخطابة مسلكاً يتفق مع الحياة الإسلاميّة في مظاهرها؛ فكانت المعاني:

- في الحرب دينيّة، تدعو إلى مرضاة الله تعالى، وإعلاء كلمته، ونشر دعوته بين النّاس.
- وكانت في الشورى صورةً لفهم الدّين؛ فأهل الحلّ والعقد، كلُّ يُدلي برأيه حسب المبادئ التي ينصّ عليها الإسلام في هذا المضمار، وللشورى في الإسلام شأن عظيم لأنّ آثارها تظهر في الأمور الجسام و لاسيّما تلك الأمور التي لم يرد فيها نصّ مقدّس، وفي هذا الشأن يقول تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.³

¹ - أبو زهرة، محمّد: الخطابة (أصولها تاريخها في أزهي عصورها عند العرب)، الطّبعة الأولى: 1357 هـ / 1934 م، مطبعة العلوم، شارع الخليج - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، ص: 55 - بتصرف -

² - نفسه، ص: 56 - بتصرف -

(*) المتفقيّهون: المتكبرون، ينظر: الكامل للأمام المبرّد، أبي العباس، محمّد بن اليزيد، تحقيق وتعليق: محمّد أحمد الدّالي، المجلّد الأوّل، مؤسّسة الرّسالة - بيروت - لبنان، تاريخ الطّباعة: 1404 هجريّ، د ط، ص: 6.

³ - الشورى: 38.

ونذكر أنّ مسألة التّشاور مع المسلمين يكون في الأمور الدنيويّة؛ والتي لم ينزل فيها نصّ شرعيّ سماويّ يحدّد طريق العمل فيها، أمّا الأمور التي نزل فيها التّشريع الرّبانيّ فهم يقولون: "سمعنا وأطعنا".

وكان أهل العقد والحلّ ممن لهم باعٌ كبيرٌ في العلوم الشرعيّة و في الأعراف القديمة التي كانت سائدة فيما مضى من الأمم السّابقة؛ هم المخولون في البتّ في الأمور الهامّة التي تهّم المجتمع الإسلاميّ الفتّي آنذاك.

- وكانت الخطب دعوةً إلى الاجتماع والألفة، وهي دعوة القرآن الكريم والسنة النبويّة.¹ وكان الخطيب يسلك في الاستدلال الخطابيّ الطريق المنطقيّ والوجدانيّ؛ وهذا لتأثره بالقرآن الكريم في الاستدلال، وأخذه من معانيه، ونيله من هديه، فهو المثل الأعلى الذي به يُحتذى، والمنار الذي به يُهتدى.²

وبهذا كانت المعاني في الخطابة الإسلاميّة قويّة التأثير بإلقائها في نفوس المخاطبين من النّاس إذا ما توافرت أسباب هذا التأثير وترابطت أسبابه، وهي الدّقة في الفكر والاستنباط وإثارة العاطفة لديهم.

2 - 3 - الأسلوب:

بلغ الأسلوبُ الخطابيّ في عهد النبيّ ﷺ مبلغاً سما من أن يحاكيه أسلوب آخر؛ فكانت الخطبة مُجرّاةً ومقسّمةً إلى أقسامٍ، كلُّ قسمٍ يلحق بما سبقه، حيث تبتدئ الخطبة بمقدّمة، وفيها يحمّد الخطيب الله تعالى ويثني عليه بما هو أهل له، لينتقل بعدها إلى الصّلاة على نبيّه ورسوله، ثمّ يأتي إلى صلب الموضوع ليقدم ما يراه دليلاً لدعواه، وبرهاناً لما يراه، وبعد إتمام قوله يتوجّه إلى الله سبحانه وتعالى طالبا منه السّداد والتّوفيق.³

وفوق كلّ ذلك ؛ فالقرآن الكريم والحديث النبويّ الشريفُ فيهما من البلاغة والفصاحة والرّوعة والألفاظ الجزلة والأسلوب الزّائع والمحكم من المعاني ما علمناه وما لم نعلمه، ولذا

¹ - أبو زهرة، محمّد: الخطابة (أصولها تاريخها في أزهي عصورها عند العرب)، الطّبعة الأولى، تاريخ الطّباعة:

1357 هـ / 1934 م، مطبعة العلوم، شارع الخليج - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، ص: 55. بتصرّف.

² - نفسه، ص: 57.

³ - نفسه، ص: 59. بتصرّف.

يلتجئ الخطباء إليهما معاً ليُكسبوا كلامهم طلاوةً، وليعطوه حلاوةً، ويُصبغوا عليه قوةً في التأثير ورنيناً في الآذان ورهبةً في القلوب وجلالاً في النفوس وبهجةً في المشاعر، وقد تلو الآية القرآنية الكريمة بالخطبة فترفعها إلى الذروة، وإلى أعلى عليين من درجات التخاطب، ومن البيان وقمة في التأثير، وبلوغ المقصد من الخطبة بأقصر الطرق الممكنة.

ولعل ما يقوله الجاحظ في هذا الشأن لدليل قاطع على ذلك: "كانوا يستحسنون أن يكون في خطبهم الآي من القرآن الكريم؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع." ¹

وقد تجمل الخطب بأبيات من الشعر؛ والتي هي في العادة ما كانت تتناسب المقام، وتتصل بالموضوع نفسه، كما كانت خطبهم بعيدة عن عدم التكلف والسجع المصطنع، مثل سجع الكهان الذي نهى النبي ﷺ عن محاكاته. ²

وإن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يعجز كل البشر على الإتيان بمثلها وإن حاولوا جهدهم في ذلك، ولذلك نجد كل الخطباء المسلمين يسعون جهدهم في محاولة الاقتباس منهما والنهل من منهلها في كل الظروف والأحوال.

والخلاصة أن أسلوب الخطابة الإسلامية تميّز بالتشويق لاستعمال الألفاظ الجزلة غير المصطنعة البعيدة عن صنعة السجع الذي يعتمد على التكلف، كيف لا؟ وقد راح المسلمون ينهلون من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف الشيء الكثير فيما يقولونه من شعر، أو نثر، أو خطابة. كيف لا؟ والقرآن الكريم به من البلاغة والفصاحة والروعة والإعجاز ما يبهر الأبياب والعقول، وكذا الحديث النبوي الشريف فيه الشيء الكثير.

وإن ظهر السجع في بعض خطب ذلك العصر المجيد موجوداً، فإنه بالمقارنة بغيره من العصور، فهو قليل جداً مقارنة بما كان سائداً. وإن كانت الخطابة الإسلامية عرفت نوعاً من السجع، فلحالات وظروف ربما دعت الحاجة إليها فقط، ومما جاء في كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، قوله: "وعلى الجملة، فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً حتى

¹ - السابق، ص: 60 - بتصريف -

² - نفسه، ص: 60 . بتصريف -

يكون المعنى هو الذي طلبه، واستدعاه، وساق نحوه، وحتى تجده عندئذ لا تبتغي له بدلاً، ولا تجد عنه حولاً.¹

ومما جاء من السجع في تلك المرحلة فهو قليل بالمقارنة بالعصور الأخرى، ومما ذكره الشيخ عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة أيضاً، ما قاله الرسول ﷺ عن بقاء أمته على خير:

- "لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْفِيءَ مَغْنَمًا، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَمًا."
- وكذا ما قاله الرسول ﷺ حين قدومه المدينة المنورة: "أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ."^{2(*)}

2 - 4 - طول الخطب وقصرها:

إن أكثر الخطب المروية عن هذا العصر هو قصير لا طويل، فيه الإيجاز أكثر من الإطناب، ولعل الموجز منها؛ هو جزء من خطبة طويلة، حفظ هذا الجزء وتبعثر الباقي منها في الأسماع، أو لعله هو الذي استطاع الراوي أن يحفظه في ذاكرته؛ وهذا إما لسهولة حفظه، أو لجودته أكثر من غيره.³

ومن الخطب الطويلة ما يلي:

- خطبة أول جمعة للنبي ﷺ بمسجده الشريف بالمدينة المنورة.
- خطبة الوداع للنبي ﷺ بصعيد عرفات.

وكثيراً ما كانت خطبه عليه الصلاة والسلام تميل إلى القصر أكثر مما كانت تميل إلى الطول، وكثيراً ما كانت تلقى حسب الأحداث التي تحدث بين المسلمين في بعض الأحيان بصورة عامة. ونستطيع أن نقول بأن لهذا التمايز أصوله ومقوماته من واقع مصادر الثقافة

¹- الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: أبو فهر، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني. القاهرة. جمهورية مصر العربية، ودار المدني. - جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة رقم: (1)، تاريخ لطباعة: 1412 هـ / 1990 م. ص: 11.

² - نفسه، ص: 13. - بتصرف -.

³- أبو زهرة، محمد: الخطابة: أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، الطبعة الأولى: 1357 هـ / 1934 م، مطبعة العلوم، شارع الخليج - القاهرة - جمهورية مصر العربية، ص: 64. - بتصرف -.

الدينية التي توافرت للرسول ﷺ؛ فقد استقى مادته من فيض الآيات القرآنية الكريمة التي أوحى إليه بها ربّه سبحانه وتعالى، ومن ثمّ كان نبوغه - وهو النّبّيّ الأميّ - على درجة من الخصوصية، حيث اكتملت له من خلالها:

- هيئة الخطيب المتفوق من ناحية.
- وهيبته من ناحية أخرى.

فكان كما زكاه معلّمه الأعلى في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾.¹

وكان هو كما استشعر في أعماقه واعترف بذلك؛ حيث قال: (أدبني ربّي فأحسن تأديبي).²

وكان كما كان في حوارهِ مع النّاس من حوله، وكما وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، [التوبة: 128]، فلو كان فظاً غليظ القلب ضدّ من كان حوله من المؤمنين لانفضوا من حوله.

ولنا أن نتصوّر أنّ خطيب الأمة كلّها بهذه القسمات الجديدة التي ما عرفها العصر الذي سبق ظهوره، والذي أوتي هذا الفيض الربانيّ فكان كما قال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.³

وهذا لنتصوّر ما أتيح له من النّبوغ والتّفوق ما لم يتح لغيره ممّا يمكن أن تستوقفنا قراءتنا لبعض الجوانب من سيرته في هذا المجال.

المبحث الثالث: التعريف بعهد الخلفاء الراشدين.

المطلب الأول: عهد الخلفاء الراشدين.

ويمتدُّ عهد الخلفاء الراشدين من التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى في ربيع الأول من سنة: 11 من التاريخ الهجريّ إلى مقتل الإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه في رمضان

¹ - القلم: 4.

² - حديث نبويّ شريف أخرجه الإمام مالك في موطنه، وقيل حديثٌ ضعيفٌ لاشترك أحد التّابعين في روايته.

³ - العلق: 05.

سنة: 40 للهجرة، وبعضهم يضيف تلك المدّة القصيرة التي تولّى فيها الحسن بن عليّ بعد مقتل أبيه إلى سنة: 41 للهجرة؛ وسنتناول هذا العهد بشيءٍ من التفصيل.

المطلب الثاني: الخلفاء الراشدون.

2- 1- أبو بكر الصّدّيق : من العام(11 هجريّ إلى العام 13 هجريّ)

أ - نسبه و مولده: هو أبو بكر الصّدّيق؛ وهو خليفة رسول الله ﷺ في حكم المسلمين، واسمه: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة بن لُؤيّ بن غالب القرشيّ التيميّ، ويلتقي مع الرّسول ﷺ في الجدّ (مرّة)¹.

وروى الطّبرانيّ عن القاسم بن محمّد: أنّه سأل ابنته عائشة - رضي الله عنها- عن اسم أبيها؛ فقالت: "هو عبد الله"، فقال: "إنّ النّاس يقولون: "هو عتيق"، فقالت: "إنّ أبا قحافة كان له ثلاثة أبناء، وقد سمّاهم: (عتيقاً، ومُعْتَقاً، ومُعَيْتَقاً)".

كما أخرج أيضاً عن عبد بن عبّاس- رضي الله عنهما- أنّه قال: "إنّما سُمّي عتيقاً لصباحة وجهه وحسنه"².

وأخرج ابن منده وابن عساكر، عن موسى بن طلحة، قال: "قلت لأبي طلحة: لم سُمّي أبو بكر عتيقاً؟" فقال: "كانت أمّه لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت، ثمّ قالت: "اللهمّ إنّ هذا عتيقٌ من الموت، فهبْ لي".

وأخرج أبو يعلى في مُسنده، وابن سعد في طبقاته، والحاكم في مُستدرّكه عن عائشة أنّها قالت: "اسم أبي بكر الذي سمّاه به أهله هو: (عبد الله)، ولكن غلب عليه اسم عتيق".

وقال الإمام النّوويّ في تهذيبه: "أنّ اسم أبي بكر الصّدّيق؛ هو: عبد الله بن أبي قحافة؛ وهو الاسم الصّحيح والمشهور.

¹- السيوطي، الحافظ جلال الدّين: تاريخ الخلفاء، مراجعة وتحقيق: جمال محفوظ، مصطفى، دار الفجر للنّراث - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، د ط، د ت، ص: 26.

²- السيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تح: أحمد إبراهيم زهوة، وسعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربيّ . بيروت، لبنان، تاريخ الطّباعة: 1425 هـ / الموافق ل: 2005 م، ص: 28 - بتصرّف-

وإدّا فهو عبد الله بن أبي قحافة، وأمّا تسميته بالصديق فلذلك قصة أخرى.

" وقيل اسمه عتيق، والصواب أن عتيقا هو لقبه وليس اسمه؛ وهذا لعنته من النار." ¹

ومهما يكن من أمر، فإنّ أبا بكر - رضي الله عنه - ولد بعد مولد النبي ﷺ: بأكثر من سنتين، وتوفي بعده - بنحو سنتين - وهو في سنّ الثالثة والسّتين من عمره. ²

ب - سبقه للإسلام : قال عنه حسّان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ:

إذا تذكّرت شجوا من أخي ثقة فاذكّر أخاك أبا بكر بما شغلا

خير البرية أتقاها وأعدّها إلا النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهدًا وأولّ الناس منهم صدق الرّسلا. ³

ج - وفاته: توفي - رضي الله عنه - لسبع ليالٍ بقين من جمادي الآخر سنة: 13 هج، ودفن مع النبي ﷺ في حجرة عائشة (رضي الله عنها). ⁴

د - موقفه من قضية المرتدين والجيش الموجه إلى الرومان البيزنطيين:

● قضية المرتدين: قال عمر بن الخطّاب لأبي بكر - رضي الله عنهما - في قضية المرتدين: "يا خليفة رسول الله تألف بالناس، وأرفق بهم؛ فقال أبو بكر: "رجوت نصرتك وجنتي بخذلانك، أجبار في الجاهلية، خوار في الإسلام؟ إنّه قد انقطع الوحي وتمّ الدين..."، وقال: "والله لو منعوني عقلاً، وفي رواية أخرى (عناً) لجاهدتهم عليه." ⁵ (*)

● قضية جيش أسامة: رفض الصديق اعتراض بعض الصحابة، وتحفظ عمر عن تولية الشاب أسامة بن زيد الجيش الذي جهّزه الرسول ﷺ قبل وفاته لمحاربة الروم البيزنطيين، لكن

¹ - السيوطي، الحافظ جلال الدين: تاريخ الخلفاء، مراجعة وتحقيق: جمال محفوظ، مصطفى، دار الفجر للتراث . القاهرة . جمهورية مصر العربية، د ط، د ت، ص: 26.

² - نفسه، ص: 28. . بتصرف .

³ - نفسه، ص: 30.

⁴ - الفلقشندي، أبو العباس، أحمد شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد: صبح الأعشى، الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - جمهورية مصر العربية، د ط، تاريخ الطباعة: 1340 هـ / 1922 م، ص: 254.

⁵ - الطنطاوي، علي: أبو بكر الصديق، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة . المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، تاريخ الطباعة: 1406 هـ / 1986 م، ص: 15.

(*) ويقصد به هنا (نصيب الزكاة) التي كانت تدفع للرسول ﷺ في حياته، ومنع المرتدون أداءها بعد وفاته إلى خزينة الدولة الإسلامية الفتية في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

انتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى حال دون توجهه إليهم، وقال لعمر وهو الذي كلفه بعض الصحابة في الجيش بخبر اعتراضهم على أسامة: " أيعينته رسول الله ﷺ، ويعزله أبو بكر؟"

وقد ذهب يودع جيش أسامة إلى الروم، وكان يمشي على رجله ماسكاً بلجام الفرس، وأسامة يركب فرسه، فقال أسامة: " والله لتركبن أو لأنزلن "، فقال أبو بكر: " والله لا تنزل ولا أركب، وما علي إلا أن أغبر قدمي بالتراب ساعة.... حتى إذا انتهى إلى الوداع، قال لأسامة: "إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل"، فأذن له أسامة بذلك. ¹ (*)

إن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - كان رجلاً عبقرياً بالفعل، وكان نعم الرجل الخلق والحازم في أمور الجد والحزم، والقادر على تحمل المسؤولية رغم ضعف بنيته الجسمية، ورغم الظروف الصعبة التي شهدتها المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ، وما كان أن يتحول إليه المسلمون لولا أن من الله عليهم برجل حازم متحكم في الأمور الجادة والحازمة مثل أبي بكر، فله دره من رجل عظيم في مثل هذه المواقف!

ومما جاء في عبقرية أبي بكر الصديق لعباس محمود العقاد قوله: "... كان أبو بكر نموذجاً للاقتداء في صدر الإسلام، وكان معجباً بمحمد النبي ﷺ، فكان حبه لشخصه ﷺ هو الذي هداه للإيمان به وبنبوته وتصديق وحبه قبل غيره، وكان يطيعه ويحرص على اتباع سنته وهديه؛ ولذا كان صاحباً له فأمن بصاحبه الذي تطمئن له نفسه وتحب خصاله...". ²

ومما جاء في وصيته لأسامة بن زيد وحيشه أنه قال: " قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني؛ لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا

¹ - السابق، ص: 15. - بتصريف -

(*) يا لها من أخلاق عالية؛ وهي أن يودع الخليفة قائد الجيش (الشاب)، وهو يمشي على قدميه، ثم يستأذن منه أن يترك له عمر بن الخطاب ليستعين به في تفسير الحكم؟ إنها قمة في تفسير الحكم - بطريقة ديمقراطية - كما يقال في أيامنا هذه.

² - العقاد، عباس محمود: عبقرية أبي بكر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - صيدا - لبنان، د ط،

د ت، ص: 64. - بتصريف -

امراً ، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلةٍ. ¹ (*)

وبالفعل فأبو بكر الصديق كان رجلاً عبقرياً، وهو رجل المواقف الحازمة والظروف الصعبة.

2 - 2: عمر بن الخطاب: من العام (13) للهجرة إلى العام (23) للهجرة.

أ - نسبه ومولده: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رواح بن عدي بن كعب بن لؤي، ولد بعد عام الفيل بنحو 13 سنة، وكان من أشرف قريش. ²

وكان عمر رضي الله عنه قويّ البنية طويل القامة، وكثيراً ما كان يصارعه أتراهه فيصرعهم أرضاً؛ ويعني أنّ عمر كان قويّ الجسم مفتول العضلات يهابه أتراهه من الشبان.

ب - إسلامه: أسلم في السنة السادسة للبعثة، وهو ابن 27 عاماً، وفي عملية إسلامه حكاية طريفة ذكرت في كتب السيرة. والزّاحج في إسلام عمر والله أعلم هو دعاء النبي ﷺ له عندما قال: "اللهم أعز الإسلام بأحبّ هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب." وقال: "وكان أحبهما إليه عمر." ³ (**)

ج - خلافته: تولى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه - سنة: 13

¹ - البيطار، محمد شفيق: ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، مجمع العربية السعيدة -

صنعاء - اليمن، الطبعة الأولى، تاريخ النشر: 1441 هـ / 2020 م، ص: 256.

(*) إنها قمة عالية، وهمة شامخة في المعاملات العسكرية؛ والتي حدثت قبل 14 قرناً من الزمان. فأين المتشدقون من الغرب وممن - والوهم من بني جلدتنا - من هذه التصرفات النبيلة، والوصايا الحكيمة؟

² - الإمام السيوطي، الحافظ جلال الدين: تاريخ الخلفاء، مراجعة وتحقيق: جمال محفوظ مصطفى، ص: 89.

³ - المصري، محمود، أبو عمّار: أصحاب الرسول ﷺ، الجزء الأول، مراجعة وتقديم: الشيخ أبو إسحاق الحويني، وزكي محمد، أبو سريع، دار الإمام مالك للكتاب. طباعة ونشر وتوزيع. باب الوادي. الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة 1428 هـ / 2007 م، ص: 88.

حديث رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم: 9، الصفحة: 506.

(**) زار عمر أخته فاطمة يوماً، وضربها فشح رأسها، ثم تأثر من ذلك الموقف، فطلبت منه أن يتوضأ قبل قراءة الصحيفة التي كانت بيدها، وبعد قراءتها انشرح صدره للإسلام، فتوجه إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ حيث كان الرسول ﷺ وصحابته الكرام، وأشهر إسلامه أمامهم، ثم خرج إلى باحة البيت الحرام ليعلن إسلامه أمام الملا من قريش. ويقصد به الرسول ﷺ:

(إ) إِمّا: عمرو بن هشام المدعو: (بأبي جهل).

(ب): أو عمر بن الخطاب؛ والذي كان أحبهما إلى الله تبارك وتعالى.

للهجرة إلى تاريخ استشهاده على يد أبي لؤلؤة، فيروز المجوسي سنة: 23 للهجرة خلت.
 د - وفاته: قُتل عمر رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة فيروز المجوسي - أحد عجول
 الفرس الوثنيين والذي قام بطعنه بسكين حادة في ظهره عدة طعنات مميتة أثناء أدائه لصلاة
 الصبح إماماً للمسلمين في المسجد النبوي الشريف في يوم ما من الأيام من سنة (23)
 للهجرة).

هـ - موافقة القرآن الكريم لرأي عمر: كثيراً ما كان القرآن الكريم يأتي موافقاً لرأي عمر بن
 الخطاب- رضي الله عنه -وهو الذي تميّز بقدر كبيرٍ من الإيمان، وغيرته الشديدة على
 الإسلام والمسلمين، ومن أبرز مواقفه:

* قوله لأزواج النبي ﷺ: وكان هذا الأمر في الوقت الذي اجتمعت فيهنّ الغيرة عليه: "عسى
 ربّه إن طلقك أن يبدله أزواجاً خيراً منكّن مسلماتٍ...، فنزل قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ
 طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مِّنْ مَّسَلَمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ
 وَأَبْكَارًا (5)﴾. [التحریم: 5].¹

* ويستشير الرسول ﷺ أبا بكر في قضية أسرى بدر، فيقول: "...أرى أن نأخذ منهم الفدية،
 فيكون ما أخذناه منهم قوّة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً"، ويوجّه
 الرسول ﷺ السؤال نفسه إلى عمر، فيقول: "أرى أن تمكّنتي من فلان، وتمكّن علياً من فلان،
 وتمكّن حمزة من فلان فنضرب أعناقهم حتّى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للمشركين."²

ويفضّل الرسول الكريم رأي أبي بكر على رأي عمر، فأخذ من قريش الفداء، وينزل
 جبريل عليه السّلام بعتاب ربّاني للرسول ﷺ عن أخذه للفداء مؤيِّداً رأي عمر في قتل الأسرى.³

وفي هذا يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ
 تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ

¹ - عبد الله عليّ جابر المري: رسالة ماجستير بعنوان: خطابة الفاروق، دراسة أسلوبية، إشراف: عبد الرؤوف زهدي
 مصطفى، جامعة الشرق الأوسط - عمّان - المملكة الأردنية الهاشمية، الموسم الجامعي: 2011 م - 2012 م،
 ص: 30، 31. -بتصرّف -

² - أحمد محمد جمال: القصص الرمزي في القرآن الكريم، مكتبة رحاب- الجزائر - الطبعة الخامسة، تاريخ
 الطباعة: 1407 هـ / 1987 م، ص: 82. -بتصرّف -

³ - نفسه، ص: 82. - بتصرّف -

لَمَسْتُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿69﴾.¹

وقد منع الله العذاب عن المسلمين لحكمة منه ورحمة لما سبق في كتابه بإحلال
الغنائم وفداء الأسرى، وبالعفو عن المسلمين والمغفرة لهم فيما اختاروا من الفدية في أسرى
بدر مؤكداً ما سبق من كتابه في ختام هذه الآيات المعاتبية للرسول ﷺ في قوله تبارك و
تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.²

- وقوله للنبي ﷺ: "يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى"؟ فنزل قوله تعالى:
﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ ﴾ (125)، [البقرة: 125].
- وقوله له: "يا رسول الله إن نساءك يدخلن عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن
يتحجبن"؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ
لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾. [الأحزاب: 53]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾. [الأحزاب: 6].

- ومن مواقف عمر وحده ما يرويه البخاري ومسلم في صحيحهما: "أن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما قال: "لما توفي عبد الله بن أبي بن سالول جاء ابنه عبد الله إلى رسول
الله ﷺ، وسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه فأعطاه إياه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول
الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر وأخذ بثوبه، وقال: "يا رسول الله وقد نهاك ربك أن تصلي
عليه"، فقال الرسول ﷺ: "إنما خيرني الله، فقال: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴾ (80). [التوبة: 80]، وسأزيد على السبعين، فقال عمر: "إنه منافق"، قال:
فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ
أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (84). [التوبة:
84].³

¹ - الأنفال: 68، 69، 70.

² - أحمد محمد جمال: القصص الرمزي في القرآن الكريم: ص: 83. بتصرف.

³ - حديث نبوي شريف رواه الشيخان (البخاري ومسلم) في صحيحهما الجامع عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما.

و - عمر رجل دولة بالمعنى الصحيح: ممّا جاء في كتاب عبقرية عمر لعباس محمود العقاد قوله: "... وعمر الذي كان يقنع بالخشن الغليظ من المأكل والملبس، ويأبى أن يذوق في المجاعة مطعماً لا يسع جميع المسلمين إنّما هو الخليفة الذي يحاسب نفسه قبل أن تحاسبه رعيته.¹

وهذا ممّا يفسّر جزءاً من أخلاق هذا الرجل العظيم في التّعامل مع النّاس وفي كلّ الظروف؛ وخاصّة الصّعبة منها؛ وممّا يمكن قوله أنّ أبا عبيدة بن الجراح كتب إليه بأنّه لا يريد الإقامة بأنطاكية لطيب هوائها ووفرة خيراتها؛ وهذا مخافة أن يخذ الجنود إلى الرّاحة فلا ينتفع بهم في القتال، فأنكر عليه ذلك وأجابه: "إنّ الله جلّ وعلا لم يحرم الطيّبات على المتّقين الذين يعملون الصّالحات؛ حيث يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۗ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (51)﴾. [المؤمنون: 51]؛ ولذا كان عليك أن تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون في مطعمهم ويريحون الأبدان النّسبة في قتال من كفر بالله." ²

وحدّث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أنّه أقبل على النّاس وبين أيديهم القصاع، فدعاه عمر إلى الطّعام وعنده خبزٌ غليظٌ وزيتٌ، فقال حذيفة: "أمنعتني أن آكل الخبز واللّحم ودعوتني على هذا؟ فقال عمر رضي الله عنه: "إنّما دعوتك على طعامي، وأمّا ذاك فطعام المسلمين." ³ (*)

ذلك هو عمر بن الخطّاب الذي تتحدّث كتب السيرة، وعن حسن تصرفاته واهتمامه بالرّعية أكثر من اهتمامه بنفسه وولده ومحافظة على المال العام وإنفاقه فيما يرضي الله تعالى ورسوله.

2 - 3 - عثمان بن عفّان:

أ - نسبه: هو عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن

¹ - العقاد، عباس محمود: عبقرية عمر، مكتبة رحاب نهج روسيني، ساحة بورسعيد - الجزائر - تاريخ الطّباعة: 1410 هـ / 1989 م، ص: 96.

² - نفسه، ص: 97. - بتصرّف -

³ - نفسه، ص: 97.

(*) لله درك يا عمر تفضّل أن تعيش رعيّتك في رغد العيش، وتحرم نفسك وأهلك منه، فيا ليتك يا عمر أن طال العمر.

قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأموي، أبو عمرو، ويقال له: "أبو عبدالله، وأبو ليلي." ¹

ب- مولده: ولد عثمان بن عفان - رضي الله عنه- في السنة السادسة من عام الفيل؛ أي أن سنّه يقلّ عن سنّ الرسول بنحو ستّ سنوات.

ج- إسلامه: يعتبر عثمان بن عفان من الذين سبقوا لاعتناق الدين الجديد في مرحلة السرّ؛ فكان إداً من ضمن الرجال الأوائل الذين آمنوا برسالة الإسلام، وهو من الذين دعاهم أبو بكرٍ إليه فأجابوا بالقبول. وهاجر الهجرتين: فكانت هجرته الأولى إلى (الحبشة)؛ أو ما تسمّى بإثيوبيا اليوم؛ حيث كان النجاشي (*)، وكانت هجرته الثانية إلى (المدينة المنورة). ²

د- زواجه: تزوّج ابنتي الرسول ﷺ؛ وهما: رقية، ثمّ أمّ كلثوم؛ وهذا بعد وفاة أختها؛ أي: (رقية) أثناء غزوة بدر العام الثاني للهجرة (خلت) ضدّ مشركي قريش.

هـ - خلافته: تولّى الخلافة بعد استشهاد عمر في المدينة المنورة (***) سنة: 23 هجرية إلى تاريخ استشهاده ببيته على يد الفئة الباغية في الفتنة التي غداها اليهود و خاصة داعيئهم عبد الله بن سبأ.

وكثيراً ما سعى اليهود بمكرهم لضرب الإسلام عن طريق محاولات قتل الرسول ﷺ، وتدبير المكاييد والتحاليف مع أعداء المسلمين؛ مثل قبيلة قريش قبل الهجرة وبعدها، وقاتل المسلمين كما حدث في غزوة الخندق حول عاصمتهم - المدينة المنورة - ولكن قد تجري الرياح بما لا تشييه السفن.

و- عثمان يجمع القرآن الكريم في مصحفٍ واحدٍ: يشهد التاريخ الإسلامي بأنّ الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - هو من عمل على جمع القرآن الكريم بالرّسم العثمانيّ

¹ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، تاريخ الطباعة: 1425 هـ / الموافق ل: 2005 م، ص: 116.

(*) النجاشي: هو حاكم الحبشة، وكان نصرانياً، ثمّ دخل الإسلام بعد هجرة المسلمين إليها، ولم ير رسول الله ﷺ في حياته، وهو الذي صلّى عليه الرسول الكريم بعد وفاته صلاة الغائب.

² - نفسه، ص: 116 . - بتصرّف -

(**) المدينة المنورة: وهي العاصمة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ، وزمن الخلفاء الراشدين من بعده عدا الإمام عليّ الذي اختار الكوفة بالعراق بعدد.

في خمسة مصاحف أمسك واحداً منها في المدينة المنورة ، وأرسل البقية إلى الأمصار؛ وفي هذا يقول عباس محمود العقاد في مصنفه عبقرية عثمان ما يلي:

"... قال حذيفة بن اليمان(*) : "أدرك الناس يا أمير المؤمنين قبل أن يختلفوا في الكتاب." فأرسل إلى السيدة حفصة يطلب النسخة التي أودعها عمر عندها، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ... أن ينسخوها في مصاحف وترتبوا آياتها..."¹

وبهذا العمل يعدّ الخليفة عثمان قد أنجز صنيعاً عظيماً للإسلام والمسلمين بجمع القرآن الكريم بمشورة الصحابي حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ونسخ بعض النسخ منه وإرسالها إلى الأمصار من أجل أن تكون القراءة قراءةً موحدة، بعد أن أوشك الناس أن يختلفوا في قراءة كتاب الله ولا سيما بعد كثرة الأعاجم والموالي نتيجة اتساع رقعة الدولة بسبب حركة الفتوحات الإسلامية في جهات كثيرة.

ز - وفاته: مات مقتولاً ببيته بالمدينة المنورة لثمان عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة سنة: 35 هج، وقيل: يوم عيد الأضحى، وقيل غير ذلك.²

وهكذا أدت الفتنة التي غذّتها اليهود إلى مقتل الخليفة عثمان على يد الفئة الباغية؛ والتي أدت إلى تشييع بعض المسلمين إلى نصره عليّ ومطالبة البعض بدم عثمان لسبب أو لآخر، وإلى ظهور فرقة الخوارج... وبهذا يكون المسلمون قد دخلوا في متاهات لا تزال آثارها قائمة لحدّ الساعة.

2 - 4 - عليّ بن أبي طالب:

أ - نسبه: هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب (شيبه) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم؛ وهي التي أسلمت وهاجرت مع

¹ - العقاد عباس محمود: عبقرية عثمان بن عفان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - صيدا - بيروت - لبنان، د ط، د ت، ص: 157، 158. - بتصرف-

(*) حذيفة بن اليمان هو صحابي جليل، وهو أمين سرّ رسول الله ﷺ، وهو من أشار على الخليفة عثمان أن يجمع القرآن الكريم خشية أن يتفرق المسلمون على قراءته في الأمصار بعد انتشار حركة الفتوحات الإسلامية في عهده واستشهاد بعضهم في المعارك.

² - القلقشندي: صبح الأعشى، ص: 255.

المهاجرين.¹

ب - مولده: اختلفت الروايات في تحديد سنة ولادته؛ فقد ذكر الحسن البصري أنّ ولادته كانت قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة، وذكر ابن إسحاق أنّ ولادته كانت قبل البعثة بعشر سنين، ورجح ابن حجر العسقلاني هذا القول؛ ولذا فإنّ مولده يكون إذاً قبل البعثة بعشر سنين؛ أي: نحو: 600 م.²

ج - إسلامه: أسلم وهو ابن عشر سنوات في الراجح من الروايات، وهو بهذا يعدّ أول صبيّ يدخل في الإسلام.

د- زواجه: تزوّج الإمام عليّ كرم الله وجهه من فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، وكانت أول زوجة له، حيث أنجب منها: (الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأمّ كلثوم الكبرى...)، وأنجب كثيرًا من الأولاد من زوجات أخريات بعد وفاتها رضي الله عنها.

د - خلافته: تولّى الخلافة بعد استشهاد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سنة: 35 للهجرة، بعد الفتنة التي أشعل لهيبها اليهودي الضالّ المضلّ - عبد الله بن سبأ - عليه وعلى أمثاله من الله ما يستحقّ من اللعنات.

هـ - عظمة عليّ وعبقريته: لما سمع قومًا من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حروبهم معهم بصقّين؛ قال: "إنّي أكره أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان ذلك أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إيّاهم": اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدِهِم من ضلالهم حتّى يعرف الحقّ من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به"³

ومن هذه الكلمات البسيطة في الحجم والعدد، لكننا نلحظ أنّها ثقيلة في الميزان والحسبان، كيف لا تكون كذلك؟ والرجل في حربٍ مع أهل الشام الذين لم ينصاعوا لأوامره وهو الخليفة الشرعيّ المسلمين، وتجده هنا يدعو لهم بالهداية وحقن دمائهم.... إنّها بالفعل عبقرية ذلك الرجل العظيم.

¹ - السيوطي، جلال الدين: تاريخ الخلفاء، ص: 128.

² - الصلابي، عليّ محمد: سيرة أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب)، شخصيته وعصره، دار: زاد للنشر والتوزيع - القاهرة - جمهريّة مصر العربيّة، الطبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1433 هـ / 2012 م، ص: 22. بتصرّف.

³ - العقّاد، عبّاس محمود: عبقرية عليّ، دار الكتاب العربيّ - بيروت - لبنان، تاريخ الطّباعة: 1386 هـ / 1967 م، ص: 38، 39. - بتصرّف -

و- وفاته: قتل الإمام علي رضي الله عنه على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم وقت صلاة الفجر صبيحة: 17 رمضان من سنة: 40 للهجرة النبوية.

وإذا فعلني - كرم الله وجهه- قتل شهيداً لسبع عشرة ليلةً خلت من شهر رمضان سنة: 40 للهجرة بالعراق، ودفن بالنجف على القول الصحيح المشهور.¹

2 - 5- الحسن بن علي بن أبي طالب: هو الحسن بن علي بن أبي طالب؛ وهو أكبر أبنائه، وابن فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ؛ فهو سبطه؛ أي ابن ابنته.

أ - مولده: ولد الحسن في النصف من رمضان عام: 03 من الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، وكان شبيهاً بالنبي ﷺ هذا، وقد سماه النبي ﷺ حسناً؛ ذلك أن علياً -كرم الله وجهه- قال: "لما ولد الحسن سمّيته حرباً"، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: "أروني ابني، وما سمّيته؟" قلت: "حرباً"، فقال: "بل هو حسن"، وهكذا غير الرسول الكريم ﷺ ذلك الاسم الحادّ باسم جميلٍ يُدخل السرورَ والبهجةً على قلوب الجميع؛ وبذلك حمل هذا المولود الجديد هذا الاسم الجميل.²

ب - خلافته: بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه علي بن أبي طالب سنة: 40 هـ من طرف أهل الكوفة بالعراق.

ج - تنازله عن الخلافة: تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في يوم من أيام ربيع الأولى من سنة: 41 للهجرة تفادياً لسفك دماء المسلمين.³ (*)

وبهذا كانت مدة خلافته قصيرة جداً؛ حيث أنه تنازل عنها لأول خليفة أموي؛ ألا وهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الذي أسس الدولة الأموية بالشام (دمشق) على أنقاض دولة الخلفاء الراشدين على أساس مبدأ الوراثة بدل مبدأ الشورى.

¹ - الفلقشندي: صبح الأعشى، ص: 255. - بتصرف -

² - الصلابي، علي محمد: سيرة أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب)، ص: 84. - بتصرف -

³ - السيوطي، جلال الدين: تاريخ الخلفاء، ص: 146. بتصرف.

(*) وقيل ربيع الآخر، وقيل: جمادي الأولى، لكن الأهم من ذلك أنه حاول تفادي أن ينجر المسلمون إلى الاقتتال فيما بينهم من أجل السلطة، ولذلك تنازل عن الخلافة لمعاوية رغم أنه واجه انتقاداتٍ حادةً، وحتى من طرف مؤيديه، مثل أصحابه الذين كانوا يقولون له: "يا عار المؤمنين"، وكان يقول - رضي الله عنه -: "العار خيرٌ من النار".

المبحث الرابع: عوامل ازدهار الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين ومميّزاتها.

المطلب الأول: عوامل ازدهار الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

1-1: القرآن الكريم. كانت اللّغة في عصر الجاهليّة ذات غنى ومرونة، لكنّها كانت ذات صبغة بدويّة ولهجاتٍ متعدّدة تغلب عليها لهجة قريش، وحينما ظهر الإسلام سحر القرآن الكريم الأبواب ببيانه وأضفى على اللّغة العربيّة سيلاً من حسن السّبك وعذوبة السّجع، وموسيقى الألفاظ، وأناقة التّعبير.

وقد عمل القرآن الكريم على توحيد اللّغة العربيّة توحيداً كاملاً؛ فكان المثال الأعلى في البلاغة، والكتاب الذي يسيطر على القلوب والألسنة، كما عمل على المحافظة عليها من الانقراض، وفي هذا الشأن يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (9)، [الحجر: 9]، كما ساعد على انتشارها في شتى الأنحاء والأصقاع حتّى أصبحت لغة الدّين والسياسة والخطابة والثّقافة في دولةٍ واسعةٍ متراميّة الأطراف، كما ساعد على تهذيب الألفاظ وتليين الأساليب حتّى حفلت الكتابة العربيّة بالعذوبة والسّلاسة والسّهولة والرّقة، كما أغنى المعجم العربيّ بألفاظٍ اكتسبت بها معانٍ جديدةٍ لم يكن لها عهدٌ بها من قبل، كما كان أخيراً في أصل كثيرٍ من علوم اللّغة العربيّة التي نشأت حوله لتفسير معانيه وإظهار قيمته البلاغيّة.¹

إنّه القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإنّه التّنزيل من حكيم حميد؛ والذي عجز الإنس والجنّ على الإتيان بمثله أبداً ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً.

ويسمح نظام الآيات في الغالب بوقفٍ كاملٍ فيه تستريح عنده نفس القارئ، وهو شيءٌ يخالف نظام النثر المرسل ونظام السّجع الذي أثر عن الجاهليّة، كما أننا قد نجد سوراً قصيرةً مسجوعةً، وقد نجد صحفاً مسجوعةً من السور الكبار، لكنّه لا يطرد فيه، وكثيراً ما ينتقل القرآن من السّجع إلى النثر المرسل.² (*)

¹ - الفخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربيّ، الأدب القديم، دار الجيل - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى:

1986 م، ص: 307. - بتصرّف -

² - نفسه، ص: 332. - بتصرّف -

(*) وكانت آيات القرآن المكيّ قصيرةً مقارنةً بالقرآن المدنيّ؛ فهي ذات لهجة عنيفة، وألفاظٍ حادّة، وذات تأثيرٍ خطابيٍّ يهزّ الأسماع والنّفوس.

إنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ؛ وهو الكتاب المعجز في كلِّ العصور والأزمنة- والذي لا يأتيه الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم- وسيبقى خالدًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد يبقى أثره لدى المؤمنين في العالم الآخر كذلك.

ومن حيث البلاغة؛ فروعاً فنٌّ ومتحفٌ بيانٍ؛ حيث يهزك ما فيه من موسيقى ترافق الكلام وتتصل بأغوار النفس البشرية فتحرك أوتارها، وهنالك نغمات تتلو النغمات، تارة تكون في فيضٍ من الإشعاع والنور طوراً، وطوراً آخر تكون في انقضاض صاعقيٍّ، وتارة في لين المناجاة، وطوراً في قسوة التهديد، وبهذا نجد هنالك جوّ من العظمة والجلال يفيض على الحياة ويوجهها شطر الروح والعالم الذي لا يزول.¹ (*)

1- 2: الحديث النبوي الشريف. إن الحديث النبوي الشريف هو ما ورد عن النبي ﷺ؛ ويأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، وهو ما يبين كثيراً من الآيات القرآنية أو يفيدها أو يخصصها.²

وكثيراً ما كان النبي ﷺ يحدث به المسلمين في المناسبات أو لتعليم الصحابة أمور دينهم. وكان الحديث النبوي الشريف باختلاف أقسامه (صحيح، حسن، متفق عليه، وقدسي)؛ هو ما ورد عن الرسول ﷺ بوحى من ربه تبارك وتعالى بأسلوب بليغ رائع لا يفوقه إلا القرآن الكريم؛ وهذا بدليل قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)﴾، [النجم: 1، 2، 3، 4].

1- 3: الخطابة النبوية. تمثل الخطابة النبوية الركن الأساس في حياة الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ ذلك أن النبي ﷺ كان الملهم الأول للخلفاء الراشدين ولمن عاصرهم، ولمن أتى بعدهم في أن ينتهجوا منهج الرسول ﷺ في إلقاء خطبهم بتلك الشاكلة سواءً أكان ذلك ما يخص الشكل أم ما يخص المضمون؛ فكانوا يضمّنون خطبهم بآيات من القرآن الكريم بشكلٍ كاملٍ للآية القرآنية، أو بجزءٍ منها، وكذا بالنسبة للحديث النبوي الشريف، وعلى شاكلة الخطابة النبوية.

¹ - السابق، ص: 332، 333. - بتصريف -

(*) وبهذا كان القرآن الكريم أساس العلوم اللغوية والبيانية عند العرب، وهو دوماً المثال الأوضح والأعلى في البلاغة والفصاحة؛ بل هو في قمة البلاغة والفصاحة التي لا تضاهيها أية بلاغة.

² - نفسه، ص: 333. - بتصريف -

1 - 4: الأحداث التي شهدتها السّاحة أيام الخلفاء الراشدين.

من الأحداث الهامة التي شهدتها السّاحة الإسلاميّة أيام الخلفاء الراشدين ما يلي:

- أ - التحاق الرسول ﷺ بالزّفيق الأعلى سنة 11 للهجرة.
- ب- ردّة بعض القبائل العربيّة عن الإسلام بعد وفاته ﷺ.
- ج- الأطماع الخارجيّة في الدّولة الإسلاميّة الجديدة بعد التحاق الرسول ﷺ بالزّفيق الأعلى.

المطلب الثاني: أهمّ مميّزاتها.

2 - 1: من حيث الشّكل.

أ - التمهيد: ويسمّى التمهيد، كما يسمّى الاستفتاح؛ ويكون على الشاكلة التي كان يستفتح بها الرسول ﷺ خطبه؛ وهي قوله: (إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله) ويقف عند عبارة: (أما بعد)؛ وهي الحدّ الفاصل بين التمهيد والعرض.

ب - الموضوع: ويعرف بالعرض، أو ما يسمّى بصلب الموضوع؛ وهو الذي يعرض فيه الخطيب موضوعه مدعماً إياه بالآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث النّبويّة الشريفة والحكم والأمثال...

ج - الخاتمة: وهو ما ينهي به الخطيب خطبته، وكانت عادةً ما تختم بعبارة يكرها الخطيب دوماً؛ مثل:

- قول الخليفة أبي بكرٍ : (اللهم اجعل خيرَ زماني آخره، وخيرَ عملي خواتمه، وخير أيامي يومَ ألقاك).¹

- وقول عمر بن الخطّاب: "اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين".²

¹- الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربيّ، الأدب القديم، دار الجيل - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى:

1986 م، ص: 338. - بتصرّف -

²- نفسه، ص: 339.

وأحياناً ما كان الخطيب ينهي خطبته بقوله: "أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم". مثل أبي بكر في بعض الأحيان، وكان هناك من يضيف عليها قوله: "فاستغفروه تجدوه غفوراً رحيماً".

وهناك من كان ينهي خطبته بالتسليم على الحضور بقوله: "السّلام عليكم ورحمة الله".

2 - 2: من حيث المضمون.

راح الخلفاء الراشدون بعد وفاة النبي ﷺ يواصلون العمل الفكريّ الجديد، وكانوا يخطبون في الجماهير الشّعبيّة لترسيخ الحياة الجديدة في الأذهان والقلوب، وما الحياة الجديدة إلاّ انتظام في وحدة دينيّة، تبتعد فيها فكرة الألوهيّة عن كلّ تمثيلٍ ماديّ، وتنصهر فيها الفرديّة والعصبيّة أخوةً ومساواةً، وتسمو فيها النفوس عن كلّ ضالةٍ أخلاقيّة، وبهذا انقلب الوضع الاجتماعيّ، كما انقلب الوضع الفكريّ والدينيّ.¹

وبانقلاب الأوضاع الفكرية والاجتماعية انقلبت فكرة السياسة؛ وأصبح النظام العصبيّ شرائعَ ودساتير تتناول فيها الجماعة الإسلاميّة كلّاً وأجزاء، وتخطّط مناهج السلوك في ظلّ السّلطة القائمة. وكان الشّرق في ذلك العهد بين أمبراطوريتين كبيرتين؛ وهما:

- دولة الرّوم البيزنطيّين في الغرب والشّمال الغربيّ من شبه جزيرة العرب؛ مثل: منطقة الشّام، وشمال إفريقيا، وفي جنوب شرق أوروبا.
- دولة الفرس السّاسانيّين في الشّمال والشّمال الشرقيّ من شبه الجزيرة العربيّة، وفي منطقة اليمن.

وراح الإسلام يضمُّ صفوف العرب في شبه الجزيرة العربيّة؛ والتي سرعان ما تدفّقت منها الجيوش الإسلاميّة كالسيل الجارف فأطاحت بدولة الفرس، وطردت الرّوم البيزنطيّين من الشّام ومصر إلى حدود شمال إفريقيا، ورفعت أعلامها في سماء الأمبراطويّة، وكانت الفتوح، وكانت الخطابة لسان حالها، ويمكن أن نميّز منه ما يلي:

أ - الأسلوب: وكان لبعض الخطباء مثل أبي بكر الصّدّيق، وعمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - ما صيغة دعاء يُعرفان بها؛ فإذا ما كان أبو بكر، قال في نهاية خطبته: "اللّهم اجعل

¹ - السابق، ص: 336.

خيرَ زمانِي آخِرَه وخيرَ عملي خواتيمه وخيرَ أيامي يومَ ألقاكَ فيه."، وإذا ما كان عمرُ قال: "اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرّة، ولا تجعلني من الغافلين."¹

وكثيراً ما كان الخطباء في هذا العهد يستشهدون فيما يقولون في خطبهم بآياتٍ من القرآن الكريم في إطار ما يسمّى بالاقْتباس؛ أي: اقتباس الآية القرآنيّة كلّها، أو في إطار التّضمين؛ أي: تضمين كلامهم بجزءٍ من آية قرآنيّة فقط، أو الاستدلال بالمأثور عن النّبويّ ﷺ. كيف لا؟ وهو من هو، فقد أوتي جوامع الكلم.

وهكذا كانت كلّ أغراضهم الخطابيّة مستمدّةً من الدّين؛ كونه هو قطب الرّحى، فعليه يدور كلامهم، وفيه يختلفون، وبه يتفقون؛ وهذا لأنّ الإسلام يكون قد تغلغل في كلّ مظهرٍ من مظاهر حياتهم الاجتماعيّة، فأصبح المسيطر على ما في ضمائرهم، ولأنّ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كانا ينبوعيّ المعرفة لديهم، فهو الذي إليه يردون، وعنه يصدرّون.²

ولذا تجد الخطباء في ذلك العصر يعمدون إلى الحديث النّبويّ الشّريف، فينهلون من ثماره، وإذا ما علمنا أنّ كلّ معانيهم كانت دينيّة، وإن كانت تمسّ الجوانب الأخرى السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة...علمنا مقدار عزة وقوة القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف عندهم.

وأحياناً ما كان الخلفاء الراشدون يستعملون أسلوب السّجع للضرورة، أو لما يستدعيه المعنى من الكلام وإن كان هذا النوع من الأساليب معروفاً منذ عصر الجاهليّة.
ب - الألفاظ : أمّا الألفاظ المستعملة لدى الخلفاء الراشدين كانت تختلف من خليفةٍ إلى آخر؛ حيث نجد أنّ:

- أبا بكر الصّدّيق كان يستعمل ألفاظاً بين الغلظة، مثلما جاء في خطبة توليّته كأول خليفةٍ للمسلمين في سقيفة بني ساعدة؛ وهذا في قوله: "القويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتّى آخذ منه الحقّ، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتّى آخذ له الحقّ إن شاء الله."³

¹ - أبو زهرة، محمّد: الخطابة (أصولها تاريخها في أزهي عصورها عند العرب)، الطّبعة الأولى: 1357 هـ / 1934 م، مطبعة العلوم، شارع الخليج - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، ص: 59.

² - نفسه، 55 - بتصرّف -

³ - عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلاميّة، ص: 50.

و كثيرًا ما كانت خطبه الدينية تتميز بالرفق بالرعية.

- أما عمر بن الخطاب فنجده عادةً ما كانت الألفاظ المستعملة في خطبه تتميز بالغلظة، ولا غرو أن تكون تلك الألفاظ غليظة طالما أنه كان شديدًا على نفسه وعلى أهله أكثر من اللزوم؛ وهذا لخوفه من الله تبارك وتعالى، وكثيرًا ما كان يميل في خطب الوعظ والإرشاد إلى أسلوب الوعيد؛ أي: (الترهيب)، وكذا أسلوب (التريغيب)، وهذا عن طريق استعمال بعض الآيات القرآنية، أو شيء من الحديث النبوي الشريف؛ وكان الكثير من الخطبه تحمل في طياتها ما يوحي بالخوف من الله تبارك وتعالى في تحمل أعباء الأمة في الدنيا وتبعاتها في الآخرة الأمر الذي كان يؤرق مضجعه في الليل ومحياه في النهار.

ولقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من الملهمين الذين يلقي الله في نفوسهم الخاطر؛ فسرعان ما يخبر به حدسًا وفراسةً وهي ولا ريب في ذلك نعمةً جليلاً يمنُّ بها الله تعالى على من يشاء من عباده الصالحين، وقد تميّزت خطبه بالصراحة التي لا تعرف المجاملة على حساب الحق، وبالشجاعة النادرة؛ والتي طالما تحدى بها الملام من قريش في مكة المكرمة، ويوم الهجرة، ويوم مواجهة المعارضين من الأنصار في سقيفة بني ساعدة وغيرها.¹

وبهذا كان عمر - رضي الله عنه - رجل دولةً بالمعنى الصحيح للكلمة.

- أما عثمان بن عفان فقد تميّز عهده بقلّة الخطب، وقد ظهرت الفتنة في آخر أيامه؛ والتي كانت سببًا في استشهاده.

- وكان الإمام عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - يميل إلى أسلوب الحكمة والوعظ الديني باستعمال الألفاظ الرقيقة التي تخاطب العقل رغم أنّ زمنه كان زمن فتنة بينه وبين الأمويين في منطقة الشام.

ج - طول الخطب وقصرها:

- من الخطب الطويلة:

- خطب سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مثل خطبة أرض السواد بالعراق.
- خطبة سيدنا عثمان - رضي الله عنه - عند اندلاع الفتنة.
- وخطب سيدنا عليّ - كرم الله وجهه إلى جانب خطب الجمعة وأعياد الفطر والأضحى.

¹ - عبد الله عليّ جابر المري: رسالة ماجستير، بعنوان: الخطابة عند الفاروق، دراسة أسلوبية، إشراف الدكتور: عبد الرؤوف زهدي مصطفى، الموسم الجامعي: 2011 م / 2012 م، ص: 53. - بتصرف-

- ومن الخطب القصيرة:

كان الكثير من خطب سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قصيرة؛ مثل: وصيته ليزيد بن أبي سفيان، فحينما وجهه لفتح الشام، قال: "إذا وعظت جندك فأوجز، فإن كثير الكلام يُنسي بعضه بعضاً." ، وكذا بعض خطب الخليفة عثمان بن عفان. ومما يروى عن الصحابي عمار بن ياسر أنه تكلم يوماً لبعض الناس فأوجز، فقيل له: لو زدتنا، فقال: "أمرنا رسول الله ﷺ بإطالة الصلاة، وقصر الخطبة."¹ (*)

ومن الخطب القصيرة خطبة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - على نحو ما أثير عنه في مواعظه أنه قال واعظاً أهل الكوفة بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلّى على نبيه محمد وآله وأصحابه: "أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير المثل ملّة إبراهيم، وأحسن السنن سنّة محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وخير الأمور عزائمها. ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى... وخير الغنى غنى النفس، والخمر جماع الآثام، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، وسباب المؤمن فسق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، مكتوب في ديوان المحسنين: أنه من عفا عني عنه، والسعيد من وعظ بغيره، وأحسن الهدى هدى الأنبياء."²

فهناك إذا خطب قصيرة وأخرى طويلة، والكل حسب مقامه.

المبحث الخامس: صفات الخطيب المسلم وزاده.

المطلب الأول: صفات الخطيب المسلم. اتّصف الخطيب في هذا العهد بما اتّصف به الخطيب في عصر الجاهلية من فصاحة بيان وجودة نطق، وسداد رأي، ومراعاة لمقتضى الحال، وسمت ووقار، وقوة شخصية ونفوذ وقوة نفس، وقد كمل الإسلام هذه الصفات بصفات أخرى؛ فالخلفاء الراشدون، ومن لهم شبه في التمسك بالدين والإيمان فيهم قوة النفس وقوة الروح بمقادير لا توزن بها أقدار من سبقهم من أهل الجاهلية؛ وحسب المرء أن يعلم أن قوة نفس أبي بكر - رضي الله عنه - ونفوذ الشخصي، وما وهبه الله من قوة عزيمة وتأثير،

¹ - أبو زهرة، محمد: الخطابة (أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب)، الطبعة الأولى: 1357 هـ / 1934 م، مطبعة العلوم، شارع الخليج - القاهرة - جمهورية مصر العربية، ص: 61.. - بتصرف -
(*) والخلاصة أن الإطالة في الخطبة تكون في موضع لا يصلح فيه التقصير، وأن التقصير يكون في موضع لا تجوز فيه الإطالة.

² - سحر الخليل: مختارات من النثر العربي، دار البداية ناشرون وموزعون - عمان - الأردن، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1432 هج/ 2011 م، ص: 27.

هي ما جمعت وحدة الدولة الإسلامية بعد التحاق الرسول بالرفيق الأعلى؛ حيث شارفت على التمزق.¹ (*)

وكان هو من قال عن المرتدين: "لو منعوني عقلاً كانوا يدفعونه لرسول الله لقاتلتهم عليه." أو (عناقاً).

وحسب المرء أن يعلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . كان لا يسير الشيطان في طريق هو يسير فيه كما جاء في الأثر عن النبي ﷺ؛ وهذا لمهابتة وقوة نفسه، وعظم روحه؛ فقد حكم المسلمين بالحق في إطار من الهيبة والدين.² (*)

المطلب الثاني: زاد الخطيب المسلم. إن الخطيب في هذا العهد كان ناجحاً في أداء مهامه، ذلك أنه كان يتزود بزيادة يتناسب مع مهمته النبيلة هذه، والذي يتمثل فيما يلي:

2 - 1 - القرآن الكريم: يكون الخطيب ملماً بالقرآن الكريم، وثيق الصلة به، عارفاً و متمكناً من محكمه ومتشابهه، ومن المعلوم أن الآيات المحكمات هي التي لا تقبل أي تأويل بعكس الآيات المتشابهات.

2 - 2 - الحديث النبوي الشريف: ينبغي على الخطيب أن يكون مطلعاً على أكبر قدر ممكن من كتب الحديث النبوي الشريف.³

2 - 3 - السيرة والتاريخ: ينبغي على الخطيب أن يكون مهتماً بالسيرة والتاريخ، مثل سيرة الرسول ﷺ والصحاب الكرام، وقصص الأنبياء القدماء، وسيرة الأمم السابقة.

2 - 4 - الحكم والأمثال: إلى جانب ما ذكر هناك الحكم والأمثال؛ وهي من أعظم الأساليب المؤثرة في المستمعين، وهي كلمات مختصرة تجمع خلاصة معان، وحصاد تجارب لها أبعادها في نفوس المستمعين، والخطيب الموفق هو من يحرص على حفظ أكبر

¹ - السابق، ص : 65. - بتصرف -

(*) شارفت الأمة الإسلامية على التمزق بعد وفاة النبي ﷺ، وردة بعض القبائل، وتمردهم عن الاستجابة لدفع أموال الزكاة.

² - نفسه، ص: 65. . بتصرف .

(*) وكان عمر رضي الله عنه شديداً على نفسه وعلى أسرته وعياله أكثر من شدته على رعيته؛ ولذا تميز عهده بالعدل والمساواة، حتى قال عنه مبعوث قيصر بيزنطة إليه بعد أن وجده نائماً على عتبة الطريق إلى المدينة المنورة: "عدلت فتمت، فتم قرير العين هانيها."

³ - عبد العاطي محمد شلبي، و عبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلامية (أصولها، تعريفها، عناصرها)، الأزاريطية . الإسكندرية . جمهورية مصر العربية، تاريخ الطباعة: 2006 م، ص: 17 . -بتصرف -

قدر ممكن من الحكم والأمثال ليستشهد بها في مواضعها، أو عند الضرورة والحاجة.¹ وكثيراً ما كانت الضرورة ملحةً على الخطيب البارِع في العمل ببعضها في خطبه بين الحين والآخر.

2- 5 - الأحكام الفقهيّة: ويجب أن يكون ملماً ببعض الأحكام الفقهيّة لحاجته إليها في بعض المواقف التي قد يتعرّض إليها.²

وقد يكون الخطيب بحاجة إلى حفظ الكثير من الأشعار والأقوال والقوانين والأعراف والعادات المتعارف عليها، ليدعم بها خطبته بين الفينة والأخرى فيكسب قلوب الحاضرين.

2- 6 - معرفة الشّعر القديم: والشّعر هو من الأمور الضّروريّة واللّازمة لدى الخطيب لأنّه يلازمه في حلّه وترحاله.

المبحث السادس: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين والميادين التي غطتها.

المطلب الأول: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

كان الشّعر العربيّ ديواناً للعرب أيام الجاهليّة (الشّعر ديوان العرب)؛ ذلك أنّه كان هو السّجل لكلّ ما يحدث للقبائل العربيّة في حياتهم من مفاخرات ومنازعات ومناظرات وما شابه ذلك، ثمّ لحقت به الخطابة لتسجّل أسماءً لامعةً في العصر الجاهليّ مثل قُيس بن ساعدة الأيادي؛ والتي كانت خطبه تميل إلى التّفكّ في هذه الحياة والتدبّر فيها، وهناك آخرون؛ مثل: لبيد بن ربيعة وهرم بن قطبة الفزاريّ وقيس بن عاصم وغيرهم. وما أن جاء العصر الإسلاميّ بقيادة الرّسول الكريم ﷺ إلّا واكتسبت الخطابة مكاناً مرموقاً في نشر الرّسالة الإسلاميّة بين النّاس، انطلاقاً من الأهل والعشيرة.

ومع المنعطف الدّينيّ الجديد، ومع التّحوّل العقائديّ الذي شهدته الأرض العربيّة منذ القرن السّابع الميلاديّ / الموافق للقرن الأوّل الهجريّ بدأ التّحوّل الهائل في الحقل الخطابيّ؛ حيث ظهر الخطيب المفوّه والبلّغ الذي أوتي جوامع الكلم ليبدأ فنّ الخطابة عبر مساراتٍ جديدةٍ يحسن درسها من خلال القراءة المتأنّيّة لأيّ من خطبه ﷺ.³

¹ - السّابق، ص: 17. - بتصرف -

² - نفسه ص: 17. - بتصرف -

³ - ميّ يوسف خليف: تطوّر الأداء الخطابيّ بين عصر صدر الإسلام وبني أميّة، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، منتدى سور الأزبكيّة، د ط، د ت، ص: 19.

ولا شكّ في أنّ الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين كانت مكمّلةً لما كان سائداً في عهد رسول الله ﷺ، وإنّ تغيّرت بعض الأحوال والظروف بعض الشيء؛ بعد التحاقه بالرّفيق الأعلى في 12 من ربيع الأوّل سنة 11 للهجرة، فقد سار الخلفاء الراشدون، ومن كان في عهدهم من الصحابة الكرام في ميدان الخطابة على منوال الرسول ﷺ متّبعين هديه دون الحياض عنه في الشكّل و المضمون، وإن حدث بعض الاختلاف شيئاً ما فلتغيّر الظروف التي أحاطت بقيام دولة الخلفاء الراشدين ولوجود أمورٍ مستجدّة؛ مثل حروب الردّة، إلى جانب ما شهدته الدولة الفتية آنذاك من فتوحاتٍ من كلّ الاتجاهات صوب دولة الفرس الساسانية في الشرق والشمال الشرقيّ للدولة الإسلامية، والغرب والشمال الغربيّ؛ حيث الدولة البيزنطية الرومانية.

وقد قامت الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين بدور هامّ في تدعيم أركان الدولة الإسلامية الفتية؛ وهذا منذ أن انتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرّفيق الأعلى لأنّ الحالة كانت تستدعي أن يكون هناك تواصلٌ بين الناس، ولن يكون التّواصل بين حاكم الرعيّة والرعيّة نفسها إلاّ عنصر الخطابة؛ فمنذ الوهلة الأولى التي أصيب بها المسلمون بالهلع الكبير من مفارقة الرسول الكريم عليه الصلّاة والسّلام لهذه الحياة؛ ولا سيّما وأنّ بعض المسلمين لم يكونوا يعتقدون أن الرسول سيموت في يومٍ من الأيام، ومنهم حتّى عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- والذي لم يكن يعتقد ذلك، وها هو وقد رفع سيفه يهدّد به كلّ من يقول بوفاة الرسول ﷺ، إلى إن قام أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه خطيباً في الناس؛ بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيّه ورسوله، وها هو يقول: " أيّها النّاس: من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت"، ثمّ تلا على مسامعهم قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) ﴾.¹

وبهذا كانت الخطابة منذ الوهلة الأولى في حياة الخلفاء الراشدين الوسيلة الأنجع التي يطرق بابها هؤلاء الخلفاء ومن عاصروهم من الصحابة الكرام لحلّ جميع المشاكل الطارئة في حياتهم الدنيوية والاجتماعية والاقتصادية أو حتّى السّياسية منها؛ ولأنّ عمليّة الإعلام كانت آنذاك تقتصر على هذا العنصر الفعّال في عمليّة الاتّصال والتّواصل بين الناس لتحقيق مصالح الدولة ومصالح الرعيّة.

¹ - آل عمران: 144.

المطلب الثاني: أشهر خطب الخلفاء الراشدين. من أشهر الخطب ما يلي:

1-2: خطب الخليفة أبي بكر الصديق.

- من بين خطبه القصيرة: أنه خطب- رضي الله عنه - فوق منبر رسول الله ﷺ على مسامع المهاجرين والأنصار بعد أن بويع بالخلافة في سقيفة بني ساعدة خطبة مؤثرة؛ حيث قال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه. أما بعد:

أيها الناس: إني قد وليت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسن النبي ﷺ، وعلمنا فعلنا. واعلموا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف، حتى أخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق.

أيها الناس: إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني. ¹ (*)

- ومن خطبه الطويلة: أنه خطب في الناس فقال: "الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه، وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى ومن الشك والعمى، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت، وهو حي لا يموت، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيد ه الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون إلى الناس كافة رحمة لهم وحبّة عليهم، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية دينهم بدعة، ودعوتهم فرية فأعز الله الدين بمحمد ﷺ، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون،

فأطيعوا الله ورسوله، فإن الله عز وجل قال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (80). ²

¹- الباقلائي، أبو بكر، محمد بن الطيب: إجاز القرآن، تح: السيد أحمد، صقر، دار المعارف- القاهرة - جمهورية مصر العربية، 1971 م، د ط، ص: 137.

(*) وهناك من قال أنه ختم خطبته بقوله: "أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم".

²- الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، الجزء الرابع. كتاب الوساطة في الخطب، مكتبة المعارف- الرياض- المملكة العربية السعودية، ودار الكتاب العلمية. بيروت. لبنان، تاريخ الطباعة: 1404 هـ / 1983 م، ص: 151.

أما بعد، أيها الناس: "إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتكم؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، وإياكم والفخر، وما فخر من خلق من ترابٍ وإلى التراب يعود، هو اليوم حينٌ وغداً ميتٌ. فاعلموا وعدّوا أنفسكم في الموتى، وما أشكل عليكم فردّوا علمه إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه محضراً؛ فإن الله عزّ وجلّ قال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)﴾، [آل عمران: 30]. فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنّه لا بدّ من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم، صغيرها وكبيرها إلا ما غفر الله، إنّه غفور رحيمٌ، فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56)﴾. [الأحزاب: 56].

ويختتم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - خطبته هذه بأقوالٍ تهزّ مشاعر النفوس إلى أعلى عليين بالصلاة على النبي، ثم بالدعاء الصالح للمسلمين؛ فيقول:

"اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحدٍ من خلقك، وزكنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرة، وأوردنا حوضه. اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوك." ¹

2 - 2: خطب الخليفة عمر بن الخطاب.

- من أشهر خطبه: خطب الخليفة عمر بن الخطاب مرّة بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه؛ فقال: "أيها الناس: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني؛ فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً: إني بادئ بأزواج رسول الله ﷺ فمعطيهنّ، ثم المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، أنا وأصحابي، ثم الأنصار الذين تبوّوا الدار والإيمان من قبلهم، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء، فلا يلومنّ رجلٌ إلاّ مناخٍ رحلته." ²

¹ - السابق، ص: 151.

² - نفسه، ص: 153.

إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي، فابتليت بكم وابتليت بي، وإني لن يحضرني من أموركم شيء فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة، فلئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أسأؤوا لأنكفرن بهم.¹

وأته خطب بالعبّاس عام الرمادة، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم صلى على نبيه ورسوله؛ فقال: "أيها الناس، استغفروا ربكم إنّه كان غفّاراً، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وكبار الرجال، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۗ﴾، [الكهف: 82]، فحفظتهما لصالح أبيهما؛ فاحفظ اللهم نبيك في عمه، اللهم اغفر لنا إنك كنت غفّاراً، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالّة، ولا تدع الكسيرة بمضيعة، اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى. اللهم أغثهم بغياتك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. فما برحوا حتى علّقوا الحذاء، وقلّصوا المآزر، وطفق الناس بالعبّاس يقولون: "هنيئاً لك يا ساقى الحرمين."²

2 - 3: خطب الخليفة عثمان بن عفان. تميّزت كلّ خطب الخليفة عثمان بن عفان، أو مجملها بالقصر، ومن أشهرها ما يلي:

- لما وليّ الخلافة بعد استشهاد الخليفة الفاروق عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه): قام في الناس خطيباً، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه؛ قال بعد أن استغلق عليه الكلام: "أيها الناس: إنّ أول كلّ مركبٍ صعبٌ، وإن أعش فستأتيكم الخطب على وجهها، وسيجعل الله بعد عسرٍ يسراً. والسلام عليكم ورحمة الله."³

- ومن أشهر خطبه أيضاً: أنّه خطب في الناس قائلاً بعد حمد الله والنّاء عليه والصلاة على نبيه ورسوله: فقال: "إنّ لكلّ شيء آفة، وإنّ لكلّ نعمَةٍ عاهة، وإنّ عاهة هذا الدّين عيآبون ظنّانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون، طعامٌ مثل النّعام، يتبعون أول ناعقٍ، أحبّ واردةم إليهم النّازح. ولقد أقررت لابن الخطّاب بأكثر

¹- السابق، ص: 153.

²- نفسه، ص: 155.

³- نفسه، ص: 156.

مما نقمتم عليّ، ولكنّه قمعكم وقمعكم، وزجركم زجر النّعام المحزّمة، ووالله إنّني لأقرب ناصرًا، وأعزّ نفرًا، إن قلت: هلّم أن تجاب دعوتي من عمر. هل تفقدون من حقوقكم شيئًا؟ فمالي لا أفعل في الحقّ ما أشاء؟ إذا فلم كنت إمامًا؟¹

المطلب الثاني: الميادين التي غطتها الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

في الغالب كانت الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين ذات طابع دينيٍّ في معظم أشكالها؛ وهذا لما كانت ما تتضمنه ألفاظها من آي القرآن الكريم، أو الأحاديث النبويّة الشريفة؛ غير أننا يمكن أن نقول بأن الخطابة في هذا العهد اتّسمت ببعض السمات الأخرى التي يمكن أن تكون بين طيّات سطورها؛ تتناول إحداها الجانب السياسيّ، والأخرى الجانب الاجتماعيّ وكذا الجوانب الأخرى، وبهذا يمكن أن نصنّف الميادين التي تناولتها الخطابة في هذا العصر إلى ما يلي:

2 - 1 - الخطب الدينيّة: كما سبق وأن ذكرنا فإنّ معظم الخطب في عهد الخلفاء الراشدين كانت تدور حول الجانب الدينيّ، ذلك أنّ المسلمين في ذلك الوقت يعتبرون أنّ الدين هو محور الرّحى التي تدور حوله كلّ شؤون الحياة لديهم، ويمكن أن نذكر في هذا المجال الميادين التالية:

• الخطب التي تدعو إلى تقوى الله عزّ وجلّ: ونلاحظ أنّ هذا النوع من الخطب كثيرٌ

جدًّا، لكننا نذكر من ذلك أمثلةً على سبيل المثال لا على سبيل الحصر؛ مثل:

- **إحدى خطب عمر بن الخطّاب:** خطب سيّدنا بعد توليه أمر المسلمين في يوم من الأيام، فقال في النّاس، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على نبيّه ورسوله، أمّا بعد:

"أيّها النّاس: اتّقوا الله في سريرتكم وعلايتكم، وأمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة، فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه، فنظر إليه أصحابه فمنعوه، فقال لهم: هو موضعي، ولي أن أحكم فيه؛ فإن أخذوا بيده سلم وسلموا، وإن تركوه هلك وهلكوا معه، رحمتنا الله وإياكم."²

اللهم لا تدعني في عمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين³.

¹ - الباقلائي: إجاز القرآن، ص: 132.

² - الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه: العقد الفريد، ص: 155.

³ - نفسه، ص: 156.

- بعض خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: كانت أول خطبة خطبها الإمام علي - كرم الله وجهه - في المدينة المنورة؛ حيث حمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على نبيه ورسوله، ثم قال: "أيها الناس: كتاب الله وسنة نبيكم ﷺ؛ أما بعد: "فلا يدعِين مُدْعٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، شَغَلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ، سَاعِ نَجَا، وَطَالِبُ يَرْجُو، وَمَقْصَرٌ فِي النَّارِ. هَلَكَ مَنْ ادَّعَى، وَرَدِيَ مِنْ اقْتَحَمَ، اسْتَتَرُوا بِبَيْوتِكُمْ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ؛ فَاَلْمُوتُ مِنْ وَرَائِكُمْ، فَمَنْ أَبَدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ لَمْ تَكُونُوا فِيهَا مَحْمُودِينَ، أَمَا وَإِنِّي لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ. عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ.¹

و مما ورد في كتاب الكامل للمبرّد: عن الإمام علي - كرم الله وجهه - أنه خطب يوماً في الناس؛ فقال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه ورسوله: "أيها الناس: اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبَادَرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَيْتُمْ أُدْرِكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ."²

- ومن خطبه أيضاً: بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه ورسوله محمد وآله وصحبه، ثم قال: "أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل، وترك الأمل، فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله، أين التعب بالليل والنهار، المقتحم للبحر والقفار ومفاوز القفار؟ يسير من وراء الجبال ويعالج الرمال، يصل الغدو بالرواح، والمساء بالصباح، في طلب محقرات الأرباح؛ فهجمت عليه منيته، وعظمت بنفسه رؤيته؛ فصار ما جمع بوراً، وما اكتسب غروراً، ووافى القيامة محسوراً."³

أيها اللّاهي الغارُّ بنفسه، كآتي بك وقد أتاك رسول ربك، لا يقرعُ لك باباً، ولا يهابُ لك حُجَاباً، ولا يقبلُ منك بديلاً، ولا يأخذُ منك كفيلاً، ولا يرحمُ لك صغيراً، ولا يُوقِرُ لك كبيراً حتى يُؤدِّي بك إلى قعر مُظلمة، أرجاؤها مُحوشة كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية، فأين من سعى واجتهد؟ وجمع وعدد، وبنى وشيّد، وزخرف ونجد، وبالقليل لم يقنع، وبالكثر لم يمتنع؟ أين من قاد الجنود ونشر البنود؟ لقد أضحو رفاتاً تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون.

¹ - السابق، ص: 157 - بتصرف -

² - أبو العباس المبرّد، محمد بن يزيد: الكامل، تحقيق وتعليق: محمد، أحمد الدالي، المجلد الأول، مؤسسة الرسالة (ناشرون) - بيروت - لبنان، ص: 494.

³ - نفسه، ص: 158.

عباد الله: اتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقق السماء بالغمام، وتتطاير فيه الكتب عن الأيمان والشمائل؛ فأَيَّ رجل يومئذ تُرَكُّ؟ أقائل: "ها أمُّ اقرءوا كتابيَّة؟ أم : "ياليتني لم أوت كتابيَّة؟"¹

• **الخطب التي تدعو إلى الوعظ والإرشاد:** من هذه الخطب ما قاله الإمام عليّ كرم الله وجهه مخاطباً الناس مرّة بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على نبيّه ورسوله؛ أمّا بعد: فإنّ الدنّيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإنّ المضمار اليوم، وغداً السباق. ألا وإنكم في أيام مهلٍ، ومن ورائه أجل، فمن أخلص في أيام مهله، فقد فاز، ومن قصر في أيام مهله قبل حضور أجله، فقد خسر عمله، وضرر أمّله. ألا فاعملوا لله في الرّغبة، كما تعملون له في الرّهبة. ألا وإنّي لمأر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها.²

ألا وإنه لم ينفعه الحقُّ ضرّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال. ألا وإنكم قد أمرتم بالظّعن، ودلّتم على الزّاد، ألا وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل.³

• **الخطب التي كانت تدعو إلى الرجوع إلى جادة الطّريق:** من الخطب التي كانت تدعو المسلمين إلى الرجوع إلى جادة الطّريق خطبة أبي بكر الصّدّيق في اليوم الذي انتقل فيه الرّسول ﷺ إلى الرّفيق الأعلى، وقبل أن يبايع بالخلافة، لأنّ ما حدث للكثير منهم من عدم تصديق هذا الخبر لا يصدّق أنّه حدث فعلاً في نفوس بعض المسلمين؛ مثل عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - الذي رفع سيفه يهدّد به كلّ من قال: "بأنّ محمّداً ﷺ قد مات."

وكانت هذه الخطبة على الشّكل التّالي:

بعد أن حمد أبو بكر الصّدّيق الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على نبيّه ورسوله؛ قال مخاطباً معاشر المسلمين من المهاجرين والأنصار:

"أيّها النّاس: من كان يعبدُ محمّداً، فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبدُ الله، فإنّ الله حيٌّ لا يموت، والله قد نعاه في أيّام حياتِهِ، فقال: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ."

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَأَن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34) ﴾،

¹ - السابق، ص: 158.

² - الباقلائي: إعجاز القرآن، ص: 145.

³ - نفسه، ص: 146.

[الأنبياء: 34].

وقال أيضا: ﴿ كَلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾¹.
 وقال أيضا : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
 عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ
 (144) ﴾، [آل عمران: 144].

وراح يواصل قوله:

ألا أن محمداً قد مضى لسبيله، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به، فدبروا، وانظروا، وهاتوا
 آراءكم، ثم بكى الناس، ونادوه من كل جانب، نصبح وننظر من ذلك غداً إن شاء الله.²
 واستطاع أبو بكر رضي الله عنه برياطة الجأش التي رزقه الله إياها في هذه المحنة العصبية
 والصعبة في الوقت ذاته أن يرجع المسلمين من المهاجرين والأنصار إلى جادة الطريق في
 أن الموت علينا نحن البشر وكل الكائنات الحية أمر حق؛ فهو واقع بنا وبغيرنا في أي
 لحظة وعلى بغتة، كما استطاع أن يبين لهم أن لكل بداية نهاية؛ وهذا عن طريق الموت
 لأنه كل نفس ذائقة الموت، وإلى الله المئاب، والله تعالى في هذا الشأن يقول: ﴿ كَلُّ نَفْسٍ
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۚ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (57). [العنكبوت، الآية: 57].

2 - 2 : خطب ذات طابع سياسي. من الخطب التي تميّزت بطابع سياسي ما ورد في

كلام الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ مثل:

- **خطبة للصدّيق بعد مبايعته كخليفة للمسلمين في سقيفة بني ساعدة:** ومما جاء فيها
 قوله: أيها الناس: " قد وليت عليكم، ولست بخيركم، القويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتّى آخذ منه
 الحقّ - إن شاء الله - والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتّى آخذ له الحقّ إن شاء الله."
 ونستنتج من هذا سياسة أبي بكر الصديق الحكيمة في إدارة شؤون الدولة؛ ذلك أن عملية
 تعيينه كخليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ كانت عن طريق الشورى - ما يسمّى في
 عصرنا هذا: الطريقة الديمقراطيّة - كما أن سياسته تعمل على تحقيق العدالة الاجتماعيّة بين
 الناس، فلله درّه من رجلٍ دولةٍ عظيمٍ.

- **خطبته في المسجد النبوي بعد مبايعته كخليفة للمسلمين:** ومما جاء في هذه الخطبة الهامة
 ما يلي: أيها الناس: فإنّي قد وليتُ أمركم، ولستُ بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسنّ النبي ﷺ،

¹ عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلاميّة، ص: 58.

² نفسه، ص: 59.

وعلمنا فعلمنا، واعلموا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف، حتى أخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق.¹

-خطبته على مسامع المهاجرين والأنصار: من خطب أبي بكر أيضاً، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد وآله، ثم قال: "أيها الناس: نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثرهم ولادةً في العرب، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ أسلمنا قبلكم، وقدما في القرآن عليكم؛ حيث قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)﴾، [التوبة: 100]. ونحن المهاجرون، وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفية، وأنصارنا على العدو أويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله." ²

ويمكن أن نستخلص من هذه الخطبة أنها كانت تشير إلى أن هناك مناصب للأمرء؛ وهي خاصة بالمهاجرين لما لهم من فضل في نصرته الإسلام والمسلمين من المستضعفين، وأخرى للوزراء من الأنصار لما لهم من فضل في مؤازرة الرسول ﷺ ومساعدته في نشر دعوته في ربوع المدينة المنورة وما حولها من الأماكن بعد هجرته إليهم، وكذا لما لهم من فضل في إيواء المهاجرين عندهم.

2 - 3: بعض الخطب العسكرية: ومن أهم الخطب التي تناولت الجانب العسكري.

¹ - الباقلائي: إعجاز القرآن، ص: 137.

² - الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: مفيد محمد، قميحة، الجزء 4 (كتاب الوساطة في الخطب)، مكتبة المعارف، (الرياض)، السعودية، ودار الكتاب العلمية (بيروت)، لبنان،: 1404 هـ / 1983 م، ص: 150.

لا تنفسوا:

- نفسني في الشيء: أي: رغبني فيه.

- نفست عليه الشيء: أنفسته، نفاسةً، إذا ضننت به، ولم تحب أن يصل إليه.

- نفس عليه الشيء: ضنّ به، ولم يره أنه يستأهله.

• **خطب حروب الردّة:** اندلعت الحروب ضدّ القبائل العربيّة التي ارتدّت عن الإسلام في ربيع شبه الجزيرة العربيّة، بعد وفاة الرّسول ﷺ، فبعض القبائل تمرّدت عن دفع الزّكاة لبيت مال المسلمين ورجعت إلى الكفر، والبعض منها ادّعى فيهم بعض المارقين منهم النّبوة، مثل مسيلمة الكذاب أيّام الخليفة أبي بكر الصّدّيق - رضي الله عنه - الذي كان يبعث بعهوده إلى القادة والأمراء لقتال هؤلاء المرتدّين وإعادتهم إلى حضيرة الدّولة الإسلاميّة، مثل خالد بن الوليد و أبي عبيدة بن الجراح وغيرهما، وهم الذين تولّوا أمر إلقاء الخطب العسكريّة أيضًا على مسامع المقاتلين لحثّهم على قتال المشركين والكفار المعندين.

• **وصايا قتال الكفار من الفرس والروم:**

- **من وصايا الخليفة أبي بكر الصّدّيق:** من أهمّ وصايا الخليفة أبي بكر الصّدّيق؛ وصيّته المشهورة لأسامة بن زيد؛ والذي بعثه لقتال الروم البيزنطيين تنفيذًا لما فعله الرّسول ﷺ من تعيينه لقتالهم قبل وفاته وقبل التحاقه بالرّفيق الأعلى؛ وهي وصيّة تتجلّى فيها حكمته - رضي الله عنه - وتمسّكه بتعاليم الإسلام الحنيف قلبًا وقالبا دون أدنى شكّ في ذلك. ومما جاء فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصّلاة على رسوله؛ قوله: "لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلًا ولا شيخًا ولا امرأة، ولا تدبّحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلاّ لمأكلة".¹

- **ومن وصاياه أيضًا؛** وهي من أجود خطب الوصايا، وهي ما قاله رضي الله عنه لأحد قادة جيوشه قبل مغادرة الجيش إلى أحد الأمصار لنشر الإسلام فيها: "إذا سرت فلا تعنّف أصحابك في السّير، ولا تغضبهم، وشاور ذوي الآراء منهم، واستعمل العدل فيهم، وباعد عنك الجور، فإنّه ما أفلح قوم ظلموا ولا نُصروا على عدوّهم، وفي هذا يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾".²

[الأنفال: 15].

"وإذا نُصرتهم عليهم فلا تقتلوا شيخًا ولا امرأة ولا طفلًا ولا تحرقوا زرعًا ولا تقطعوا شجرًا ولا تدبّحوا بهيمة إلاّ ما يلزمكم للأكل، ولا تغدروا إذا هادنتم، ولا تنتقضوا إذا صالحتم، وستمرون

¹ - الطنطاوي، عليّ: أبو بكر الصّدّيق، دار المنارة للنشر والتّوزيع - جدّة - المملكة العربيّة السّعوديّة، الطّبعة

الثّانيّة، تاريخ الطّباعة: 1406 هـ / 1986 م، ص: 15.

² - الشّيخ عليّ محفوظ: فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، ص: 90. - بتصرّف -

على أقوامٍ في الصّوامعِ رهبانًا ترهبوا الله فدعّوهم وما انفردوا إليه وما ارتضوا لأنفسهم، فلا تهدّموا صوامعهم ولا تقتلوههم، والسّلام. ¹ (*)

• 2-4: **خطب تدعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعيّة:** ومّا جاء في خطب الخليفة أبي بكر الصّدّيق أيضًا ما يشير إلى السّعي في تحقيق العدالة بين النّاس قوله يوم مبايعته كخليفة للمسلمين في سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة بعد وفاة النّبّي ﷺ قوله: (القويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتّى آخذ منه الحقّ، والضعيف فيكم قويّ عندي حتّى آخذ له الحقّ إن شاء الله).

قلّهُ درك يا أبا بكر وجزاك الله خيرا عن الإسلام والمسلمين!
ومن وصايا الخليفة عمر بن الخطّاب: من المعلوم جدًّا أنّ الخليفة عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- أنّه كان يخاطب الألوّية عند عقدها لقتال الكفّار والمشركين الذين أبوا الدّخول في الإسلام الذي جاء إلى النّاس كافّةً لإخراجهم من الظّلمات إلى نور الهداية والاستقامة بتعاليمه السّمحة، ومّا جاء في قوله مخاطبًا أحد الألوّية قبل توجّهه للقتال قوله: " بسم الله وبالله، وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله، وما النّصر إلّا من عند الله، ولزوم الحقّ والصّبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين، ولا تجبّئوا عند اللّقاء، ولا تقتلوا هرما ولا امرأةً ولا وليدًا، وتوقوا قتلهم إذا النّفر والزّحف آن، وعند شنّ الغارات. ²

2-5 - **بعض الخطب التي تناولت أمورًا متفرقة:** من الأمور الأخرى التي تناولتها الخطابة في هذا العهد:

أ- **خطب عقود النّكاح:** وكانت الخطب التي تعقد لعقد الزواج تبتدئ بمقدّمة، يستفتح الخطيب فيها بها الجمع الحاضر في عقد النّكاح بياتٍ من القرآن الكريم؛ ومن ذلك مثلاً قوله تعالى:

¹- السابق، الشّيخ عليّ محفوظ، ص: 90 - بتصرّف -

(*) يا لها من وصايا تصدر من فم صاحب رسول الله ﷺ، وما أحوجنا إليها في هذا العصر المزوّد بالأسلحة الفتّاقة !

²- أحمد زكيّ صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربيّة الزّاهرة، الجزء الأول. عصر صدر الإسلام. المكتبة العلميّة. بيروت. لبنان، الطّبعة الأولى، د ت، ص: 228.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (21) .¹

ويدخل الخطيب إلى (صلب الموضوع)؛ وهو الغرض المطلوب؛ ويعني أن يذكر أركان الزواج: (من صيغة، وولي، ومهر...)، ويذكر بعض الآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ مثل قوله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن له وجاء".² أو كقوله: "تتكح المرأة لأربع: لمالها، ولنسبها، ولجمالها، ولدينها فاضفر بذات الدين تربت يداك".³ لينتهي به المقام في آخر المطاف إلى الخاتمة التي تكون على شكل أدعية تكون مستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي لتكون مسك الختام قصد أن يرزق الله تعالى هذين الزوجين الرّفاء والأولاد الصّالحين لتعمير الحياة الدنيا بالفلاح والصّلاح.

ب - **الخطب التعليمية:** من خطب الخليفة عمر الفاروق التعليمية أنّ عبد الرحمن بن عبد القارئ سمع عمرًا؛ وهو من على المنبر يعلم الناس التّشّهّد؛ فكان يقول: "التّحيّات لله، الرّكّيات لله، الطّيبّات لله، والصّلوات لله، السّلام عليك أيّها النّبّيّ ورحمة الله تعالى وبركاته، السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين، أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله".⁴

ج - **بعض الخطب بغرض بثّ الطمأنينة في النفوس:** وهي من الخطب القصيرة التي يحاول فيها الخطيب أن تبتّ الأمان والاستقرار في نفوس النّاس، وما أحوج النّاس في كثير من الأحوال والظّروف إلى الطمأنينة؛ وربّما ما يصلح لهذا الموضوع ما قاله الخليفة عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - بعد تولّيه أمر المسلمين بعد مقتل الخليفة الفاروق عمر بن الخطّاب، وبعد أن استغلق عليه الكلام؛ ومما جاء في هذه الخطبة قوله:

"أيّها النّاس، إنّ أوّل كلّ مركّب صعّب، وإنّ أعشّ فستأْتيكم الخُطبُ على وجهها، وسيجعلُ

¹ - الرّوم: 20.

² - حديث نبويّ شريف، رواه البخاريّ في كتاب النّكاح (باب من لم يستطع الباءة فليصم) 5/ 1950 / 4779، ومسلم في كتاب النّكاح، باب استحباب النّكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنّة... 2/ 1018 / 1400، عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه.

³ - حديث نبويّ شريف، رواه البخاريّ في صحيحه، رقم: (4802)، ومسلم في صحيحه أيضًا رقم: (1466) عن أبي هريرة - رضي الله عنه -

⁴ - عليّ جابر المري: رسالة ماجستير بعنوان (الخطابة عند الفاروق) دراسة أسلوبية، ص: 57، 58.

الله بَعْدُ عُسْرٌ يُسْرًا.

والسّلام عليكم ورحمة الله. ¹

د - **خطب التّأبين**: من خطب التّأبين ما قاله الإمام عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لما قبض الخليفة أبو بكر الصّدّيق - رضي الله عنه - حيث جاء عليّ باكيًا مسترجعًا، وهو يقول: (اليوم انقطعت خلافة النّبوة).

وقف الإمام عليّ على باب البيت الذي كان فيه أبو بكر، وقال: "رحمك يا أبا بكر، كنت ألف رسول الله ﷺ وأنسه، وثقته وموضع سرّه، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدّهم يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غنى في دين الله، وأحوطهم على رسول الله، وأيمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبةً، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجةً، وأقربهم وسيلةً، وأشرفهم منزلةً، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيرًا، كنت عنده السّمع والبصر". صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه النّاس فسماك في تنزيهه صديقًا؛ فقال: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصّدقِ وَصَدّقَ بِهِ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33)** ﴾. [الزمر: 33].²

ويواصل عليّ بن أبي طالب قوله: "وواسيته حين بخلوا، وقمت معه عند المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشّدائد أكرم صحبة، ثاني اثنين وصاحبه، في الغار، والمنزل عليه السكينة والوقار، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وفي أمته - أحسن الخلافة - حين ارتدّ النّاس، فنهضت حين وهن أصحابك، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، وقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور إذ وقفوا، واتبعوك فهدوا." ³

ويكمل عليّ - كرم الله وجهه - قائلاً في شأن أبي بكر الصّدّيق (رضي الله عنه): "وكنّت أصوبهم منطقًا؛ أولاً: حين نفر النّاس عنه، وآخراً: حين قفلوا، وكنّت للمؤمنين أباً رحيماً، إذ صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقال ما ضعفوا عنه، ورعيت ما أهملوا، وحفظت ما أضاعوا، شمّرت إذ خنعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا." ⁽⁴⁾

¹ - الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه: العقد الفريد، ص: 155، 156.

² - الباقلائي: إعجاز القرآن، ص: 143، 144.

³ - نفسه، ص: 144.

⁴ - نفسه، ص: 144.

"وكننت كما قال رسول الله ﷺ أمن الناس عليه في صحبتك وذات يدك، وكننت كما قال: ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في أعين الناس، كبيراً في أنفسهم." ¹

ويقول أيضاً: " لم يكن لأحدٍ فيك مغمزٌ، ولا لأحدٍ مطمعٌ، ولا لمخلوقٍ عندك هوادهٌ، الضعيفُ الذليلُ عندك قويٌّ عزيزٌ حتى تأخذ له بحقه، والقويُّ العزيزُ عندك ضعيفٌ ذليلٌ، حتى تأخذ منه الحقَّ، والقريبُ والبعيدُ عنك سواءٌ، أقربُ الناسِ إليك أطوعُهم لله، شأنك الحقُّ والصدقُ والرِّفقُ، وقولك حكمٌ، وأمرُك حلمٌ، ورأيك علمٌ وحزمٌ، فأبلغتِ وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفأتِ النيران، واعتدل بك الدين، وقوي الإيمان، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً عظيماً، فجللتِ عن البكاء، وعظمتِ رزيتك في السماء، وهديت مصيبتك الأيام، فإنَّ الله وإنَّا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاؤه، وسلَّمنا له أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، فألحقك الله بنبِيِّه، ولا حرماناً أجرك، ولا أضلنا بعدك.

وسكتَ الناسُ حتى انقضى كلامه هذا، ثم بكى وبكوا حتى علت أصواتهم. ²

والخلاصة أنَّ عهد الخلفاء الراشدين عرف ازدهار الخطابة أيما ازدهارٍ لكنَّها اختلفت في المضمون من حيث استعمال الألفاظ من شخصٍ إلى آخر؛ ذلك أنَّها تميَّزت في عهد أبي بكرٍ الصديق بالحزم والجدة التي لا تعرف في الحق هوادهً، واستعمال ألفاظ القوة والزَّهبة في عهد عمر بن الخطَّاب؛ وهذا لشدَّته على نفسه وعياله أكثر من غيره، وبشيءٍ من اللبونة أيام عثمان بن عفَّان، والحكمة والموعظة الحسنة في أيام الإمام عليِّ بن أبي طالب رغم ما شهدته المجتمع من فتنةٍ أدت إلى مقتله على يد أحد الخوارج.

¹ - السابق، ص: 144.

² - نفسه، ص: 145.

الباب الثاني:

الخصائص البلاغية والأسلوبية
للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

- تمهيد: يمثّل الجانب التّطبيقيّ شيئاً هاماً في تحليل أيّ ظاهرةٍ مهما كان شكلها أدبيّةً كانت أم علميّةً؛ وفي هذه الحالة نعتمد في دراسة هذه النّماذج من الخطب وتحليلها من حيث العمل التّطبيقيّ على الشّكل التّالي:

1 - بالنّسبة للدراسة البلاغية: تقوم هذه الدّراسة بتناول الخطب المقترحة في المدوّنة؛ وهي الخطب الخاصّة بالخلفاء الراشدين دراسة بلاغيةً لتعرّف على الأقسام البلاغية الواردة في نصوصها، ومدى تحصيل بعض المعاني والدّلالات منها؛ وهذا على شكل جداول توضيحية.

2 - أما بالنّسبة للدراسة الأسلوبية: فتعتمد بعض الآليات الأسلوبية مع السّعي لتطبيق بعض الأنواع من الأسلوبيات، باعتبار أنّ الأسلوبية أساليبيات متعدّدة، وبالتالي يمكن التّطرّق إلى الأسلوبية التّعبيرية والوظيفية والبنوية، كما يمكن التّطرّق إلى دراسة هذه الخطب من حيث مستوياتها (الصّوتية، التّركيبية، الدّالية...)؛ وهذا بالاعتماد على بعض الآليات الأسلوبية؛ وفي مقدّمتها المنهج الإحصائيّ والاستقرائيّ أكثر من غيرهما.

والخلاصة أنّ هذا الباب يشمل تحليلاً كاملاً قد يستوفي النّقاط المذكورة في مقدّمة الخطبة من فصلين تطبيقيين؛ أحدهما خاصّ بالخصائص البلاغية، والآخر خاصّ بالخصائص الأسلوبية في المستويات التّالية؛ وهي:

- المستوى المعجميّ.
- المستوى الصّوتيّ.
- المستوى التّركيبيّ.
- المستوى الدّاليّ.

وكلّ هذا بغرض الوصول إلى تحقيق بعض الدّلالات التي تساعد ربّما على زيادة الفهم أكثر فأكثر.

الفصل الأول:

الخصائص البلاغية للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

الخصائص البلاغية لخطب المدونة:

توطئة: تقوم البلاغة العربية على ثنائية الشكل والمضمون والتي تتفرع إلى اتجاهات معينة؛ منها ما يهتم بالشكل؛ حيث يكون اللفظ المستعمل، أو البناء اللفظي وما يرتبط به ما تناول اللفظة المفردة، ومنها ما يتناول الجملة الواحدة، أو ما هو في حكم الجملة، ومنها ما يتصل بصلة اللفظ ومعناه، وما يترتب عن خروج هذا المعنى عن حدوده التي وضعت له، وما يسمى بانحراف المعنى عن اللفظ.

وقد نجد ما يتناول معنى الجملة وصلتها بما قبلها وما بعدها، ولا شك في أن معظم هذه المباحث قامت في بادئ الأمر على أساس وصفي في دراسة النماذج الأدبية شعراً كانت أم نثراً؟ وفي مقدمة هذه النماذج الأنموذج القرآني لما فيه من إعجاز لغوي وأدبي لا نظير له، وبما يحتويه من بلاغة عالية وراقية تفوق حد التصور؛ الأمر الذي يجعل أبلغ البلغاء من الإنس والجن عاجزاً على أن يأتي بمثل هذا أبداً مصداقاً لما جاء في محكم التنزيل من قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (88).¹

وسرعان ما انقلب المنهج الوصفي هذا إلى دراسة معيارية خالصة؛ مما جعل البلاغيين يضعون قواعد وتوصيات لا ينبغي الخروج عنها ما جعل البلاغيين أنفسهم أوصياء على كل التصوص الأدبية.²

وبهذا كانت الدراسة المعيارية لا تُخرج صاحبها عن قواعد معينة وتوصيات ربط بها البلاغيون أنفسهم؛ فكانت كالسيف المسلط على رقاب المبدعين من شعراء ونثّار، وكان البلاغيون يسألونه عليهم لاكتشاف حدود اللفظ والمعنى من إبداعاتهم وإنجازاتهم المختلفة.³

وتتمثل منهجية البلاغة في دراسة التراكيب اللغوية من حيث أداؤها للمعنى من جهة، ومن حيث تنوعها من جهة ثانية، وكذا من حيث مطابقتها لما لهذه التراكيب من محاسن من ناحية ثالثة. وقد راح البلاغيون يسطرون بعض الخاصيات التي كانوا يريدون الاستشهاد بها كقواعد لهم يفترض أن تكون نماذج في النص الأدبي. وربما كانوا بذلك يحملون فنون القول ما لا تحتل من

1 - الإسراء: 88.

2 - محمد عبد المطلب: أدبيات البلاغة والأسلوبية، مكتبة: لبنان (ناشرون)، والشركة المصرية العالمية للنشر

(لونجمان) - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى: 1994 م، ص: 358، 359. - بتصرف -

3 - نفسه، ص: 360. - بتصرف -

صوره البلاغية، فكانت البلاغة تصدر عن مجموعة من القواعد التي تساعد الأحكام البلاغية والنقدية؛ والتي اعتمدت على الأعراف والتقاليد السائدة في النماذج السابقة، أو ما تخيله البلاغيون من وجودها.

وقد عملت البلاغة في كثير من جوانبها على تمثيل العلاقة بين الأسلوب والمعنى وصلته بما تتعرض له الجملة في التركيب اللغوي في علم المعاني؛ والذي يهتم بسمات هذا التركيب في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان إبعاداً للخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال.¹

وبهذا نصل إلى أن ما يؤخذ من البلاغة هو ما يمس التركيب اللغوي من حيث أدائه للمعنى بناء على ما يوجد من علاقة بين اللفظ ومعناه، وبما يقوم عليه هذا التركيب من صور بلاغية اعتماداً على درجات الاستحسان والجمال، ودرءاً للخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

المبحث الأول: أقسام البلاغة العربية. ينقسم علم البلاغة إلى ثلاثة فنون؛ وهي:

1 - علم المعاني:

1 - 1 - تعريفه: عرّف البلاغيون علم المعاني بأنه: "علمٌ تعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال".²

1 - 2 - أبوابه: يمكن حصر موضوعات علم المعاني التي وردت في القسم الثالث من كتاب المفتاح في:

- الخبر والطلب.
- الإسناد الخبري باختلاف السامع من حيث: خلو الذهن، أو الشك، أو الإنكار.
- الإسناد وبيان أحوال المسند إليه والمسند، من حيث: الحذف والذكر، التعريف والتكثير، التقديم والتأخير، التخصيص والمقتضيات البلاغية.
- الفعل ومتعلقاته.
- الفصل والوصل.
- الإيجاز والإطناب، وبيان كيف أنهما نسبتيان.
- القصر وأنواعه وطرقه.

¹ - السابق، ص: 361. - بتصرف -

² - كريمة أبو زيد: علم المعاني (دراسة وتحليل)، دار التوفيق النموذجية للطباعة - الأزهر - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى: 1408 هـ / 1988 م، ص: 35.

• الطّاب 1.

ويضمّ: (التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء)، وأدواتها ووظائفها. وبهذا نجد هذا الفن من فنون البلاغة العربية يبحث في أحوال التراكيب اللغوية، وكيفية مطابقتها لمقتضى الحال من تعريف وتكثير وذكرٍ وحذفٍ وتقديمٍ وتأخيرٍ وقصرٍ وفصلٍ... إلخ.

2- علم البيان:

2 - 1: تعريفه.

- أ - البيان لغة: البيان لغة؛ ويعني الظهور والوضوح، نقول: بان الشيء، يبين: إذا ظهر.
ب - البيان اصطلاحاً: علم البيان؛ وهو علمٌ يعرف به إبراز المعنى الواحد بطرقٍ مختلفةٍ في إيضاح الدلالة من تشبيه، واستعارة، ومجازٍ مرسلٍ وكناية...²
ج - أبوابه: ويتناول البيان المباحث التالية:

• التصريح والمداورة.

• التشبيه.

• المجاز والمجاز المرسل.

• الاستعارة.

• الكناية.³

3- علم البديع:

- أ - البديع لغة: يقال: بدع الشيء، يبدعه بدعاً، وابتدعه، أي: أنشأه وبدأه، والبديع: هو الشيء المحدث العجيب، وأبدعت الشيء؛ أي: اخترعته لا على مثال.⁴
ب - البديع اصطلاحاً: أمّا اصطلاحاً؛ فإنّ بينه وبين المعنى اللغوي صلةً قريبةً سوّغت هذه التسمية، وأجازت الإطلاق؛ ومن تعريفات بعض العلماء نذكر ما يلي:

¹ - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية (علم المعاني) دار النهضة العربية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى:

1430 هـ / 2009 م، ص: 29.

² - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، وضع الحواشي: إبراهيم، شمس الدين، دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1421 هـ / 2003 م، ص: 5.

³ - نفسه، ص: 5. - بتصرّف -

⁴ - المراغي، محمود أحمد حسن: في البلاغة العربية (علم البديع) دار العلوم العربية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1411 هـ / 1991 م، ص: 9. - بتصرّف -

• ويعرفه ابن خلدون بأنه: "هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق؛ إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصع أوزانه، أو توريّة عن المعنى المقصود بإبهام معنى أخفى منه لا اشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد..."

• أما الجاحظ: فيعتبره بأنه علم مقصور على العرب دون غيرهم؛ ولذا فهو يقول: "والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة".

• أما ابن رشيق القيرواني: فيقول في حديثه للمثل السائر: "وهذه الأشياء في الشعر، إنما هي نبذ تستحسن، ونكت تستظرف مع القلة وفي الندرة، فأما إذا كثرت فهي دالة على الكلفة، ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضاً خالياً مغسولاً من هذه الحلي فارغاً منها".¹

فهو إذاً علم يبحث؛ هو علم يبحث في طرق تحسين الكلام وتزيين الألفاظ و المعنى بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، وقد سمّي (بديعاً) لكونه لم يكن معروفاً قبل وضعه.²

ويعتبر عبد الله بن المعتز أول من دَوّن قواعده ووضع أصوله- وهو أحد الشعراء المطبوعين والبلغاء الموصوفين- فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات، ثم جمعها في كتابه الموسوم بـ: (البديع)؛ حيث ذكر فيه سبعة عشر فرعاً، قائلاً: "ما جمع قبلي فنون البديع أحد، ولا سبقني في تأليفه مؤلف، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن فله اختياره".³

ومما سبق يمكن أن نفهم أنّ مصطلح (البديع) يدور معناه حول التحسين والتزيين في اللفظ والمعنى؛ فحسن اللفظ من حيث الجرس الموسيقي، وحسن الكلمة من حيث أدائها لمعناها، ويزداد حسن أداء الكلام لمعناه بتأثير الرنين الموسيقي؛ وهو ما يتضح في: الجناس، السجع، الترصيع والتصرّيع، وغير ذلك من أنواع البديع.⁴

ولن يتحقق الجمال والحسن في هذه الأنواع المذكورة آنفاً إلا إذا تحقّق الاتصال بالمعنى دوماً؛ فانقطاع هذا الاتصال يؤدي حتماً إلى فساد البديع حيث يصبح مردولاً وغير مقبول؛ لأنّ وجوه التحسين ترجع إلى تحسين المعنى أصلاً إلى تحسين اللفظ.

ج - أهمّ أساليبه: من أهمّ أساليب البديع .

• الجناس.

¹ - السابق: ص: 10، 11. - بتصرّف -

² - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 5.

³ - نفسه، ص: 5. - بتصرّف -

⁴ - المراغي، محمّد أحمد، حسن: في البلاغة العربية (علم البديع)، ص: 11.

- الطَّباق.
- السَّجْع.
- المقابلة.
- التَّوْرِيَّة.¹

وقد ذكر ابن المعتز في كتابه (البديع) ثلاثة عشر محسنًا بديعياً من هذه المحاسن؛ وهي:

الرقم	المحسن	تأصيله.
01	الالتفات.	انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعنه إلى المخاطبة.
02	الاعتراض.	اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم العودة إليه لتتمته في البيت الواحد.
03	الرجوع.	قول الشيء ، ثم الرجوع إليه.
04	حسن الخروج.	أي: الخروج من معنى إلى معنى آخر، أو الاستطراد كما يسميه أبو تمام.
05	تأكيد المدح.	بما يشبه الذم.
06	تجاهل العارف.	وهو: ما أسماه المتأخرون ب: (الإعنات والتشكيك).
07	الهزل.	وهو: ما يراد به الجد في الأصل.
08	الإفراط في الصفة.	وهي المبالغة.
09	الإعنات والتكلف.	ويعني: إعنات الشاعر لنفسه في القوافي وتكلفه في ذلك ما ليس له، وهو ما سماه المتأخرون بلزوم ما لا يلزم.
10	حسن الابتداءات.	أي: حسن الابتداء. ²
11	التعريض والكناية.	بالنسبة للتعريض؛ فقد جاء في لسان العرب أنه: (قد يكون بضرب الأمثال وذكر الألغاز في جملة المقال). ³

¹ - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 6.

² - المراغي، محمد أحمد حسن: في البلاغة العربية (البديع)، ص: 14. - بتصرف -

³ - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين، (أبو الفضل): لسان العرب، باب: عرض، دار صار - بيروت - لبنان، د ط، د ت، ص: 2895.

<p>والتعريض؛ هو التلميح بالمعنى دون الكشف والتّصريح به، يقول المنتبّي معرّضاً بالأمير سيف الدولة الحمداني: إذ الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً (1) أمّا بالنسبة للكناية؛ فقد قيل: "هي اللفظ الدال على غير وضعه الحقيقي".²</p>		
<p>وحسن التّضمين؛ فهو الذي يكتسب به الكلام طلاوةً، وهو بأن يضمّن بالآيات القرآنية الكريمة والأخبار النبوية، وهو على ضربين: - تضمين كليّ: وتذكر فيه الآية والخبر بجملتهما. - تضمين جزئيّ: وتدرج فيه بعض الآية، أو الخبر، فيكون جزء من هذا الكلام، وقد قيل أنه لا يجوز إدراج جزء من الآية في غضون الكلام من غير تبين له؛ وهذا لكي لا يتشابه الكلام، غير أنّ القرآن الكريم أبين ولا يحتاج إلى بيان؛ فهو كلام الله المعجز الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.³</p>	<p>حسن التّضمين.</p>	<p>12</p>
<p>والتّشبيه؛ هو إلحاق أمرٍ بآخر في صفةٍ مشتركةٍ بينهما بواسطة أداة لغايةٍ معيّنة.⁴</p>	<p>حسن التّشبيه.</p>	<p>13</p>

¹- أبو العباس، عبد الله بن المعتز: كتاب البديع، شرح وتحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1433 هـ / 2012 م. ص: 83. - بتصرف -

²- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق: أحمد الخولي، وبدوي طبانة، القسم: الثالث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة - جمهورية مصر العربية، د ط، د ت، ص: 50.

³ - نفسه، ص: 200. - بتصرف -

⁴- أبو العباس، عبد الله بن المعتز: كتاب البديع، شرح وتحقيق: عرفان مطرجي، ص: 88.

الخطبة الأولى: خطبة لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بعد بيعته بالخلافة.

خطب أبو بكر الصديق خطبة مؤثرة في سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة على مسامع المهاجرين والأنصار، وهذا بعد وفاة النبي ﷺ، وبعد مبايعته بالخلافة؛ فقال:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أما بعد.

أيها الناس: فإنّي قد وليتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتّى أريح عليه حقّه - إن شاء الله - والقويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتّى آخذ الحقّ منه - إن شاء الله - ولا يدعُ أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله، فإنّه لا يدعه قومٌ إلا ضربهم الله بالذلّ، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلا عمهم الله بالبلاء.

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيتُ الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم.¹

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.²

¹- عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلامية، الأزرايطية- الإسكندرية - جمهورية مصر العربية، تاريخ الطباعة: 2002 م، ص: 60، 61.

²- الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، الجزء الرابع، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1404 هـ / 1983 م، ص: 157.

المبحث الثاني: الخصائص البلاغية للخطبة الأولى.

توضيح الصور البلاغية:

الصورة البلاغية	نوعها	تأصيلها.
فأعينوني، فقوموني أمانة، خيانة	سجع	سنناول هذه الصورة البلاغية في الخطبة الثانية بالتفصيل الكامل.
الصدق أمانة والكذب خيانة	مقابلة	يقول تعالى: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره (8) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره(9)﴾، [الزلزلة: 8، 9]. جعل القزويني المقابلة من أنواع المطابقة، وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم ما يقابلها، أو يقابلها على الترتيب؛ ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)﴾، [التوبة: 82]. وقول النبي ﷺ: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه". وكما جاء في قول النابغة الذبياني: فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا. ومثال مقابلة ثلاث معانٍ فيما جاء في قول المتنبي: فلا الجود يفنى المال والجدّ مقبلٌ ولا البخل يبقي المال والجدّ مدبرٌ ومثال مقابلة أكثر من ثلاث معانٍ بعددها في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾، [الليل، من الآية 5 إلى الآية: 10]. والمقابلة في الآية القرآنية بين (يضحكوا قليلاً، ويبكوا كثيراً)، وفي الحديث النبوي الشريف بين (يكون... زانه)، و(ينزع... شانه)، وفي قول النابغة بين (يسرّ صديقه، ويسوء الأعدايا) والمقابلة بثلاث معانٍ في قول المتنبي بين: (الجود، يفنى، مقبل)، وبين: (البخل، يبقى، مدبر)، والمقابلة في أكثر من ثلاث معانٍ في الآية القرآنية

<p>الكرامة بين: (أعطى، واتقى، وصدق، فسنيسته لليسرى)، وبين: (بخل، واستغنى، وكذب، فسنيسته للعسرى).¹</p> <p>ومما جاء في جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع لصاحبه السيد أحمد الهاشمي: "أنّ المقابلة؛ وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو أكثر، ثمّ يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب؛ مثل:</p> <p>- قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾. [الأعراف: 157].</p> <p>- وقوله ﷺ للأَنْصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع." - وكقول خالد بن صفوان: في وصف رجلٍ ليس له صديقٌ في السرِّ ولا عدوٌّ في العلانية.</p> <p>وباسطُ خيرٍ فيكم بيمينه وقابضُ شرٍّ عنكم بشماله.</p> <p>- وكقول أحدهم:</p> <p>ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وما أقبح الكفر والإفلاس بالرجل.</p> <p>2</p>		
<p>الطباق: هو الجمع بين الشئ وضده، والذين قد يكونان:</p> <p>- اسمين: نحو قوله تعالى في سورة الحديد، الآية: 3 ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾، وكذا فيما جاء في سورة الكهف، الآية: 18: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾.</p> <p>- أو فعلين: نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44)﴾، [النجم، الآية: 43، 44]</p> <p>و في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (13)﴾. [الأعلى: 13].</p> <p>أو حرفين: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)﴾، [البقرة: 228].</p>	<p>طباق</p>	<p>أمانة، خيانة الضعيف، قويّ القويّ، ضعيف. أطعت، عصيت</p>

¹ - المراغي، محمود أحمد حسن: في البلاغة العربية (علم البديع)، دار العلوم العربية - بيروت - لبنان، تاريخ

النشر: 1411 هـ / 1991 م، الطبعة الأولى، ص: 70، 71. - بتصرف -

² - السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة العربية في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، د ط، د ت، ص: 404.

- أو مختلفين: نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، [الرعد: 33]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۗ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)﴾.¹ [الأنعام: 122].
والطباق ضربان؛ وهما:

1 - طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً نحو:
- قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)﴾. [آل عمران: 26].
- وكقول أحد الشعراء:

حلو الشمائل وهو مرّ باسلٍ يحيي الدمار صبيحة الإرهاق.

2 - طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً؛ حيث نجده يجمع بين فعلين من مصدرٍ واحدٍ، أحدهما يكون مثبتاً والآخر منفيّاً؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108)﴾. [النساء: 106].

أو يكون أحدهما فعل أمرٍ ، والآخر فعل نهي؛ نحو:

- قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (3)﴾، [الأعراف: 3]

- وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي

ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾،

[المائدة: 44]²

ويلحق بالطباق ما بني على المضادة تأويلاً في المعنى؛ نحو:

- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ يَغْفِرُ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (129)﴾، [آل

¹ - السابق، ص: 303.

² - نفسه، ص: 303. - بتصرف -

<p>عمران: [129].¹؛ أي: أنّ الله تبارك وتعالى ذو الملكوت الواسع قد يعذب، وقد يغفر لمن يشاء. (*) والخلاصة أننا قد نجد الطباق بمعنى المطابقة، أو التّضاد، أو التّطبيق، أو التّكافؤ والتّطابق؛ ويعني الجمع بين معنيين متقابلين سواءً أكان ذلك التّقابلاً لإيجاب أو بالسلب.</p>		
<p>سنناول هذه الصّورة البلاغية في الخطبة الثالثة بشيءٍ من التّفصيل.</p>	<p>استعارة مكنيّة</p>	<p>حتّى أزيح عليه حقّه.</p>

الاستنتاجات:

استعمل هذا الخطيب في خطبته هذه ألفاظاً جزلة سهلةً خاليةً من السّوقيّة، لكنّها تميّزت في الغالب باللّين؛ مثل قوله: "وليت عليكم ولست بخيركم"، وهذا من أسلوب التّواضع، وقوله: "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم." وهذا من أسلوب تقبّل النصيحة والعمل بها لتحقيق مصلحة الرعيّة.

كما استخدم أسلوب التّضاد في بعض العبارات من خطبته؛ مثل قوله: "الضعيف فيكم قويّ عندي حتّى أزيح عليه حقّه، والقويّ فيكم ضعيفٌ عندي حتّى أخذ الحقّ منه إن شاء الله، وهذا النوع من الأسلوب يشير إلى السّعي لتحقيق العدالة بين أفراد الرعيّة، وقوله: "فإن أحسنت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني، وهذا الأسلوب يوحي بالتّواضع في تسلّم مقاليد الحكم، وأنّ الإنسان مهما أوتي من الحكمة فقد يصيب ويخطئ، والحكيم منّا من يتقبّل النصيحة ويعمل بها لتحقيق المصلحة العامّة.

والمهمّ أن نعرف أنّ أبا بكر الصّدّيق - رضي الله عنه - كان رجل المواقف الصّعبة كما كانت خطبه تعبّر عن ذلك؛ ومن المواقف الصّعبة التي عاشها المجتمع المسلم في عهده موقفه الشّديد من المرتدّين وإعلانه الحرب عليهم دونما هوادة، وتنفيذ وصيّة رسول الله ﷺ في قتال الرّوم البيزنطيّين في منطقة الشّام؛ والذين طالما كانوا يترصّون بالدّولة الإسلاميّة الفتية آنذاك، وكذا قتال الفرس السّاسانيين في منطقة العراق وما وراء النهرين.

ونخلص في الأخير إلى أنّ هذه الخطبة تشير إلى عظمة قائلها، ومن الأساليب البلاغية المذكورة فيها يوضحه الجدول التّالي مع الغرض منها:

¹ - السابق، ص: 303.

(*) والملاحظ أنّ مفهوم التّعذيب لا يقابل مفهوم المغفرة بصريح العبارة، لكنّه هو على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذة التي يؤاخذ بها الله الإنسان المذنب؛ وهذه الأخيرة التي هي في الأصل ضدّ المغفرة.

توضيح معاني الخصائص البلاغية:

الغرض منها	الكلمة، أو العبارة	الخاصية البلاغية
تحسين اللفظ وتأكيد المعنى.	أعينوني - قوموني. أمانة - خيانة.	السجع.
زيادة المعنى.	أمانة - خيانة. القوي - الضعيف. الضعيف - القوي. أطعت - عصيت.	الطباق.
زيادة في توضيح المعنى	حتى أزيح عليه حقه.	استعارة مكنية.
توضيح المعنى أكثر.	الصدق أمانة - الكذب خيانة	المقابلة.

الخطبة الثانية: هذه إحدى خطب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

صعد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وخطب في الناس يوماً على المنبر؛ حيث حمد الله وأثنى عليه، وتشهد، وصلى على نبيه ورسوله، وآله وصحبه، ثم قال:

يا أيها الناس: إني داعٍ فأمّنوا؛ اللهم إني غليظٌ فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحقّ ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك، وأهل الدعارة والنفاق، من غير ظلمٍ مني لهم، ولا اعتداء عليهم، اللهم إني شحيحٌ فسخني في نوائب المعروف، قصداً من غير سرفٍ ولا تبذيرٍ، ولا رياءٍ ولا سمعةٍ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة، اللهم ارزقني خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان؛ فألهمني ذكرك على كلّ حالٍ، وذكّر الموت في كلّ حينٍ، اللهم إني ضعيفٌ عن العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعونك وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى، وذكّر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات، والحدّ من الشبهات، اللهم ارزقني التّفكّر والتدبّر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة لمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيتُ، إنك على كلّ شيءٍ قديرٌ.¹

اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين.²

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، و صدر الإسلام)، الجزء الأول، شركة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده - القاهرة - جمهورية مصر العربية - الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1352 هـ / 1933 م، رقم: 494، ص: 81، 82.

² - الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، ص: 156.

2 - الخصائص البلاغية للخطبة الثانية:

توضيح الصور البلاغية:

الصورة البلاغية	نوعها	تأصيلها
يا أيها الناس:	نداء	أسلوب النداء ويكون بعدة أدوات مثل: (الهمزة، الياء، الواو...) وهنا تتكوّن الجملة من: يا أيُّ؛ أيُّ: أداة النداء. النّاس: المنادى.
اللهم إني غليظ فليّني اللهم إني شحيح فسحني اللهم ارزقني التفكر والتدبير	رجاء	أسلوب الرجاء، ويكون في الأمور التي تقبل الوقوع فعلاً بعكس التمني الذي يكون في الشيء المستحيل وقوعه. فالليونة بعد الغلظة أمر قابل للتحقيق. والسخاء بعد الشحّ هو أمر قابل للتحقيق أيضاً. والتفكر والتدبير أمران يقبلان التحقيق بعد الغفلة كذلك.
غليظ، ليّن. شحيح، سخي.	طباق	تمّ التطرّق لهذه الصورة البلاغية في الخطبة الأولى.
إصلاح الساعات، والحذر من التشبهات. التفكر، التدبير	سجع	ويقال: سجع المتكلم في كلامه؛ إذا تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر مقفى غير موزون. والسجع في البديع: هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، هو في النثر كالقافية في الشعر. ¹ (*) وأفضل السجع ما كانت فقراته متساويات؛ مثل:

¹ - الميداني، عبد الرحمن حسن حنكة: البلاغة العربية (أسسها، علومها، فنونها)، الجزء الثاني، دار القلم - دمشق سوريا، دار الشامية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1416 هـ / 1996 م، ص: 503. - بتصرف- (*) وكان النبي ﷺ قد نهى عن محاكاة سجع الكهان؛ وهذا تجنباً للتشبه بهم.

<p>- قول الرسول ﷺ في دعائه عن الحثّ عن الإنفاق في طرق الخير والتّحذير من الشحّ والإمساك: "اللّهم أعطِ منفقاً خلفاً، وأعطِ ممسكاً تلفاً".</p> <p>- وكقول أعرابيٍّ جرف السّيل ابنه ذات يوم: "اللّهم إن كنت قد أبلّيت، فإنك طالما قد عافيت".</p> <p>- وكقول أحدهم: "الحرّ إذا وعد وقّى، وإذا أعان كفى، وإذا قدر عفا."¹</p> <p>والأصل في السّجّع أن يكون في النثر؛ غير أنّه قد يأتي في الشّعْر حتّى يزيده حسناً إذا كان مستوفي الشروط الفنيّة بعيداً عن التّكالف (*) ويطلق على الفقرة المنتهية بالفاصلة (سجعة)؛ وجمعها (سجعات) كما يطلق عليها قرينة؛ وهذا لمقارنتها لأختها، وتجمع على (قرائن)، كما يطلق عليها فقرة وجمعها (فقرات)، أو (فقر)، وتكون الأسجاع دوماً مبنيةً على سكون الأعجاز، أي (الأواخر)؛ مثل: "ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت".</p> <p>والسّجّع أقسام ؛ وهي:</p> <p>أولاً: من جهة بناء كلمات السّجعتين واتّفاقهما في الوزن والحرف الأخير، أو عدمه؛ وهو ثلاثة أقسام :</p> <p>القسم الأول: التّرصيع، ويقال له: (السّجّع المرصّع).</p> <p>أ - مثلما جاء قوله تعالى في سورة الغاشية، الآية: 25، 26 ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)﴾؛ فالنّقبال في كلمات الآيتين يلاحظ فيه الاتّفاق في الوزن وفي الحرف الأخير (إنّ - إلينا - إيابهم، ثمّ (إنّ - علينا - حسابهم)).</p> <p>ب - وفي قول الحريري:</p> <p>" فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه".</p> <p>ج - والنّقبال في كلمات هاتين الفقرتين؛ هو اتّفاق في الأوزان، وفي الحرف الأخير منهما.</p>		
--	--	--

¹ - السابق، ص: 504. - بتصرّف -

(*) تأدّب بعض العلماء كالباقلائي وابن الأثير؛ حيث قاموا بتخصيص ما هو ملاحظ في القرآن الكريم من سجّع باسم (الفواصل)، ينظر المرجع نفسه: عبد الرّحمن حسن الحنبكة: البلاغة العربيّة (أسسها وعلومه وفنونها)، ص: 504. - بتصرّف -

<p>يطبع- الأسجاع- بجواهر- لفظه. يقرع- الأسماع- بزواجر- وعظه.¹ القسم الثاني: المتوازي، ويقال: (السجع المتوازي)؛ وهو أن تكون الكلمتان الأخيرتان من السجعتين متفقتين في الوزن، وفي الحرف الأخير منهما مع وجود اختلاف فيما قبلهما في الأمرين، أو في أحدهما؛ مثلما جاء في سورة الغاشية: - في قوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14)﴾. نلاحظ أنّ كلمة: (مرفوعة)، و(موضوعة) متفقتان في الوزن والحرف الأخير، غير أنّ ما قبلهما يختلف: (سرر) و(أكواب). - في قول أبي منصور التّعالبي: " الحقد صدأ القلوب، واللجاج سبب الحروب ". ونلاحظ أنّ: (القلوب)، و(الحروب) متفقتان في الوزن والحرف الأخير، غير أنّ كلمتي: (صدأ)، و(سبب) تختلفان في الحروف، وإن اتفقتا في الوزن، كما أنّ كلمتي: (الحقد)، و(اللجاج) تختلفان في الأمرين معاً.² القسم الثالث: المطرف، ويقال السجع المطرف؛ وهو أن تكون الكلمتان الأخيرتان من السجعتين مختلفتين في الوزن، ومتفقتين في الحرف الأخير، وحينئذ لا ينظر إلى ما قبلها من الاتفاق أو الاختلاف . وهو ما يتضح في: -قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام عن قومه، الآية: 13، و14: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)﴾ . فنلاحظ أنّ كلمة (وقارا)، و(أطوارا) مختلفتان في الوزن متفقتان في الحرف الأخير . - وقول أحد البلغاء: "الإنسان بآدابه لا بزيّه وثيابه".</p>		
---	--	--

¹ - السابق، ص: 505. - بتصرف -

² - نفسه، ص: 205، 206. - بتصرف -

<p>ونلاحظ أنّ كلمة (آدابه)، و(ثيابه) كلمتان متّقتان في الحرف الأخير لكنهما مختلفتان في الوزن.¹</p> <p>ثانياً: من حيث الطول والقصر: وهو على ثلاثة أضرب؛ وهي كالتالي:</p> <p>القسم الأول: السجع القصير؛ مثلما جاء في سورة المرسلات، الآية: (1)، (2) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَأَلْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2)﴾.</p> <p>القسم الثاني: السجع المتوسط؛ مثلما جاء في سورة القمر، الآية: (1)، (2)، (3) في قوله تعالى: ﴿اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ (3)﴾.</p> <p>القسم الثالث: السجع الطويل؛ مثلما جاء في سورة الأنفال، الآية: 43، 44 في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبٍ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشَلْتُمْ وَلَتَنَارَعُنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ النَّفْيِثُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ (44)﴾.</p> <p>ثالثاً: السجع في الشعر.</p> <p>وقد يأتي السجع في الشعر على وجوه السجع في النثر، غير أنه يختص بقسمين لا يوجدان في النثر؛ وهما:</p> <p>1 - التصريح: يكون بجعل العروض؛ أي: (آخر المصراع الأول من البيت) مقفأة تقفية الضرب؛ أي: (آخر المصراع الثاني من البيت، ومنه في الغالب أوائل القصائد الشعرية، مثل: ²</p> <p>- قول امرئ القيس:</p> <p>قفا نبيك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدخول فحومل وكذا قوله:</p> <p>أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي . - وكقول المتنبي:</p> <p>مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان.</p>		
---	--	--

¹ - السابق، ص: 507. - بتصريف -

² - نفسه،، ص: 507. - بتصريف -

<p>2 - التَّشْطِير: ويكون بجعل كلِّ شطرٍ من شطري البيت مسجوعاً سجعاً مخالفاً للسَّجْع في الشَّطْر الآخر؛ مثل قول الشاعر العباسي أبي تمام:</p> <p>تدبير معتصمٍ بالله منتقم لله مرتغبٍ في الله مرتقب.</p> <p>وهنا نلاحظ أنَّ السَّجْعَةَ في الشَّطْر الأول كان على حرف (الميم)، بينما كان في الشَّطْر الثاني على حرف (الباء).¹</p> <p>والسَّجْع في الحسن ثلاث درجات؛ وهي:</p> <p>الدرجة الأولى: وهي ما تساوت سجعاته فيه؛ مثلما جاء في سورة الواقعة، الآية: (27، 28، 29، 30). قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (30) ﴾.</p> <p>الدرجة الثانية: وهي الوسطى؛ ما طالت سجعاته الثانية، أو الثالثة؛ مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) ﴾. [النجم: 1].² (*)</p> <p>الدرجة الثالثة: وهي ما كانت سجعته الثانية هي أقصر من السَّجْعَة الأولى قصراً كثيراً، يحسُّ منه الأديب الذوق الجماليِّ بأنَّه كالشيء المبتور الذي قطع قبل أن يستكمل ما كان ينبغي له أن يكون.³</p>		
<p>والتَّضْمِين الحسن: وهو الذي يكتسب به الكلام طلاوةً، ويعني أن نضمَّن هذا الكلام بعض الآيات القرآنية الكريمة، أو الأخبار النبوية، ويرد ذلك على وجهين؛ وهما:</p> <p>أ - تضمين كليّ.</p> <p>ب - تضمين جزئيّ.</p> <p>فأمَّا التَّضْمِين الكليّ: فهو أن نذكر الآية أو الخبر بجملةٍ.</p>	تضمين	إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير

¹ - السابق، ص: 508.

² - نفسه، ص: 510. -بتصرّف-

(*) قد تكون الدرجة الثانية في موقعها الملائم مثل الدرجة الأولى في الحسن والجمال، وطول السَّجْعَة الثانية، أو الثالثة قد يزيد السَّجْع حسناً؛ لأنَّه يخرج عن التَّمطية المتناظرة، فيكون لها أكثر تنبيهاً وإثارةً لنفس الكاتب أو الأديب ذي النفس الذواق للجمال، وللقرآن متشابهة في الحسن، ينظر: المرجع نفسه، ص: 510 -بتصرّف -

³ - نفسه، ص: 510.

<p>وأما التّضمين الجزئي: فيعني إدراج بعض الآية أو الخبر ضمن الكلام فيكون جزءً منه.</p> <p>وقد قيل أنه لا يجوز إدراج آيات القرآن الكريم في غضون الكلام من غير تبين كي لا يشتبه به، وهذا القول لا أقول به؛ لأنّ القرآن الكريم لا يحتاج إلى بيان، وكيف يخفى وهو المعجز الذي لو أنّ الإنس والجنّ اجتمعوا على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وإذا كانت المفاوضة في التّفرة بينه وبين غيره من الكلام إذا أدرج فيه مع جاهلٍ لا يعرف الفرق بينهما، فذاك لا كلام معه. أمّا إذا كان الكلام مع عالم بذلك فذاك لا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره. (1).</p> <p>وإذا فإدراج الآيات القرآنية في النصوص الأدبية شيءٌ جميلٌ؛ وهو ما يزيد في تطرية اللسان بالنسبة للمبدع، كما يزيد في تحلية الكلام في آذان المتلقين.</p>		
<p>يقال: فسّر الشيء، أي: وضّحه، وفسّر آيات القرآن الكريم؛ أي: شرحها ووضّح ما تنطوي عليه من معانٍ وأسرارٍ وأحكامٍ.</p> <p>والتفسير؛ هو الشرح والتبيان. (2) (*)</p> <p>وقد يكون التفسير التصريح بعد الإبهام.</p>	التفسير	من غير ظلمٍ منّي، ولا اعتداء عليهم. الغلظة والشدة على أعدائك.

¹ - ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النهضة للطباعة والنشر (الجمالية) - القاهرة - جمهورية مصر العربية، القسم الثاني، تاريخ الطباعة: 1973م، د ط، ص: 200.

² - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية - القاهرة - مصر، الطبعة الرابعة، تاريخ الطباعة: 1425 هـ / 2004م، ص: 688 - بتصرف -

(*) وهذه الميزة هي أمرٌ معروفٌ عن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في معظم خطبه فهو شديدٌ على نفسه وعلى أهله وأفراد عائلته وحتى رعيته؛ إلا أنّ ما يقال عنه أنّه كان شديداً في الحقّ حتى على نفسه وأهله وعن رعيته فكانت عبارات الغلظة والشدة ظاهرةً واضحةً في خطبه، وكان رجل دولةً بالمعنى الصحيح؛ وهو ما يفسّر اتساع الدولة الإسلامية الفتية على حساب الإمبراطورية البيزنطية الرومانية في منطقة الشام ومصر وشمال إفريقيا، وسقوط الدولة الفارسية الساسانية بسقوط عاصمتها المدائن في أيدي الفاتحين المسلمين.

		لا سرف، ولا تبذير. لا رياء، ولا سمعة.
سنتطرق إليه في الخطبة الرابعة.	الجناس الناقص	غمرة، غرة

الاستنتاجات: في هذه الخطبة الهامة استعمل الخطيب في خطبته هذه ألفاظاً وكلماتٍ تتميز باللين أكثر منها من الغلظة، كما أنه استخدم أساليب بلاغية في هذه الخطبة؛ مثل: السجع، والطباق، والجناس، وما تميّزت به الخطبة أيضاً هو الإكثار من أسلوب التفسير بغرض توسيع المعاني لما كان يريد أن يقوله للرعية، والجدول التالي يوضح ما يراد الوصول إليه.

الخطبة الثالثة: إحدى خطب الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، يحذر الناس فيها من خداع الدنيا.

بعد حمد الله تبارك وتعالى والثناء عليه، وذكر الشهادتين، والصلاة والسلام على رسوله؛ قال

عثمان (رضي الله عنه)؛ أما بعد:

" إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، أصبحتم أم أمسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرتكم الحياة الدنيا، ولا يغرتكم بالله الغرور. اعتبروا بمن مضى منكم، ثم جدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها، وتمتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها؟ واطلبوا الآخرة، فإن الله ضرب لها مثلاً، والذي هو خير؛ فقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)﴾. [الكهف: 45، 46].¹

والسلام عليكم ورحمة الله.

¹ - عبد العاطي محمد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلامية، الأزرايطية-الإسكندرية- جمهورية مصر العربية، د ط، تاريخ الطباعة: 2002 م، ص: 69.

الجدول الأول: توضيح الصور البلاغية للخطبة الثالثة.

تأصيلها	نوعها	الصورة البلاغية
<p>أسلوب الاستعارة المكنية: وهو أن يحذف فيه المستعار منه ويعوض بشيء من لوازمه؛ وهي: (عبارة قلعة).</p> <p>قسّم البلاغيون الاستعارة من حيث ذكر أحد أطرافها إلى قسمين؛ وهما:</p> <p>1 - استعارة تصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.</p> <p>ومثال ذلك: يقول أحد الشعراء:</p> <p>فأمطرت لؤلؤًا من نرجسٍ وسقت وردًا وعضت على العناب بالبرد</p> <p>نلاحظ في هذا البيت الشعري استعارة بعض الألفاظ للمشبه به، أو ألفاظ المشبه به للمشبه؛ وهو: (المطر).</p> <p>وهنا نجد الشاعر قد استعار اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد للدموع، والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان.¹</p> <p>2- استعارة مكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به، أو المستعار منه ورمز له بشيء من لوازمه.²</p> <p>ومثال آخر عن الاستعارة المكنية: يقول الله تبارك وتعالى:</p> <p>﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، [الإسراء: 24].</p> <p>وهنا فقد استعيرت عبارة الطائر للذل، ثم حذفه، ودلّ عليه بشيء من لوازمه؛ وهو الجناح، وإثبات الجناح للذل يسمونه: (استعارة تخيلية).³</p>	<p>استعارة مكنية</p>	<p>دار قلعة، ارموا بالدنيا.</p>

¹ - حفني ناصف سلطان محمّد، و محمّد ذياب مصطفى طموم: دروس البلاغة، عناية: أحمد السنوسي أحمد، دار ابن حزم - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 01، تاريخ الطباعة: 1433 هـ / 2012 م، ص: 94.

² - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية (علم البيان)، دار النهضة العربية - بيروت - لبنان، تاريخ الطباعة: 1405 هـ / 1985 م، ص: 176.

³ - نفسه، ص: 95 - بتصرف -

وفي بقية أعمار.	كناية	كناية عن قرب الأجل؛ ويعني ما مضى من الأجل لن يعود، وأن الباقي قليل مهما طال، وأنه قريب الحدوث، ويقال في المثل العربي: (ما هو آتٍ آتٍ).
فبادروا آجالكم	مجاز مرسل	المجاز المرسل: وهو مجاز علاقته غير المشابهة. 1 - كالتسبيبة في قولك: (عظمت يد فلان)؛ أي: نعمته؛ والتي سببها اليد. 2 - والمسببة في قولك: (أمطرت السماء نباتاً)؛ أي مطراً يتسبب عنه ظهور النبات. 3 - والجزئية في قولك: (أرسلت العيون لتطلع على أحوال العدو)، أي: الجواسيس. ¹ 4 - والكلية في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، [البقرة: 19]؛ أي أناملهم. 5 - واعتبار ما كان في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾. [النساء: 2]؛ أي: البالغين. 6 - واعتبار ما يكون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْرَضُ خَمْرًا﴾. [يوسف: 36]؛ أي: عنباً. 7 - والحالية في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107)﴾، [آل عمران: 107]؛ أي: جنته... ²
أثاروها، وعمرّوها	سجع	قد ورد تعريف له في تحليل الخطبة الأولى تحليلاً بلاغياً.
أصبحتم، أمسيتم	طباق	ورد تعريف له في تحليل خطبة أبي بكر الصديق تحليلاً بلاغياً.
ارموا بالدنيا، واطلبوا الآخرة.	مقابلة	ورد تعريف لها في تحليل الخطبة الأولى تحليلاً بلاغياً.
(فلا تغرّكنم الحياة الدنيا ولا	تضمين	ورد تعريف له في تحليل الخطبة الثانية تحليلاً بلاغياً.

¹- حفني ناصف سلطان محمّد، ومحمّد ذياب مصطفى طموم: دروس البلاغة، عناية: أحمد السنوسي أحمد، دار

ابن حزم - بيروت - لبنان، رقم الطبعة: 1، تاريخ الطباعة: 1433 هـ / 2012 م، ص: 94.

²- نفسه، ص: 98.

		<p>يغرّثكم بالله (الغرور).</p>
<p>ورد تعريف له في تحليل الخطبة التائية تحليلاً بلاغياً. وفي هذه الآية ذاتها تشبيه الحياة الدنيا بالماء توقرت فيه أركان التشبيه الأربعة. وأركان التشبيه أربعة هي كالتالي:</p> <p>1- المشبه: الحياة الدنيا. 2- المشبه به: الماء. 3 - أداة التشبيه: وهنا الكاف (ك) أو نحوها ملفوظة أو مقدرة. 4 - وجه الشبه: وهو الصفة التي تجمع بين الطرفين.¹ والتشبيه لغة هو التمثيل؛ وهو مصدر مشتق من الفعل (شبه) بتضعيف الباء، فيقال: شبهت هذا بذاك تشبيهاً؛ أي: هو تمثيل. وفي اصطلاح البلاغيين للتشبيه أكثر من تعريف، وإن اختلفت في اللفظ فهي لا تختلف في المعنى.</p> <p>- فابن رشيقي القيرواني يعرفه بأنه: "صفة الشيء؛ وهي ما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، ولو ناسبه مناسبة كلية لكان هو بالذات". لأن قولهم: "خدود كالورد" إنما يقصد به حمرة أوراق الورد وطراوتها...²</p> <p>- وأما أبو هلال العسكري فيرى أن التشبيه: "هو الوصف؛ وأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، وقد يجيء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة؛ مثل قولك: "زيدٌ شديد كالأسد"، وهو القول الصواب في</p>	<p>اقتباس</p>	<p>﴿واضرب لهم مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةً الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)﴾. [الكهف]، الآية: 45، 46.</p>

¹ - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية (علم البيان)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان،

تاريخ الطباعة: 1405 هـ / 1985 م، دون طبعة، ص: 24.

² - نفسه، ص: 21. - بتصرف -

<p>العرف، وهو داخل في محمود المبالغة، وإن لم يكن زيداً في شدته كالأسد على حقيقته"¹</p> <p>- أما الخطيب القزويني فيرى أنّ التشبيه: "هو الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ آخر في المعنى."²</p> <p>- وأما التتوخي فيرى أنّ التشبيه: "وهو الإخبار بالشبه؛ أي اشتراك الشئيين في صفةٍ أو أكثر ولا يستوعب جميع الصفات."³</p> <p>من هذا نستنتج أنّ التشبيه في المصطلح له تعريفات كثيرة غير أنّها تتفق في المعنى من دون شك، وإن اختلفت في اللفظ.</p> <p>والتشبيه أقسام عند البلاغيين؛ مثل التشبيه المرسل الذي تذكر فيه أداة التشبيه مثل الكاف أو كأن، والتشبيه المؤكّد الذي لا تذكر فيه أداة التشبيه.</p> <p>ومما جاء في مصنف إعراب القرآن للدرويش قوله: "هنا تشبيه تمثيليّ مقلوب." فأما التمثليّ فهو تشبيه الحياة الدنيا وزخارفها- التي يتلّهي الإنسان بها وهي في الأصل لا قيمة لها- بالنّبات الذي اختلط بالماء الهائل من السّماء فربا والنّف وزها ورفّ، ثمّ أنبت من كلّ زوج بهيج، غير أنّه لم تكد العين تستمتع به والنّفس تنشرح لمنظره حتّى يبس وتصوّح، ثمّ جفّ وذبل فأصبح هشيمًا تذرروه الرّياح. وأمّا المقلوب فكان في حقّ الكلام أن يقال فاختلفت بنبات الأرض؛ وبعبارةٍ أخرى لما كان الاختلاط بين شيئين متداخلين صدق على كلّ منهما أنّ مختلطٌ ومختلطٌ به، غير أنّه زمن عرف اللّغة والاستعمال أن تدخل (الباء) على الكثير غير الطارئ، فجعل هذا من القلب؛ وهو شيءٌ مقبولٌ إذا كان كلّ منهما مختلطٌ ومختلطٌ به، وهو من المبالغة</p>		
--	--	--

1 - السابق، ص: 22. - بتصرف -

2- نفسه، ص: 22.

3 - نفسه، ص: 22. - بتصرف -

بمكانٍ في الكثرة حتّى صار كأنّه الأصل، والمراد هو العكس. ¹		
---	--	--

الاستنتاجات:

استعمل هذا الخطيب بعض الأساليب البلاغية في خطبته القصيرة هذه؛ مثل: السجع، الطباق، المقابلة، الاستعارة المكنية، الاقتباس والتّضمين، المجاز المرسل... إلخ.

وكانت خطبته هذه على شكلٍ نصائحٍ جدّ غاليةٍ قدّمتها للمستمعين؛ حيث كانت تدور كلّها عن ضرورة، ووجوب الاهتمام بالدار الآخرة وإهمال متاع الدنيا الغرورة.

وإنّ أهمّ ما يميّز هذا النوع من الخطب أنّها تتميّز باللّين أكثر من الغلظة؛ فهي الطمأنينة والهدوء والسكينة؛ وربّما يعود الأمر إلى الفطرة التي فطر الله بها بعض عباده عليها مثله مثل الكثير من النّاس.

¹ - الدرويش، محي الدين بن مصطفى: إعراب القرآن وبيانه، المجلد الخامس، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - سوريا، الطبعة الثالثة: 1412 هـ / 1992 م، ص: 619 . - بتصرّف -

الخطبة الرابعة: وهي إحدى خطب الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-؛ والتي يوصي فيها الناس بتقوى الله ولزوم طاعته.

بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وتشهد، وصلى وسلم على رسوله، قال الإمام علي يخاطب الناس:

" أوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل، وترك الأمل؛ فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله، أين التعب بالليل والنهار المفتح للبحار، ومغاوير الفقار، يسير من وراء الجبال، ويعالج الرمال، يصل الغدو بالزواح، والمساء بالصباح فيطلب محقرات الأرباح؛ فهجمت عليه منيته، فعظمت بنفسه رزيتة؛ فصار ما جمع بوراً، وما كسب غروراً، ووافى القيامة محسوراً.

أيها اللّاهي الغارُّ بنفسه، كأنّي بك وقد أتاك رسول ربك، لا يقرع لك باباً، ولا يهاب لك حجاباً، ولا يقبل عنك بديلاً، ولا يأخذ منك كفيلاً، ولا يرحم لك صغيراً، ولا يوقر فيك كبيراً، حتى يؤدبك إلى قعرٍ مظلمةٍ، أرجاؤها موحشةٌ، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية.

أين من سعى واجتهد؟ وبالقليل لم يقنع؟ وبالكثير لم يمتّع؟ أين من قاد الجنود، ونشر البنود؟ أضحوا رفاتاً، تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون.

عباد الله: اتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقق السماء بالغمام، وتتطاير فيها الكتب عن الأيمان والشّمائل؛ فأيّ رجلٍ يومئذٍ تُراك؟ أقائل هاؤم أقرؤوا كتابيّه؟ أم: يا ليتني لم أوت كتابيّه؟

نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته أن يقينا سخطه؛ وإن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.¹

¹ - الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد لفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، الجزء الرابع، دار الكتب العلميّة- بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطّبعة: 1404 هـ / 1983 م، ص: 157.

توضيح الصّور البلاغية للخطبة الرابعة.

الصّور البلاغية	نوعها	تأصيلها
العمل، الأمل	جناس ناقص	الجناس من فنون البديع اللفظية، ويعدّ عبد الله بن المعتزّ من أوائل من تفتّنوا إليه في كتابه (البديع)؛ وهو يعرفه بقوله: "التّجنيس هو أن تجيء الكلمة لتجانس كلمة أخرى في الكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها" ¹ والواقع أنّ الجناس هو من أكثر فنون البديع التي تصرّف فيها العلماء من أرباب هذه الصناعة؛ مثل: ابن المعتزّ، وقدامة بن جعفر، والقاضي الجرجاني، والحاتمي وغيرهم. ² وحقيقة الجناس عند ابن الأثير؛ هو أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى مختلفًا. وعلى هذا فالجناس؛ يعني تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وهما ركنا الجناس، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة. ³ والجناس قسمان: (جناس تامّ، وجناس غير تامّ) 1 - فالجناس التامّ: هو ما اتّفق فيه اللفظان في أربعة أمور؛ وهي: (أنواع الحروف، أعدادها، هيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها) والجناس التامّ ثلاثة فروع؛ وهي كالتالي: أ - جناس مماثل: وهو ما كان لفظاه من نوع واحدٍ من أنواع الكلمة (اسمين، فعلين، أو حرفين) ومثال ذلك: (بين اسمين)، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (55)، [الرّوم: 55]؛ فالجناس هنا في اسمين متماثلين؛ وهما:

¹ - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية (علم البيان، علم البديع، علم المعاني)، ص: 613 - بتصريف -

² - نفسه، ص: 614 - بتصريف -

³ - نفسه، ص: 614. - بتصريف -

<p>(الساعة، وساعة)، فالأول بمعنى: (القيامة)، والثاني بمعنى: (مطلق الوقت).¹</p> <p>ب - الجناس المستوفى: وهو ما كان لفظاه من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة، كأن يكون أحدهما اسماً والآخر فعلاً، أو يكون أحدهما حرفاً والآخر اسماً أو فعلاً.</p> <p>ومثال ذلك:</p> <p>- بين الاسم والفعل: يقول محمد بن كناسة في رثاء ابنه: وسميته يحي ليحيا ولم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيلُ تيممت فيه الفأل حين رزقته ولم أدر أنّ الفأل فيه يفيلُ فالجناس المستوفى هنا في كلمتي (يحي: كاسم، ويحيا: كفعل)؛ وهما متشابهان لفظاً ومختلفان معنًى.²</p> <p>ومن بديع الجناس المستوفى بين الفعل والاسم ما كتب مرة إلى الخليفة العباسي المأمون في حقّ عاملٍ له: (ما ترك فضة إلا فضها، ولا ذهباً إلا أذهبه، ولا مالاً إلا مال عليه، ولا فرساً إلا افترسه، ولا داراً إلا أدارها ملكاً، ولا غلّة إلا غلّها، ولا ضيعة إلا ضيعها، ولا عقاراً إلا عقره، ولا حالاً إلا أحاله، ولا جليلاً إلا أجلاه، ولا دقيقاً إلا دقّه).</p> <p>- بين الفعل والحرف: يقول أحد الشعراء: علا نجمه في عالم الشعر فجأةً على أنه ما زال في الشعر شادياً فالجناس هنا بين فعل (علا) بمعنى ارتفع، وبين حرف الجرّ (على).³</p> <p>ج - جناس التركيب: وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين، وهو ثلاثة أضرب:</p> <ul style="list-style-type: none"> • المتشابه: مثل قول الشاعر: إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة • المفروق: وهو ما تشابه ركناه (الكلمة المفردة مع الأخرى المركبة لفظاً لا خطأ). 		
---	--	--

1 - السابق، ص: 615.

2 - نفسه، ص: 618.

3 - نفسه، ص: 619 - بتصرف -

<p>لا تعرضنّ على الرّواة قصيدةً ما لم تكن بالغت في تهذيبها وإذا عرضت الشعر غير مهذبٍ عدّوه منك وساوساً تهذي بها.¹</p> <p>• المرفوّ: وهو ما يكون فيه أحد الركنين كلمة والآخر مركّباً من كلمة وجزء من كلمة؛ نحو قول الحريري: والمكر مهما اسعطت لا تأتته لتقتني السؤدد والمكرمة فالجناس هنا ركنه الأوّل مركّب من كلمة وجزء من كلمة؛ وهما لفظة المكر والميم والهاء: من كلمة (مهما)، والثاني: مفرد؛ وهو (المكرمة).²</p> <p>2 - الجناس غير التّام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحدٍ من الأمر الأربعة (نوع الحروف، شكلها، عددها، ترتيبها.)؛ مثل: قول أحد الشعراء: سمّيته يحي ليحيا فلم يكن إلى ردّ أمر الله فيه سبيلُ وكقول ابن الفارض: هلاً نْهاك نْهاك عن يوم امرئٍ لم يلف غير منعمٍ بشقاء وكقول الحريري: لا أعطي زماني من يحفر زمامي ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي³</p>		
<p>تمّ شرحها في تحليل الخطبة الأولى تحليلاً بلاغياً كاملاً.</p>	<p>مقابلة</p>	<p>تقديم العمل، وترك الأمل. وبالقليل لم يقنع، وبالكثير لم يمنع.</p>

¹ - السابق، ص: 620، 621.

² - نفسه، ص: 622.

³ - السيّد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع/ ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي،
المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - لبنان، د ط، د ت، ص: 325.

<p>تم شرحها في تحليل الخطبة الثالثة تحليلاً بلاغياً شاملاً.</p>	<p>استعارة مكنية</p>	<p>لم ينتفع بشيء من أمله.</p>
<p>تم شرحه في تحليل الخطبة الأولى تحليلاً بلاغياً كاملاً.</p>	<p>طباق</p>	<p>اللَّيْل والنَّهَار الغدوّ، والرَّوَّاح المساء والصَّبَّاح. الأَيِّمان، والشَّمَائِل.</p>
<p>تم شرحه في تحليل الخطبة الثانية تحليلاً بلاغياً شاملاً.</p>	<p>سجع</p>	<p>البحار، القفار الجبال، الرّمال، الرّواح، الصَّبَّاح. الأرياح. غرورا، محسوراً. صغيراً، كبيراً.</p>
<p>الكناية: تقول العرب: "فلانةٌ بعيدةٌ مهوى القرط." وقالت الخنساء في رثاء أخيها (صخر): طويل النّجاد رفيع العماد كثير الرّماد إذا ما شتا. وقال أحد الشعراء في فضل دار العلوم في إحياء لغة العرب: وجدت فيك بنت عدنان داراً ذكرتها بدارة الأعراب وقال آخرُ: الصّارِبين بكلّ أبيض مخدّم والطّاعنين مجامع الأضغان</p>	<p>كناية عن موصوف</p>	<p>أنتم بكأسهم شاربون،</p>

<p>وقيل: "المجد بين ثوبيك، والكرم ملأ برديك".¹</p> <p>ففي البيت الثالث: أراد الشاعر أن يقول أن اللغة العربية وجدت فيك أيتها المدرسة مكاناً يذكرها بعهد بداوتها، وعدل عن التصريح باسم اللغة العربية إلى تركيبٍ يشير إليها. ويعدّ كنايةً عنها؛ وهو بنت عدنان.</p> <p>وفي البيت الرابع: أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم يطعنون القلوب وقت الحرب، ولكنه انصرف إلى ما هو أملح وأوقع في النفس، وهو مجامع الأضغان لأن القلوب تفهم منه؛ إذ هي مجتمعة الحقد والبغض والحسد وغيرها.</p> <p>وإذا ما تأملنا هذين التركيبين: (بيت عدنان)، (جامع الأضغان) رأينا أن كلاّ منهما كنى بذلك عن ذات لازمة لمعناها، لذلك كان كلّ منهما كناية عن موصوف، وكذلك كلّ تركيب يماثلهما.²</p> <p>والكناية إذا: هي (لفظٌ أطلق، وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.)، وتنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام؛ وهي:</p> <ul style="list-style-type: none"> - قد يكون المكنى به صفةً. - قد يكون المكنى به موصوفاً. - وقد يكون المكنى به نسبة.³ <p>ولا شكّ أنّ الكناية خاصيةٌ خاصة بالفنون؛ فالمصوّر إذا رسم صورةً للأمل أو اليأس بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً؛ فرفيع العماد يعني: (الرجل الطويل ذو السيف الكبير وكذا الشجاع)، كثير الرماد يعني: (الرجل الكريم)،⁴ يقول البحتري:</p> <p>يغضون فضل اللحظ من حيث ما بدا لهم عن مهيب في الصدر ومحبيب.</p>		
---	--	--

¹ - عليّ الجارم، ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف- القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط 1، تاريخ الطباعة: 2005 م. ص: 123.

² - نفسه، ص: 124.

³ - نفسه، ص: 125.

⁴ - نفسه، ص: 131. - بتصريف -

<p>وهنا يكتفي الشاعر عن إكبار الناس للممدوح وهيبتهم له بغض النظر الذي هو في الحقيقة برهان عن الهيبة والجلال، وتظهر هذه الخاصية في الكنايات عن الصفة والنسبة.¹</p> <p>ويعني أنكم لا محالة ميتين مثلهم؛ أي مثل: (الأمم التي سبقتم) فأنتم مثلهم ستشربون من الكأس نفسها؛ وهذا طبقاً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، [العنكوت، الآية: 57].</p>		
<p>قد يكون التقديم والتأخير كلاهما أبلغ من الآخر في حالة وجودهما في الخطاب، فلو قيل: " أنتم شاربون بكأسهم " لما كانت أبلغ من قوله: " أنتم بكأسهم شاربون " وكذا في قوله: " لسبيلهم سالكون هي أبلغ صورة من قوله: " سالكون لسبيلهم ". وانظر إلى قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاغْبُذْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.²</p> <p>ولو أعدنا صيغتها في اللغة بهذا الشكل: " بل اعبد الله " لما كانت أبلغ من الشكل الذي نزلت به في الآية القرآنية الكريمة السابقة الذكر.</p> <p>والتقديم والتأخير باب عريض يشتمل على أسرار دقيقة؛ وهو ضريان:</p> <p>1 - ضرب يختص بدلالة الألفاظ على المعاني فلو أحر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى.</p> <p>2- ضرب يختص بدرجة التقديم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو تأخر ذكره لما تغير المعنى.</p> <p>فأما الضرب الأول فهو قسمان:</p> <p>أ- أن يكون التقديم فيه هو الأبلغ.</p> <p>ب- والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ.</p> <p>فأما القسم الأول الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ كتقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الحال، أو الطرف، أو الاستثناء على العامل.</p>	<p>التقديم والتأخير</p>	<p>ولسبيلهم سالكون</p>

¹ - السابق، ص: 131.

² - الزمر: 66.

<p>والأمثلة توضّح ذلك:</p> <p>- فالمفعول به مثل: زيداً ضربت، فهو دلالة على تخصيص زيد بالضرب دون غيره من الناس.</p> <p>وهو بخلاف قولك: ضربت زيداً لأنه هنا كان تقديم الفعل على المفعول به، وقد قمت بالخيار في إيقاع الضرب على أي مفعولٍ شئت؛ وهذا بأن تقول: "ضربتُ عمراً، أو خالدًا أو علياً..."¹</p> <p>- و في الجملة الاسميّة في حالة تقديم الخبر على المبتدأ؛ وهذا بأن تقول: " قائمٌ زيدٌ" عوض قولك: "زيدٌ قائمٌ" ؛ وبهذا تكون قد أثبتت القيام لزيد دون غيره من الناس.</p> <p>وفي قولك " زيدٌ قائمٌ" قمت بعملية الخيار في إثبات القيام له او نفيه عنه كأن تقول: نائمٌ أو جالسٌ أو غير ذلك.</p> <p>- ويجري الحكم كذلك على تقديم الظرف كقولك: " إن لي مصير هذا الأمر." وقولك " إن مصير هذا الأمر لي." وهذا يعني أنّ مصير هذا الأمر ليس إلاّ إليك بخلاف لو قلت: " إن مصير هذا الأمر لي."؛ حيث أن الأمر يحتمل أن يقع الكلام بعد الظرف على غيرك؛ فيقال " إلى زيدٍ أو إلى عمرٍ أو إلى خالدٍ..."²</p>		
<p>تمّ شرحه في تحليل خطبة الخليفة عمر بن الخطاب تحليلاً بلاغياً.</p>	<p>تضمين جزئي</p>	<p>أقائل: (هاؤم) اقرأوا كتابه؟ أم: يا ليتتيلم أوت كتابه) الذي لا يأتيه</p>

¹ - ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في حياة الكاتب والشاعر، ج: 3 ، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد

الحوفي، وبدوي طبانة، ص: 210. - بتصرف -

² - نفسه، ص: 211. - بتصرف -

		الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد.
تم التطرق إليه سابقاً.	مجاز مرسل	أضحوا رفاتاً

الاستنتاجات في الجدول التالي:

الغرض منها	الكلمة، أو العبارة	الخصائص البلاغية
زيادة توضيح المعنى.	جناس ناقص	العمل - الأمل
الزيادة في توضيح المعنى؛ وهذا عن طريق تقديم العمل الصالح في الدنيا؛ ليكون مطيةً للأخرة.	مقابلة	تقديم العمل - ترك الأمل. بالقليل لم يقنع - وبالكثير لم يمتنع.
زيادة المعنى.	استعارة مكنية	لم ينقنع بشيء من أمله.
توضيح المعنى أكثر.	طباق	اللَّيْل - النَّهَار الغدوّ - الرّواح المساء - الصّباح الأيمان - الشّمائل.
إكساب الكلام رونقاً وتوضيح المعنى المقصود.	سجع	البحار - القفار. الجبال - الرّمال الرّواح - الصّباح غرورا - محسورا صغيرا - كبيرا

		شاريون - سالكون.
أضحوا رفاتاً.	مجاز مرسل	الزيادة في توضيح المعنى؛ أي: حالتهم بعد الموت.
أنتم بكأسهم شاريون ولسبيلهم سالكون.	كناية عن موصوف.	الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته؛ والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها، وفي طياتها برهانها. ¹
هاؤم اقرأوا كتابيّه، يا لينتي لم أوت كتابيّه.	إقتباس أو تضمين	إكساب الكلام حلاوةً وتوضيح الحقيقة الغائبة على أذهان البعض من الناس. والحقيقة أنّ المقصود بالكتاب الأول هو ما تسجل كل صغيرة وكبيرة فيه؛ أي: الملكان عن اليمين وعن الشمال، أي: الملك المكف بتسجيل الحسنات - من جهة اليمين - من أقوال وأفعال، والملك المكف بتسجيل السيئات من أقوال وأفعال أيضاً؛ وهذا من جهة الشمال. أما الكتاب الآخر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه فهو القرآن الكريم، الذي هو تنزيل من حكيم حميد؛ ذلك الكتاب المعجز في كل ما جاء فيه من الجانب البلاغي واللغوي والعلمي... إلخ.
هو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.		

الاستنتاجات: ومما يستنتج من هذا كله أنّ الإمام عليّ كرم الله وجهه كان من أشهر خطباء العرب وأبلغهم غير أنّ خطبه في العموم تميّزت باللين والدعوة إلى تحقيق التقوى والسعي إلى الوصول إلى البرّ والصّلاح ما يخدم المجتمع المسلم اعتماداً على مثل هذه التعاليم والمبادئ السّميحة التي تدعو إلى الأخوة، وكانت غالبية الألفاظ المستعملة في خطبته هذه جزلةً توحى بالتسامح والبرّ رغم أنّ عصره كان عصر فتنة اندلعت شرارتها منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - سنة: 35 للهجرة على يد الفئة الباغية.

¹ - عليّ الجارم، ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف - القاهرة - جمهورية مصر العربية، د ط، تاريخ الطباعة: 2008 م، ص: 131.

الخلاصة العامة:

كانت الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لعهد النبوة، وإن اختلفت بعض الشيء في الأغراض التي تناولتها من خطب دينية وسياسية وعسكرية واجتماعية؛ ويرجع السبب ربما في ذلك إلى تطوّر الحياة في عدّة مجالاتٍ وحدث كثير من الأمور والأحوال بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، غير أنّ أصولها البلاغية ظلّت تمارس الأسلوب نفسه؛ وهو الأسلوب الذي رسمه الرسول للمسلمين.

1- **فمن حيث الشكل:** فالشكل؛ هو الذي تقوم عليه الخطبة في حدّ ذاتها كالاستفتاح بحمد الله تعالى والثناء عليه، والاعتراف بوحدهانيته، ونبوة محمد ﷺ والاعتراف برسالته بالألفاظ التي كان الرسول ﷺ يتحدّث بها إلى الناس.

2- **وأما من حيث المضمون:** وهو الدخول إلى صلب الموضوع بألفاظٍ جزلةٍ خاليةٍ من السوقيّة والغرابة، وتتميّز ببلاغة العربية الفصحى المليئة بالمحسنات البديعية و اقتباس الآيات القرآنية الكريمة كاملةً أو بتضمين بعض أجزائها وبالأحاديث النبوية الشريفة لتزداد الألفاظ في الخطبة طلاوةً وتمتلي بلاغتها حلاوةً؛ فتجد الأذان الصاغية من المستمعين في المساجد وفي غيرها من الأماكن فيعمل الحاضرون على تبليغها لغيرهم وتنفيذ ما جاء فيها قدر الإمكان كلّ حسب قدرته.

ولعلّ ما ورد في الخطب الأربع من صورٍ بلاغيةٍ تحقّق الكثير من المعاني ممّا كان يقصد الخطيب تحقيقه من قريبٍ أو بعيدٍ؛ مثلما ما جاء في كلّ منها على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر:

1 - الخطبة الأولى:

- الامتثال للقوانين المسيّرة للمجتمع.
- دعوة الكلّ للمشاركة في تحقيق العدالة الاجتماعية.

2 - الخطبة الثانية:

- الدّعوة إلى التمسك بالتعاليم الدينية.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3 - الخطبة الثالثة:

- العمل على الاهتمام بأمر الآخرة إلى جانب شؤون الحياة الدّنيا.

- الاتعاظ بالأمم السابقة وما حدث لهم.

4 - الخطبة الرابعة:

- الاستعداد للرحيل.

- تجنب الدنيا الغرورة.

وكان الغرض - ولا شك في ذلك - من هذه الخطب السعي إلى تحقيق بعض الأهداف سواءً أكانت ظاهرة للعيان، أم كانت معنوية لا تظهر في الوجود لتري لالعين المجردة؟ كما كانت تسعى إلى تحقيق بعض الأغراض التي تفيد الوصول إلى المعاني المطلوبة من تلك الصور البلاغية؛ مثل:

- السجع: تقوية المعنى عن طريق إعطاء نغمٍ موسيقيٍّ للنصِّ الأدبيِّ.
- الطباق: العمل على أن يطري نوعاً من الجمال على النصِّ، ويقوي معنى الجمل فيه.
- النداء: وكان استعمال عبارة (اللهم) في بعض الخطب الدعاء، أو الترجي.
- المقابلة: الوصول إلى تحقيق الكثير من الدلالات باختلاف أشكالها.
- الاستعارة المكنية: تحقيق البعد الجمال للنصِّ الأدبيِّ.
- الاقتباس والنضمين: إكساب النصِّ الأدبيِّ رونقاً وجمالاً.
- الجناس: ترسيخ المعنى في آذان المستمعين.
- المجاز المرسل: تقوية المعنى أكثر في نفوس المستمعين.
- النداء: العمل على تنبيه المستمعين للأمور الهامة العمل بها في الدنيا والآخرة.
- الكناية: السعي إلى تحقيق المعنى الخفي من الكلام.
- التقديم والتأخير: العمل على تحقيق صورة أكثر بلاغةً في الكلام العادي الناس، والعمل إلى جعله أكثر تأثيراً فيهم.
- التشبيه: تقريب المعنى أكثر.

الفصل الثاني

الخصائص الأسلوبية للخطابة في

• عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الأول: إجراء بعض التطبيقات الأسلوبية على خطب المدونة.

المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية لخطب المدونة في المستويات التالية.

أ - المستوى المعجمي:

ب - المستوى الصوتي.

ج - المستوى التركيبي:

د - المستوى الدلالي.

المبحث الأول: إجراء بعض التطبيقات الأسلوبية على خطب المدونة.

أولاً: دراسة بعض التطبيقات الأسلوبية لخطب المدونة.

1-1 : الأسلوبية التعبيرية.

أ - من حيث الاستهلال في هذه الخطب: جاء في مستهل هذه الخطب قولهم: (الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.)

وإذا كان الاستهلال لهذه الخطب من حيث المعنى الوجداني للذات البشرية بالتعبير عن: (حمد الله، وطلب العون منه، والمغفرة، والهداية، والتوبة والإنابة إليه، والتعوذ به من شرور النفس، ومن سيئات أعمالها، والإقرار بوحداية الله عز وجل، والاعتراف بنبوته رسول محمد ﷺ...)، وكل هذه المعاني هي معانٍ دينية إسلامية جبلت عليها الفطرة الإنسانية.¹

أما من حيث ما هو فكري فهو مضمّر في المعنى العام لهذا الاستهلال؛ والذي يكشف على أن الإنسان حرّ من سطوة الآخر وسلطته، حيث أن المولى تبارك وتعالى خيره بين أن يكون حرّاً في إتباع طريق الهداية التي فطر الناس عليها، أو أن تتشاء نفسه الضلالة والانقياد إليها.² (*)

ولما كان الأسلوب المستعمل يفصح عن المعنى العام لهذا الكلام بما هو سهل وواضح يوحي بالمغزى العام الناتج عن التأمل والتدبر فيه؛ وهو الداعي إلى حسن الاختيار.

ب- وأما ما جاء في خواتيمها:

- ففي الخطبة الأولى: قامت الخاتمة فيها على التعبير عن طلب المغفرة منه تبارك وتعالى

¹ - رحمن غركان: الأسلوبية بوصفها مناهج، ص: 58. - بتصرف -

² - نفسه، ص: 59. - بتصرف -

(*) وإن شئت فتدبر قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 10]، وفي قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾. [فصلت: 16] لتستنتج أن الهداية قسمان:

أ - هداية دلالة؛ وهو ما ذكر آنفاً.

ب - هداية معونة؛ وهو ما يأتي بعد الأولى، فمن أراد الهداية وجهز نفسه للقسم الأول واستعد له؛ أي: هداية الدلالة، أعانه الله تبارك وتعالى في الوصول إلى الثانية؛ وهي هداية المعونة.

لجميع؛ فهي مستوحاة من مادة (استغفر)؛ والتي تشير إلى الطلب في هذا الفعل المزيد بالكلمة (است) التي تفيد الطلب في عبارة: (أستغفر الله لي ولكم).
- وأما في الخطبة الثانية: فكانت تعبيراً عن دعاء المؤمن الضعيف لربه بأن لا يدعه في غمرة، وأن لا يأخذه على غفلة، وأن لا يجعله من الغافلين.
- وفي الخطبة الثالثة: هي تعبير عن تحية الإسلام المتكوّنة من السلام والرحمة؛ وهي في حقيقة الأمر دعاء من القلب لتحقيق السلام والأمان والرحمة بين المسلمين.
- وفي الخطبة الرابعة: هي تعبير عن دعاء الله تبارك وتعالى الذي وعد بإقامة الشرائع الحصول على أفضل الجنان وأحسن الرضوان، وهذا بوقاية الطائعين له من سخطه في الدنيا ومن عذاب اليوم الآخر؛ حيث أنهم كانوا يعملون بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وبهدي نبيه ورسوله ﷺ.

ج - وأما ما جاء في المتن:

- ففي متن الخطبة الأولى: كان الاستهلال بعبارة: (أيها الناس) (*) بعد كلمة أما بعد؛ والتي هي الحدّ الفاصل بين الاستفتاح للخطبة وبين المتن. وعبارة أيها الناس؛ هي تعبير على أن هذا الخطاب كان موجّهًا لأهل المدينة باختلاف أعراقهم وأعرافهم، وهو دعوة إلى نبذ التفرقة والعنصرية بينهم طالما أنهم من نفس واحدة. وقد اشتملت هذه الخطبة على ما يلي:

- إنّي قد وليتُ عليكم ولستُ بخيركم: هي تعبير عن الاعتماد على الكفاءة والاستحقاق لا على الجاه، أو المحسوبية، وهي إشارة إلى قمة التواضع في تحمّل المهام الصعبة.
- فإن أحسنت فأعينوني: هي تعبير عن طلب العون من أفراد الرعية في حالة الإحسان إليها.
- وإن أسأت فقوموني: وهي تعبير عن طلب التقويم - والعادة أن يكون التقويم للشيء المعوج أو الطريقة غير السوية، والسلوك الخاطئ في تسيير شؤون الأمة - بالطريقة الحسنة، ولو كان للحاكم ذاته. والحقيقة أن هذا الطلب وإن جاء من أعلى هرم في الدولة هو تعبير واضح عن المصادقية القائمة بين الحاكم وأفراد الرعية السوية، وهو في الوقت نفسه تعبير عن مدى اتّصاف الحاكم بالتقوى والخوف من الله جلّ وعلا؛ وهو ممّا لا شكّ فيه فمآله الوصول إلى السير الحسن لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس جميعاً.

- الصدق أمانة والكذب خيانة: وهي تعبير عن السعي لتحقيق المقصدية من الدين في الوصول إلى تكوين مجتمع صادق في الأقوال والأفعال بعيد عن الكذب بكل أشكاله المختلفة؛ وهذا مصداقاً:
- لقوله تبارك تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.¹
- أولما قاله الرسول الكريم ﷺ فيما بخص هذا الباب: "عليكم بالصدق فإن الصدق يدعو إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".² (*)
- الضعيف فيكم عندي قوي حتى أزيح عليه حقه: هذه الجملة هي تعبير عن عملية تجسيد إعطاء الحقوق لأهلها وتطبيق العدالة الاجتماعية بين الناس بما يرضى الله تعالى.
- والقوي فيكم عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه: هي تعبير عن محاربة الظلم وإحقاق الحق بين الناس.
- لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله عز وجل بالذل: فهي تعبير عن وجوب إعلاء كلمة الله بين الناس، طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28)﴾.³
- وحينئذ تكون الدعوة إلى الله مع المسالمين بالطريقة الحسنة؛ طبقاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)﴾. [النحل: 125].

¹ - التوبة: 120.

² - حديث نبوي شريف أخرجه البخاري في صحيحه الجامع من كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، [التوبة: 120]. وما ينهى عن الكذب، رقم: 795. كما خرجه مسلم في صحيحه أيضاً في كتاب البر والصلة، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ، 42012، حديث شريف رقم: 2607 من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- مع بعض الاختلاف البسيط بين الروايتين؛ أي: رواية الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما.

(*) وقيل أن النبي ﷺ سئل: ... أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: "لا يكون المؤمن كذاباً" في الموطأ للإمام مالك (2/990) (19)، وقيل حديث ضعيف لأنه مرسل أو معضل، قاله صفوان بن سليم؛ وهو أحد التابعين الذين لم يلحقوا بعهد رسول الله ﷺ، لكن معناه صحيح.

³ - سبأ: 28.

- لا تشيع الفاحشة في قومٍ إلا عمَّهم الله بالبلاء: هي تعبيرٌ عن محاربة ظاهرة انتشار الفاحشة بين الناس؛ وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)﴾.¹ (*)

وتنتشر الفاحشة بين الناس بكل أشكالها (نظرة، فابتسامة، فسلام، فكلام، فموعد، فلقاء، فارتكاب لما حرم الله ورسوله)؛ وتلك هي الكارثة العظمى التي تنخر هيكل الأمة بأكملها وتؤدي بها إلى الهلاك.

- أطيعوني ما أظعت الله ورسوله: هي دعوةٌ إلى التمسك بطاعته وطاعة رسوله، هي تعبير عن امتثال الحاكم لأوامر الله تعالى ورسوله والسعي في تطبيقها تحقيقاً لمرضاته، وهي أيضاً تعبير عن مدى تمسك ولي الأمر بحبل الله المتين، ومتبعاً لهدي نبيه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾، [الأحزاب: 71]؛ أي: تحقيق الفوز في الدارين معاً؛ أي: (الدنيا والآخرة).
- فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم: هي تعبيرٌ عن دعوة الرعية إلى نصح الحاكم بما يرضي الله ورسوله، أو عزله إن اقتضت الضرورة إلى ذلك، طالما أنه يكون قد تمادى في الخروج على الأعراف والقوانين المسيرة لشؤون رعيته بما يرضي الله ورسوله وكذا العباد.

- وأما ما جاء في متن الخطبة الثانية: فقد اشتملت على ما يلي:

- يا أيها الناس: هو تعبيرٌ عن العمل لشدة انتباه المتلقين من الناس لما سيقال لاحقاً في هذا الخطاب.
- اللهم إني غليظٌ فليني لأهل طاعتك: هي دعوةٌ لتحقيق جانب اللين في المعاملة بين الحاكم والرعية.
- اللهم إني شحيحٌ فسخني: هي دعوةٌ لمحاربة الشح والبخل في كل شيء.

¹- الإسراء: 32.

(*) في هذه الآية القرآنية الكريمة يحذرنا الله جلّ وعلا من الاقتراب هنا من الفاحشة لما لها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع على حدّ سواء؛ مثل انتشار الأمراض السارية بين ممارسيها بالعلاقات المشبوهة بين الجنسين، وظهور الأولاد غير الشرعيين... إلخ، ولما لها من عقوبة في الدنيا وفي الآخرة - ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى. - عافانا الله منه جميعاً منه.

• اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين: وهي دعوة إلى تحقيق المعاملة الحسنة للرعية.

• اللهم إني كثير الغفلة والنسيان: وهي دعوة لاجتناب الغفلة والنسيان لما لهما من آثار سلبية على الفرد والمجتمع بما يفسد السلوك؛ مما يؤدي إلى ما يضرهما معاً على حد سواء.

• اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك: وهي دعوة لتدبر القرآن الكريم محكمه ومتشابهه، والامثال لما جاء فيه، طبقاً لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (24) ¹.

• إنك على كل شيء قدير: هي تعبير عن الإقرار بأن الله قادر على كل شيء، وتحقيق ما يعجز عنه العباد، وكل هذا الكلام هو تعبير عن طلب الحاكم العون من الله تبارك وتعالى؛ ذلك العون يكون بغرض تحقيق الاستقامة بما يرضيه عنه، ويحقق مصلحة البلاد والعباد.

- وأما ما جاء في متن الخطبة الثالثة: وتتخلص الخطبة الثالثة في عملية التعبير عن احتقار الحياة الدنيا التي كانت سبباً في إفساد الكثير من الأمم السابقة؛ والتي طويت صفحاتهم بالسيئات والمنكرات، وكثيراً ما تعرضوا إلى عقاب الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة بالريح، أو بالصيحة، أو بالخسف، أو ما شابه ذلك.

كما أنها تعبير عن تقديم النصيحة للمسلمين في الاعتبار بمن مضى من هذه الأمم السالفة، والابتعاد عن الغفلة والنسيان، وطلب الآخرة لأنها هي الدار الباقيّة والدائمة مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ ².

وما جاء في آخرها هي دعوة إلى ترك الدنيا واعتبارها متاعاً زائلاً لا أكثر عن طريق طلب الأموال والبنين، وهي تعبير عن أن الباقيات الصالحات تكون عند الله تعالى في دار الخلود؛ وفي هذا الشأن يقول تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ (76) ³ (*).

- وأما ما جاء في متن الخطبة الرابعة: فكانت دعوة للتعبير عن وجوب التمسك بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته، وهي دعوة لتقديم العمل الصالح وترك الآمال، وهي ما تسعى لتحقيق

¹- محمد: 24.

²- الضحى: 4.

³- مريم: 77.

(*) الباقيات الصالحات هي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

البرِّ لأنَّ الآجالَ قَريبةٌ مَهما طالَت؛ وفي هذا الشَّانِ يقولُ تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا
وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)﴾.¹

وهي تعبيرٌ عمَّا حدث للشُّعوبِ السَّابِقة؛ والتي أصبحت رفاتًا تحت الأرض؛ ممَّا يوجبُ
الاستعدادَ لليومِ الَّذي تسير فيه الجبالُ وتشتقُّ السَّماءُ بالغمامِ، وتتطاير فيه الصَّحَفُ ذات
اليمين وذات الشمال؛ وهذا مصداقًا لقوله الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ
هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21)
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ
(24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (25) وَلَمْ أَدْرِ حِسَابِيهِ
(26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ۗ (28) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (29)
خُدُوهُ فَعُلُوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32)
إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ
هَاهُنَا حَمِيمٌ (35) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (37)﴾.²

وفي موضعٍ آخر يقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا
يَسِيرًا (8) وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو
ثُبُورًا (11) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14)
بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15)﴾.³

وكلّ هذه الآيات إشارةٌ إلى أنّ الحياةَ الدُّنيا لا تساوي جناح بعوضة؛ وبهذا يجب أن
يكون الاهتمام منصبًا على أن تكون هذه الحياة الأولى مطيئةً للآخرة حتّى يتمّ الصَّلاحُ فيهما
معًا؛ ولعلّ ما أشارت إليه الآية القرآنيّة الكريمة 77 من سورة القصص هي إشارةٌ واضحةٌ

¹ - البقرة: 176.

² - الحاقّة، من الآية: 18 إلى 37.

³ - الانشقاق من الآية: 7 إلى 15.

إلى ذلك؛ والتي تقول: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (77).

1 - 2: الأسلوبية البنيوية.

1 - 2 - 1 - الخطبة الأولى: بنيت الخطبة الأولى على نظام الثنائيات، أو مثل ما يقول العالم الإيطالي (ريفاتير) على التضاد الثنائي؛ ومنها ما يلي:

أ - ثنائية الحاكم والمحكوم: وقد قام نظام الحكم على أساس البيعة العلنية لأفراد الرعية عملاً بمبدأ الشورى الذي جاء به الدين الإسلامي الحنيف؛ والذي يقول فيه المولى تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (38). [الشورى: 35].

ب - ثنائية الإحسان والإساءة: ويترتب عن هذه الثنائية ثنائية أخرى؛ وهي: (ثنائية الإعانة والتقويم)؛ حيث أنّ الإعانة للحاكم الصالح يجب أن يعمل لمصلحة الرعية بما يرضي الله ورسوله، بينما تكون عملية التقويم وتقديم النصيحة للحاكم المتلاعب بشؤون رعيته مما ينجر عن ذلك العمل وجوب تقديم النصيحة له بطريقة أو بأخرى، أو عزله واستبداله بحاكم صالح إن اقتضى الأمر إلى ذلك.

ج - ثنائية الصدق والكذب: ويترتب عن الصدق أن يكون الحاكم أميناً في التعامل مع أفراد رعيته، ولو كان العكس لكان شخصاً يتلاعب بشؤون رعيته بما يرضي هواه وهوى الشيطان.

د - ثنائية القوة والضعف: وهي إشارة إلى محاربة الطبقة في المجتمع طريقة وتجسيد العدالة الاجتماعية.

هـ - ثنائية المشاركة في الجهاد ضد المناوئين للدولة الحديثة والتخلف عنه: ولعلنا إذا رجعنا إلى قوله تبارك وتعالى في سورة الصف يتضح المقال؛ حيث يقول المولى جلّ في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (12).¹

¹ - الصف: 10، 11، 12.

وبالتالي سوف يترتب عن التخلف عن المشاركة فيه من ذل في الدنيا وهوان في الآخرة.
و- ثنائية انتشار الفاحشة والتعفف عنها: ويترتب عن تفشي فاحشة الزنى بين أفراد المجتمع الكثير من الآثار كالأضرار السارية التي تعود سلباً على الفرد والمجتمع على حد سواء.

1 - 2 - 2: الخطبة الثانية: وقد بنيت هذه الخطبة على عدة ثنائيات؛ منها:

أ - ثنائية الغلظة واللين: وقد تكون الغلظة على النفس والأهل والولد طلباً لمرضاة الله تبارك وتعالى، كما قد تكون على الرعية في الحق؛ مثل أيام المحن كسنين الرمادة والقحط، بينما يكون اللين والرفق لأهل الطاعة والإيمان ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة.
ب- ثنائية الشح والسخاء: ويكون الشح على النفس والولد والأهل منهجاً عند البعض من الناس، غير أن السخاء في وجه الرعية أفضل بكثير لكن من غير إسراف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، وكل هذا يكون ابتغاء وجهه تبارك وتعالى.

ج - ثنائية (الغفلة والنسيان)، و(ذكر) الله تعالى: ويكون ذكر الله تعالى في كل حين، وفي هذا يقول تعالى: ﴿لَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ (192)﴾.¹

كما يصاحب ذكر الله تعالى ذكر الموت، أو ما يسمّى بهادم اللذات، وفي هذا

يقول المولى تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾.²

د - ثنائية الضعف بالعمل في طاعة الله، والنشاط فيها والقوة في أدائها: وتكون بالنية الحقيقية في العمل بطاعة الله تعالى طلباً لتحقيق رضوانه عن العبد الصالح؛ والتي لا تكون إلاّ بعون الله تعالى وحده وتوفيقه، مما يعود بالنفع على الحاكم والمحكوم على حد سواء.

هـ - ثنائية المحاسبة للنفس، وإهمالها: وتترتب عن محاسبة النفس آثار قد تعود حتماً إيجاباً على الفرد والمجتمع في حالة ما إذا كان هذا الإنسان حاكماً لرعيته بالصدق والعدل في كل شؤون الحياة ومناحيها لأن الأصل أن يحاسب على صغيرة وكبيرة كالإنفاق من المال العام على أفراد الرعية مع العمل على الحفاظ عليه من شائبة واردة بما يرضي الله تبارك وتعالى ورسوله، وبما ينفع البلاد والعباد

¹- آل عمران: 191.

²- النساء: 77.

و- ثنائية التدبر في آي القرآن الكريم، وإهمال التفكر فيه: ويكون التدبر في آي القرآن الكريم أثناء قراءته وتلاوته على الوجه اللائق به أو عند سماعه بأي شكلٍ من الأشكال، والتفكر في أسلوبه وبيانه ومعانيه، وفي هذا يقول المولى تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. ¹ (*)

1- 2- 3- الخطبة الثالثة: وقد بنيت الخطبة الثالثة على قليلٍ من التضاد النبوي، أو الثنائيات الضدية؛ وهي:

أ- ثنائية الدنيا والآخرة: وتقود الدنيا إلى الغرور والاستهتار في كل شيءٍ والعبث فيها وعدم احترام وقتها؛ والذي كان يجب أن يستغل في مرضاة الله بالعمل الصالح، وفي هذا يقول المولى تعالى في سورة الحديد، الآية: 19: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۗ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)﴾، [الحديد: 20].

كما تقود عملية الاهتمام بأمر الآخرة في السرِّ والعلانية إلى الفوز بمرضاة الله تعالى ورضوانه مع النعيم المقيم، وفي هذا الشأن يقول تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)﴾. ²

ب- ثنائية (المال والبئون)، و(الباقيات الصالحات): كثيراً ما يهتم الكثير من الناس بجمع الأموال بأي شكلٍ من الأشكال دون مراعاة لجمعه من حله أو حرمة مع التفاخر بكثرة الولد؛ والذي قد يكون عبئاً على أعناقهم في الدنيا والآخرة مع ترك الباقيات الصالحات؛ وهي التي تكون ذخراً لمن جعل دار الدنيا جسراً للآخرة. وفي هذه الحالة يقول تعالى ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾، [سبأ: 37]. وفي قوله هذا أيضاً دلالة

¹ - محمد: 25.

(*) كم هو جميل أن نتدبر القرآن الكريم عند تلاوتنا له أو عند سماعنا له فنتفكر في ألفاظه صوتاً ومعانٍ وأسلوباً وتركيبياً لنصل إلى بعض خفاياه وأسراره؛ لأنه هو الكلام المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو تنزيل من حكيم حميد. والله تعالى في هذا الشأن يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82)﴾، [النساء: 81]؛ وهو أيضاً الذي تحدى به الإنس والجن على أن يحاولوا الإتيان بمثله عبثاً، وفي هذا الشأن يقول: ﴿قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)﴾، [الإسراء: 88]؛ وتعني لفظة: (ظهيراً) معيئاً.

² - الأعلى: 17.

واضحاً على وجوب الاهتمام بالباقيات الصالحات أيما اهتمام فهي أفضل بكثير من الاهتمام بما ينمي الأموال في الحياة الدنيا، وبما يزيد في كثرة البنين والبنات؛ وهو ما تؤكد هذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9) ﴾، [المنافقون: 09].

1 - 2 - 4 - الخطبة الرابعة: قامت هذه الخطبة على بعض الثنائيات الضدية؛ ومنها:
أ- ثنائية (تقديم العمل)، و(ترك الأمل): وتكون هذه العملية عن طريق تقديم طاعة الله وتقواه على كل شيء.

ب- ثنائية مراقبة الله تعالى وإهمالها: وفي هذا يعني أن الله رقيب على كل تصرفات العباد وأعمالهم وأقوالهم، وهو محاسبهم على كل صغيرة وكبيرة إلا من تاب وآمن عمل عملاً صالحاً؛ وفي هذا الشأن يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۗ ﴾¹.

ج- ثنائية الحساب والعقاب: ويكون الحساب على إقامة الشرائع بحصول عباده المؤمنين على رضوان الله تعالى و دخول جناته ونعيمه المقيم، وبالعقاب لعبيده العصاة بالعذاب: (الأليم، المهين، الشديد، الغليظ...). والحميم ونار الجحيم... إلخ. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً قبل الممات فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيمًا.

د- ثنائية أصحاب اليمين وأصحاب الشمال: يكون أصحاب اليمين من أهل الجنة، بينما يكون أصحاب الشمال من أهل النار، وفي هذا الشأن يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْنَعُ سَعِيرًا (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13) ﴾²؛ والمقصود بلفظة: (وراء ظهره)، أي: من جهة الشمال.

1 - 3: الأسلوبية الوظيفية.

• الخطبة الأولى: من الاختيارات الأسلوبية الوظيفية في هذه الخطبة ما يلي:

الرقم	الجملة الفعلية	وظيفتها	الجملة الاسمية	وظيفتها
01	وليت عليكم	إقرار بالبيعة.	الصدق أمانة	ذكر الحقيقة.

¹ - النساء: 01.

² - الانشقاق، من الآية: من 7 إلى 13.

02	لست بخيركم	اعتراف بالمساواة بين الناس.	الكذب خيانة	تعيين الحقيقة المرة.
03	إن أحسنتُ فأعينوني	طلب العون من الرعية.	الضعيف فيكم قويّ عندي	اعتراف بالمساواة بين الناس أمام العدالة.
04	وإن أسأتُ فقوموني	طلب النصيحة من أفراد الرعية.	القويّ فيكم ضعيف عندي	اعتراف بالمساواة بين الناس أمام العدالة.
05	لا يدع فيكم أحد الجهاد في سبيل الله.	دعوة لإعلاء كلمة الله.		
06	فإنّه لا يدعه قومٌ	التحذير من التخاذل والتولي يوم الزحف.		
07	إلاّ ضربهم الله بالذلّ	تحديد العقوبة الدنيوية.		
08	لا تشيع الفاحشة في قومٍ.	تحذير من العقوبة.		
09	إلاّ عمّهم الله بالبلاء	تحديد العقوبة الدنيوية.		
10	أقول قولي هذا.	إقرار بالكلام.		
11	وأستغفر الله لي ولكم.	طلب المغفرة من الله تعالى.		

وبهذا تتدرج الخيارات الأسلوبية الوظيفية في هذه الخطبة من الإقرار بالبيعة إلى الاعتراف بالمساواة بين أفراد المجتمع إلى طلب العون والنصيحة من الرعية إلى الدعوة إلى إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى إلى التحذير من التخاذل عنها إلى تحديد العقوبات عن ارتكاب بعض المحرمات إلى دعاء الله تعالى وطلب المغفرة منه؛ وهو ما يظهر جلياً في الجمل الفعلية التي بدت أكثر من الجمل الاسمية.

• الخطبة الثانية: من الاختيارات الأسلوبية الوظيفية التي شملتها هذه الخطبة ما يلي:

الرقم	الجملة الفعلية	وظيفتها	الجملة الاسمية	وظيفتها
01	أمّنوا	طلب الاستجابة.	إني داع.	اللجوء إلى الله عز وجل.
02	ليّني لأهل طاعتك	دعاء الله.	إني غليظ.	إقرار بالطبع.
03	ارزقني الغلظة والشدة على أعدائك.	اللجوء إلى الله جلّ وعلا.	إني شحيح.	اعتراف بهذا النوع من الخلق.
04	سخني في نوائب الدهر.	طلب السخاء في نوائب الدهر.	إني كثير الغفلة والنسيان.	اعتراف بالخطأ.
05	اجعني ابتغي وجهك والدار الآخرة.	رجاء.	إني ضعيف عن العمل بطاعتك.	تقصير عبد.
06	ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين.	رجاء عبد.	إنك على كل شيء قدير.	اعتراف بقدرة الله جلّ وعلا.
07	ألهمني ذكرك على كل حال.	دعاء.		
08	ارزقني النشاط والقوة.	اللجوء إلى الله تعالى.		
09	ثبنتني باليقين والبرّ والتقوى.	الرجاء.		
10	ارزقني الخشوع فيما يرضيك.	الدعاء.		
11	ارزقني التدبّر والتفكّر لما يتلوه لساني من كتابك.	الرجاء.		

12	لا تدعني في غمرة.	الرجاء.	
13	لا تأخذني على غزة.	الرجاء.	
14	ولا تجعلني من الغافلين.	الأمل.	

ويمكن بالتالي أن نلخص الخيارات الأسلوبية الوظيفية في هذا النص تتمثل في اللجوء إلى الله عز وجل بالدعاء أو بالرجاء والأمل في إصلاح الحال في الدنيا و تحقيق السعادة في الآخرة؛ وهو ما يتضح في الجمل الفعلية التي شغلت حيزاً أكبر من الجمل الاسمية.

• **الخطبة الثالثة:** تظهر الاختيارات الأسلوبية الوظيفية لهذا النص فيما يلي:

الرقم	الجملة الفعلية	وظيفتها	الجملة الاسمية	وظيفتها
01	بادروا آجالكم.	الإسراع في التوبة إلى الله تعالى والإنابة إليه قبل فوات الأوان.	إنكم في دار قلعة.	اعتراف بهوان الحياة الدنيا.
02	أنتيم، أصبحتم، أمسيتم.	سرعة مرور الوقت دون الشعور بذهابه.	إنّ الدنيا طويت على الغرور.	سرعة سريان وقت الدنيا على الغرور.
03	لا تغرنكم الحياة الدنيا.	النصيحة في اغتنام الوقت.	إنّه لا يغفل عنكم.	تقديم النصيحة بقرب الآجال مهما طالت.
04	ولا يغرنكم بالله الغرور.	النصيحة في اجتناب خطوات الشیطان.	أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثاروها وعمرّوها؟	التذكير بالمصير المحتوم.
05	اعتبروا بمن مضى منكم.	الاعتبار بالأمم السابقة.	إنّ الله ضرب لها مثلاً.	التمثيل.

06	ثم جدّوا ولا تغفلوا.	تقديم النصيحة للمتلقّي.	كما أنزلناه من السماء	التشبيه.
07	وتمتّعوا بها طويلاً.	إقرار بزوال الدنيا مهما طال.	المال والبنون زينة الحياة الدنيا	تحديد زينة الحياة الدنيا الفانية.
08	ألم تلفظهم؟	التذكير.	والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً.	تحديد قيمة الأعمال الصالحة عند الله تعالى حتى ولو بذكره.
09	أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها.	تقديم النصيحة بعدم الإفراط في الاهتمام بالدنيا الفانية.		
10	واطلبوا الآخرة	تقديم النصيحة بطلب ما عند الله.		
11	واضرب لهم مثل الحياة الدنيا.	التمثيل والتشبيه.		
12	أصبح هشيماً تذروه الرياح.	التذكير بالمصير المحتوم.		
13	وكان الله على كل شيء مقتدرًا.	الاعتراف بقدره الله عز وجل.		

وبهذا تتلخّص الخيارات الأسلوبية الوظيفية لهذا الخطاب في:

- الاعتراف بأن الدنيا فانية زائلة، وأن الآخرة هي الدار الباقية؛ ولذا وجب على الإنسان العاقل الاهتمام بالدار الباقية وترك الدنيا الفانية.
- نصيحة الرعية بالاستعداد للآخرة بالعمل الصالح وترك زينة الحياة الدنيا جانباً.
- تذكيرهم بما آلت إليه الأمم السابقة واغتنام الفرصة في العمل الصالح في استثمار وقتها

فيما يرضي الله تعالى.

- اجتناب الغرور بالدنيا وتجنب خطوات الشيطان وأهواء النفس.
- تشبيه الحياة الدنيا بالماء، ومن أوجه الشبه بينهما:
- ليس للماء قرار، وكذا الحياة الدنيا وما تجلبه من مال.
- إذا أمسك الماء تغير لونه وتتن إذا لم يعالج، وكذا الحياة الدنيا بعد إمساكها فهي رذلة.
- ويأتي الماء قطرة قطرة ويذهب دفعة واحدة، وكذا الحياة الدنيا.
- يستر الماء الأرض ويغطيها، وكذا المال يستر عيوب الرجال.
- من طبع الماء النقصان، وقد يكون عن طريق الإسراف، وكذا المال عن طريق سوء الإنفاق.

- يفسد الماء الكثير من الزروع، وكذا المال الكثير يفسد القلوب.
- الماء كله لا يكون صالحًا للاستهلاك الأدمي أو الحيواني أو النباتي إلا إذا عولج، وكذلك جمع المال قد يكون من حلال وحرام عند الكثير من الناس.
- ومن وظيفة الماء في حالة القلة والجفاف مما يؤدي إلى القضاء على المحصول الزراعي والإنتاج الحيواني، وفي حالة كثرته يؤدي إلى حدوث الطوفان مما ينتج عنه تدمير المحصول الزراعي، وكذا الكائنات الحية الأخرى، وقد يتعدى ذلك إلى العمران والطرق والاملاك وما شابه ذلك.

- ومن وظيفة الماء أيضًا تطهير الإنسان من الأوساخ والقاذورات.
- ومن وظيفة المال الكثير - وخاصة إذا كان مصدره من حرام - أن يؤدي بصاحبه إلى الغرور والترف ونسيان واجباته نحو الآخرين ولو حتى من أقرب الأقربين عند البعض من الناس، أما عند الاتقياء من الناس فوظيفته تطهير الرجل من دنس الدنيا وآثامها ولا سيما المتصدقين بأموالهم للضعفاء والفقراء من الناس؛ وهذا مصداقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾¹.

- كما أن وظيفة أموال الصدقات الكثرة والزيادة بسبب الخير الجاري على الضعفاء والفقراء من الناس؛ وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ﴾² وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿39﴾.

¹ - التوبة: 103.

² - الزوم: 39.

- وأخيراً الاعتراف بقدرة الله جلّ وعلا.

والملاحظ أنّ الجمل الفعلية كانت أكثر من الجمل الاسمية في هذا الخطاب.

• **الخطبة الرابعة:** تظهر الاختيارات الأسلوبية الوظيفية في هذه الخطبة فيما يلي:

الرقم	الجملة الفعلية	وظيفتها	الجملة الاسمية	وظيفتها
01	إنّه من فرط في عمله.	تقديم النصيحة.	أوصيكم عباد الله بتقوى الله ولزوم طاعته.	تقديم النصيحة.
02	لم ينتفع بشيء من أمله.	التذكير	أين التعب بالليل والنهار...؟	التذكير
03	يسرون وراء الجبال.	اللّهت وراء الدنيا.	أيها اللاهي.	النداء والتنبية.
04	يصل الغدوّ بالزّواح.	اللّهت وراء الدنيا	كأنّي بك قد أتاك رسول الله.	تحديد المصير المحتوم لكل فرد.
05	هجمت عليه منيته.	تحديد المصير المحتوم.	أرجاؤها موحشة.	التذكير بالحياة البرزخية في القبر.
06	وعظمت بنفسه رزيتته.	الأسف.		
07	فصار ما جمع بوراً وما كسب غروراً.	الحسرة والندم.		
08	ووافى القيامة محسوراً.	الحسرة والندم		
09	لا يقرع لك باباً، ولا يهاب لك حجاباً، ولا يقبل عنك بديلاً، ولا يأخذ منك كفيلاً، ولا يرحم لك صغيراً، ولا يوقر لك كبيراً.	تحديد الأجل.		

10	حتى يؤدّيك إلى قعرٍ مظلمةٍ.	توضيح المصير الأخير، والإشارة إلى العودة إلى التراب.	
11		كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضيّة	التذكير بما حدث للأمم السابقة والقرون الغابرة.
12		أين من سعى واجتهد؟	التذكير بهم.
13	وبالقليل لم يقنع.	الجشع.	
14	وبالكثير لم يمتّع.	الطمع.	
15		أين من قاد الجيوش؟	التذكير بالزعامات.
16	ونشر البنود؟	التذكير بالمصير. وأنتم بكأسهم شاربون ولسبيلهم سالكون.	التذكير بالمصير المحتوم.
17	أضحوا رفاتاً تحت الثرى أمواتاً.	التذكير بالمصير المحتوم.	النداء.
18	اتّقوا الله وراقبوه	تقديم النصيحة.	
19	واعملوا لليوم الذي تسير الجبال، وتشقق السماء بالغمام، وتتطاير الكتب عن الأيمان والشمائل.	تقديم النصيحة بانتهاز الفرص.	الاستفسار. فأيّ رجلٍ تراك؟

20		أقائل: هاؤم اقرأوا كتابيه؟	الاستفسار ثم الفرح بالحصول على الكتاب باليمين.
21	أم يا ليتني لم أوت كتابيه؟	الحسرة والندم.	
22	نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنّته أن يقينا سخطه	وإن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.	الدعوة إلى التمسك به.
23		تنزيل من حكيم حميد	الاعتراف بالقرآن الكريم كتاباً سماوياً نزيهاً عن كل الشبهات.

وبهذا يمكن أن نلخص الخيارات الأسلوبية الوظيفية الواردة في هذه الخطبة فيما

يلي:

انحصرت الاختيارات الأسلوبية الوظيفية في الخطبة الرابعة بين: (تقديم النصيحة بالعودة إلى الرّشاد عن طريق الاهتمام كثيرا بالآخرة والاستعداد للحياة الدائمة، والاتعاظ بالأمم السابقة والقرون الماضية، وما آلت إليه، والابتعاد عن الجشع والطمع في هذه الدنيا الزائلة، والنصح لأفراد الرعية بانتهاز الفرصة في هذه الحياة لادّخار أعمالهم والتزوّد بها في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؛ يوم تتطاير الصحف ذات اليمين وذات الشمال - حتى لا تفوت الفرصة عليهم - فيكون الندم وتحدث الحسرة؛ وأتى ينفع الندم؟ وأتى تجدي الحسرة؟ لأن السعيد من كان من أصحاب اليمين، والله تعالى يقول في حقهم: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (29) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (31) وَفَاقِهِةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36) غُرْبًا أَتْرَابًا (37)﴾

لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38) ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ (39) وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (40) ﴿١﴾

المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية لخطب المدونة في المستويات التالية.

أولاً- المستوى المعجمي: إن ما يفسر عناية الأسلوبية التعبيرية بوظيفتين؛ وهما:

1- التعبير عن الفكر.

2- التعبير عن لغة الوجدان.

وذلك في علاقاتٍ متماسكةٍ فيما بينهما، والملاحظ أن ألفاظ المعجم المستعمل في الخطب الأربعة هي مستمدة من القرآن الكريم كأهم مصدرٍ للغة العربية، ومن أقوال النبي ﷺ، ومن المعجم العربي القديم.

المطلب الأول: النظام المعجمي.

أ - في البداية: كان الاستهلال قد غلب عليه في هذا الخطاب الفعل المضارع المتمثل في: (نحمده، نستعينه، نستهديه، نستغفره، نتوب إليه). وهو الذي يحدّد الزمن والحدث، وهو أمرٌ مشتركٌ بين الخطب الأربعة.

ب - أما فيما يخصّ الخاتمة: فالأمر يختلف من خطبةٍ إلى أخرى.

- ففي الخطبة الأولى: استعمل الفعل المضارع من مصدرى القول (أقول)، والاستغفار (أستغفر).

- وأما في الخطبة الثانية: فقد استعمل الفعل المضارع أيضاً غير أنه كان على شكل دعاءٍ أو رجاءٍ تمثّل في الأفعال التالية: (تدعني، لا تأخذني، لا تجعلني).

- وفي الخطبة الثالثة: استعمل لفظ المصدر؛ وهو (السّلام)؛ وهي تحية المسلمين، وهي مستمدة من اسم الجلالة، وتشير الآيات في عدّة مواضع من القرآن الكريم؛ مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿ دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10) ﴾. ² (*).

كما يتبعها مصدر (الرّحمة)، وقد غلب عليها الشّكل المعروف في تحية الإسلام: (سلاّم من الله ورحمة).

¹- الواقعة، من الآية: 29 إلى 41.

²- يونس: 10.

(*) وهذا داخل الجنة؛ وهي التي قال عنها الرسول عليه الصّلاة والسّلام: "... فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"، حديث متفقٌ عليه، رواه أبو هريرة، وسهل بن سعد، وأخرجه الإمام مسلم.

- وفي الخطبة الرابعة: كانت الألفاظ المستعملة على شكل دعاءٍ أو رجاءٍ؛ وهو ما تمثّل في دعاء الله تعالى أن يقي المسلمين سخطه ويرزقهم الجنة - وهي التي وعدّها عباده المؤمنين - وكان اللفظ نفسه موضّحاً لأحسن الحديث، وهو (القرآن الكريم)؛ أي: (كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميدٍ).

ج- أمّا فيما يخصّ ما جاء في المتن: فكانت ألفاظ المعجم المستعمل في المتن للخطب الأربعة كالتّالي:

- ففي الخطبة الأولى:

بعد عمليّة الاستهلال، استعمل لفظ (أمّا بعد) كحدّ فاصلٍ بين المقدّمة والمتن؛ وهو كمفتاحٍ تولج به الخطبة. وبعد هذا الشّيء، استعملت ألفاظ النّداء بأدواته (أيّها النّاس)؛ وهو كإشارة لتعميم الخطاب إلى الكلّ، أي: العامّة دون تمييز - فكانت على الشّاكلة التي جاء بها الخطاب التّبويّ إلى النّاس، أو تكملة له. وبعدئذٍ انتقل المعجم إلى استعمال إلى ما يشير إلى الزّمن والحدث من أفعال الماضي والأمر.

- فالفعل الماضي بعضه كان على البناء للمجهول (وُلّيت) عليكم، والفعل الناقص من أخوات كان (لستُ) بخيركم، ثمّ الفعل العادي (أحسنتُ)، و (أسأتُ)؛ وكلّه مع استعمال الضمير المتصلّ وهو ضمير المتكلّم (التّاء) المضمومة.

- أمّا فعل الأمر فكان على شكل طلب من المتلقّين في: (أعيّنوني)، (قوّموني). وتخلّل هذا الأمر استعمال المصادر (الصدّق، الكذب، أمانة، خيانة)، ثمّ استعمال صفات البعض من النّاس (الضعيف، القويّ)، ثمّ عاد لاستعمال فعل الأمر؛ وهو ما يشير إليه حالة ترك الجهاد وما ينجّر عنها من مخاطر قد تصيب المسلمين من ذلّ؛ وهو ما يشير إليه الفعل (لا يدع) في شكل طلبٍ وأمرٍ، ثمّ عاد إلى الفعل المضارع على شكل تحذيرٍ (لا يدعه) قومٌ، ثمّ الفعل الماضي (ضربهم) الله بالذلّ؛ وفي هذا الشّأن يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11) ﴾¹.

وكان الفعل المضارع (تشيع) الفاحشة سبباً فيما ينجّر عنه من بلاءٍ يصيب النّاس إذا لم يلتزموا بما أمر الله وزجر؛ وهو ما يشير إليه الفعل الماضي (أعمّهم) الله بالبلاء، وفي هذا

¹- الصّف: 10، 11.

الشأن يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)﴾.¹

وفي آخر المطاف من هذا الخطاب انتقل المعجم إلى طلب الطاعة من المستمعين على شكل فعل أمر (أطيعوني) - وهذا في إطار طاعة الله ورسوله - طبقاً لقوله تبارك وتعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾.²

وهذا مقابل الفعل الماضي (ما أطعت) الله ورسوله، إلى الفعل المضارع (عصيت) الله ورسوله، إلى استعمال المصدر (لا طاعة) لي عليكم.

- أما ما جاء في الخطبة الثانية: فبعد الاستهلال وبعد استعمال أسلوب النداء بأدواته المعروفة ينتقل الخطاب في هذه الخطبة إلى استعمال بعض الصفات (داع، غليظ، شحيح، كثير الغفلة والنسيان، ضعيف عن العمل بطاعتك، الحسنة (النية الحسنة)، قدير)، إلى استعمال المصادر المرافقة لتلك الصفات؛ مثل: (أهل طاعتك، موافقة الحق، الابتغاء، الغلظة، الشدة، النفاق، الظلم (ظلم مني)، الاعتداء (اعتداء عليهم)، الإصراف، التبذير، الرياء والسمة، خفض الجناح، لين الجانب، الذكر (ذكرك، ذكر الموت)، العمل بطاعتك، النشاط والقوة، النية، العون (عونك)، والتوفيق (توفيقك)؛ وهذا عن طريق الإضافة إلى الذات العلية، اليقين، البر، التقوى، ذكر المقام، الحياء منك، الخشوع، المحاسبة للنفس، الإصلاح (إصلاح الساعات)، (الحذر من الشبهات)، التّفكّر والتّدبّر، الفهم (الفهم له)، المعرفة لمعانيه، النظر (في عجائبه)، العمل بذلك. وفي هذا الشأن يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)﴾.³

- وفي الخطبة الثالثة: انتقل المعجم المستعمل في هذه الخطبة من الفعل المضارع في المقدمة إلى الجملة الاسمية المنسوخة (بان)؛ وهي: (إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار). إلى استعمال ما يشير إلى الزمن والحدث من أفعال الأمر؛ مثل: (بادروا آجالكم، اعتبروا بمن مضى منكم، جدوا، لا تغفلوا، ارموا بالدنيا، اطلبوا الآخرة). وتخلل ذلك ما يشير إلى الزمن الحاضر والمستقبل والتمثّل في الفعل المضارع؛ ويظهر هذا الشيء في: (ما تقدرون، لا تغرنكم الحياة الدنيا، لا يغرنكم بالله الغرور، ألم تلفظهم؟) في شكل تقديم النصيحة أو الاستفهام.

كما تخلله ما يشير إلى الزمن الماضي؛ وهو ما يشير إليه الفعل الماضي: (أنيتم، أصبحتم،

1 - الإسراء: 32.

2 - الأحزاب: 71.

3 - محمد: 25.

أمسيتم، طُويت، مضى منكم، أثاروها وعمرّوها، تمتّعوا بها، ضرب الله مثلاً؛ بعضها في شكل تذكير، والآخر في شكل تشبيه، وكان بعض هذه الأفعال في شكل أفعال ناقصة (أصبحتم، أمسيتم)، ممّا يشير إلى الزمن دون الحدث، وبعضها في شكل البناء للمجهول؛ مثل: (طُويت).

وفي الآية القرآنيّة الكريمة المستشهد بها في هذا الخطاب بدت الجملة الاسميّة المنسوخة بـ: (إنّ) يتخلّلها الفعل الماضي (ضرب)؛ أي: أعطى الله لذلك مثلاً، وهو ما يشير إلى الزمن الماضي، ثمّ كان الاتّصال بالاسم الموصول لهذه الجملة؛ وهو: (الذي) بما يتبعها إلى داخل الآية القرآنيّة الكريمة؛ حيث ابتدأت بفعل الأمر (اضرب) إشارة إلى المستقبل أكثر من الحاضر ليعود الفعل الماضي: (أنزلناه، واختلط)؛ وهذا للإشارة إلى الحدث والزمن معاً، بحضور الفعل الماضي الناقص: (أصبح، وكان) الذي يشير إلى الزمن فقط، لتختتم بمجموعة من الأسماء كالمال والبنين، والصفّات مثل: (زينة الحياة الدنّيا)؛ والتي تتمّ عن أداءٍ معجميّ رائع التركيب.

- وأما ما كان في الخطبة الرابعة: فانطلاقاً من لفظ الحمد والثناء على الله عزّ وجلّ، ثمّ التّشهُد والصّلاة والتّسليم على النّبّي الكريم ﷺ، انتقل الخطاب في هذه الخطبة إلى استعمال ألفاظٍ تشير إلى الزمن والحدث معاً؛ والمتمثّل في الفعل المضارع الدالّ على الزمن الحاضر والمستقبل؛ وهو: (أوصيكم، يسير، يصل)، مع الفعل الماضي الذي يشير إلى الحدث في الزمن السّابق؛ والمتمثّل في (هجمت عليه منيّه، عظمت عليه رزيّته، ما جمع، وماكسب، ووافى المنية)، كما تخلّل هذا التركيب الفعل الماضي الناقص الذي يشير فقط إلى الزمن المتمثّل في الكلمة (صار)، كما تميّزت الفقرة الأولى بحضور الأسماء؛ مثل: (عباد الله، النّفس، اللّيل، النّهار، البحار، القفار، الجبال، الرّمال، الغدوّ، الرّواح، المساء، الصّباح... وكذا المصادر؛ مثل: (التّقوى، الطّاعة، العمل، الأمل، التّعب... إلخ. وفي الفقرة التّالية انتقل الخطاب إلى اللفظ الدالّ على التّشبيه (أيّها اللّاهي) كأسلوب النّداء بأدواته المعروفة، ثمّ إلى الجملة الاسميّة المنسوخة بـ: (كأنّ)؛ والمتمثّلة في: (كأنّي بك)، وتخلّلتها عمليّة استعمال اسم الفاعل (الغار)، مع بعض الصفّات؛ مثل: (مظلمة، موحّشة، الخاليّة، الماضيّة)... إلخ.

كما تميّز باستعمال بعض الأسماء؛ مثل: (اللّاهي، رسول ربّك، الأمم، القرون) مع بعض الأفعال التي تشير إلى الزمن الماضي المتمثّل في: (أتاك)، وأخرى تشير إلى الزمن

الحاضر والمستقبل؛ وهي: (لا يقرع، ولا يهاب، لا يقبل، لا يأخذ، لا يرحم لك صغيراً، لا يوقر لك كبيراً، حتى يؤدبك). بالطبع مع بعض أدوات الربط؛ مثل: (لا)، و (حتى) لتحقيق المعنى المطلوب من الحديث.

وبعدئذٍ انتقل الخطاب في معجمه إلى استعمال إلى ما يشير إلى الزمن والحدث معاً؛ مثل الفعل الماضي: (سعى، اجتهد، قاد، نشر...) والفعل المضارع الذي يشير إلى الزمن الحاضر والمستقبل معاً (يقنع، يمتنع) باستعمال أداة الجزم (لم)، إلى الجملة الاسمية (أنتم بكأسهم شاربون) كجملة المبتدأ والخبر، وشبه الجملة (ولسبيلهم سالكون) في شكل تقديم وتأخير لتأكيد المعنى أكثر فاكثراً.

وأخيراً انتقل الخطاب إلى أسلوب النداء في كلمة: (عباد الله) لتحقيق النصح لهم بألفاظٍ تشير إلى الزمن والحدث معاً؛ وهو فعل الأمر الذي يدلّ على التمسك بالتقوى ومراقبة الله تعالى في السرّ والعلانية: (اتقوا الله، راقبوه، اعملوا). كما تخلّل هذا الجزء من الخطاب الفعل المضارع الذي يؤكد الحاضر والمستقبل (تسير الجبال، تشقق السماء، تتطاير الصحف) كجمل فعلية تشير إلى حدوثها في اليوم الموعود، لينتقل أخيراً إلى استعمال الجملة الاسمية المتمثلة في: (أي رجل، أقائل: هاؤم اقرأوا كتابية؟ على شكل جمل استفهامية، إلى جملة التمني: وقائل: يا ليتني لم أوت كتابيه للإشارة إلى الندم والحسرة. وعلى كلّ حال فإنّ لألفاظ المستعملة في هذه الخطب هي ألفاظٌ جزلةٌ لا تستدعي العودة إلى المعاجم، أو المناجد للوصول إلى تحقيق المعنى المطلوب منها.

ومن الملاحظ على البعض من هذه الخطب استعمال الآيات القرآنية الكريمة كاملةً، أو بعض العبارات فقط بشكلٍ يشبه كاملٍ مثل الخطبة الثالثة والرابعة.

المطلب الثاني: البناء الجماليّ والفنيّ لخطب المدوّنة.

إنّه من الاهتمام بمكانٍ بقضية البناء الجماليّ والفنيّ لخطب المدوّنة أن نعرّج على بعض المصطلحات الأسلوبية للخطب الأربع لما لها من الأهمية بمكانٍ في تحليلها للوصول إلى شيءٍ من الجمال الفنيّ؛ وإن اختلف بعض الشيءٍ من خطابٍ إلى آخر.

ومن المعلوم أنّ لهذه المصطلحات شأن هامّ في تحديد عمليّة التأثير والتأثر بين المرسل والمرسل إليه؛ والتي تساعد هذه الأخيرة بالنسبة للمتلقّي في استيعاب الرّسالة المرجوة من كلّ خطابٍ.

ومن الواضح أنّ الخطابات الأربع قامت على استعمال مثل هذه المصطلحات الأسلوبية التي تُضفي نوعاً من الذّوق الجماليّ والفنّي بين طيّات كلّ خطابٍ من هذه الخطابات؛ مثل العمل بنظام الأسجاع والتّطابق والتّقابل...

1 - نظام الأسجاع: من الملاحظ أنّ استعمال السّجع في أيّ خطابٍ من الخطابات يكون له شأن عظيمٌ في استقطاب آذان المتلقّين ممّا يجعلهم تحت تأثير ما يقال أمامهم، أو ما يستمعون إليه. ونتناول بشيءٍ من التفصيل في كلّ خطابٍ من الخطابات الأربع.

أ - الخطبة الأولى: تتمثّل عبارات السّجع في الخطاب الأوّل في: (أعينوني وقوموني). (الأمانة والخيانة).

ب - الخطبة الثانية: وتتمثّل تلك العبارات في هذا الخطاب في: (ليّني وسخّني). (ألهمني وثبّنتني).

ج - الخطبة الرابعة: وتظهر تلك المصطلحات في الخطاب الرابع في: (العمل والامل). (البحار والقفار). (الجمال والرّمال). (شاربون وسالكون).

نظام التّطابق: وتظهر المطابقة في هذه الخطب فيما يلي:

أ - الخطبة الأولى: ومن العبارات التي تمثّل هذه المصطلحات في الخطاب الأوّل: (الأمانة والخيانة). (أحسنّت وأسأت)، (أطعت وعصيت).

ب- الخطبة الثانية: ويظهر هذا التّمثيل في هذا الخطاب باستعمال الصّفة، أو المصدر مقابل الفعل المضارع الذي يفيد الحاضر والمستقبل؛ أي الاستمرارية والديمومة؛ مثل:

- (غليظ) كصفة من الغلظة، وليّني؛ أي: (فعل مضارع) من مصدر اللّين.
- (شحيح) كصفة من الشّح، وسخّني؛ أي: (فعل مضارع) من مصدر السّخاء.
- ج - الخطبة الثالثة: ممّا ذكر في هذا الخطاب شيءٌ قليلٌ مقارنةً بغيرها من الخطب الأخرى؛ وتتمثّل في عبارتي: (أصبحتم، أمسيتم).

د - الخطبة الرابعة: وتتمثل في الخطاب الرابع في عبارتي: (الصغير والكبير).

نظام التقابل: وتوجد المقابلة على مستوى خطابين فقط؛ وهما:

ا - الخطبة الأولى: من العبارات التي تشير إلى ذلك: (الصدق أمانة)، (الكذب خيانة).
(أحسنْتُ فأعينوني)، (أخطأتُ فقوموني).

ب - الخطبة الرابعة: ومنها في هذا الخطاب: (تقديم العمل وترك الأمل). (الغدو بالروح، والمساء بالصباح).

ثانياً: المستوى الصوتي.

2 - 1 - توطئة: يعدّ الخليل بن أحمد الفراهيديّ أوّل من تطرّق إلى علم الصوتيات في معجمه الذي أسماه ب: (العين)، معتمداً في ذلك على مخارج الأصوات؛ حيث يتشكّل نطقها ابتداءً من الحلق مروراً باللسان إلى الف والأسنان ومخارج الهواء ومدخله بالأنف.

ومما جاء في كتابه العين؛ هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصريّ من حروف: ا، ب، ت، ث...، وهو مدار كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج عنها، ولا يشذّ عنها شيء، فأعمل فيها فكره، فلم يمكنه من أن يبتدئ التّأليف بأوّل الحروف؛ أي: (الألف) لأنّ الألف حرف معتلّ، ولما فاته الحرف الأوّل كره أن يبتدئ بالحرف الثاني، أي: (الباء)، فدبّر ونظر إلى الحروف الهجائية، فوجد بداية مخارج بعض حروفها من الحلق كالعين والحاء.¹

وقلب الخليل ترتيب الحروف (ا، ب، ت، ث...) فوضعها على قدر مخرجها من الحلق إلى الشّفتين؛ وهذا تأليفه: (ع، ح، هـ، خ، ق، ك، ج، ش، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، ا، ي، ء).²

وبهذا يكون الخليل بن أحمد الفراهيديّ السّباق إلى معرفة مخارج الحروف العربيّة ابتداءً من الحلق كالعين والحاء مروراً بالحنجرة إلى اللّهاة إلى الشّفتين والأنف.

2- 2 - أنواع الأصوات:

2- 2 - 1 - الأصوات المجهورة والمهموسة:

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيديّ أبو عبد الرّحمن: معجم العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، الجزء الأوّل، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى، ت ط: 1424 هـ / 2003 م، ص: 34.

² - نفسه، ص: 34...

أ - الجهر :

الجهر لغةً: ويعني الجهر في اللغة الإظهار والإعلان.

الجهر اصطلاحًا: الجهر في الاصطلاح، ويعني: (اهتزاز الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بها أثناء النطق بالصوت.)، والأصوات المجهورة في اللغة العربية تشمل:

- الصوامت:

"*العين،*الضاد،*الميم،*الواو،*الزاي،*النون،*الراء،*الغين،*الظاء،*الجيم،*الدال،*اللام،*الباء،*الذال،*الياء."¹، وتُجمعُ في قولنا: (بذر، زوج، عضد، غيظ، نمل).²

- الحركات: وتعرف لدى آخرين بالصوائت، وتشمل (الفتحة والكسرة والضمّة بنوعيهما القصير والطويل).³

ب - الهمس:

- الهمس لغةً: ونعني بالهمس في جانبه اللغويّ الإخفاء؛ وفي هذا يقول تعالى: ﴿

وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108)﴾.⁴

- الهمس اصطلاحًا: الهمس في الاصطلاح يعني: (عدم اهتزاز الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بها أثناء النطق بالصوت.) والأصوات المهموسة في اللغة العربية، هي: "*الثاء،*التاء،*الظاء،*الحاء،*الخاء،*السين،*الشين،*الصاد،*الفاء،*الكاف،*الهاء،*القاف،*الهمزة."⁵ وتُجمعُ في قولنا (أسكت قط فحته شخصًا).

2-2-2 - الأصوات الشديدة والرخوة:

أ- الشدة :

- الشدّة لغةً: من الدهر: مكارهه ومصائبه؛ أي: (ضيقه)، ومن الأرض: صلابتها، ومن

¹ - حازم عليّ كمال الدين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب - القاهرة - ط: 1، ت ط: 1420 هـ / 1999 م، ص: 36.

² - نفسه، ص: 36.

³ - نفسه، ص: 36. بتصرف.

⁴ - طه: 108.

⁵ - نفسه، ص: 37.

العيش: ضيقه وشظفه، ومن اليرد: قساوته.¹

- الشدّة اصطلاحاً: وفي الجانب الاصطلاحيّ نعني بها: (انحباس الهواء انحباساً كاملاً خلف أعضاء النطق، ثمّ تتفتح هذه الأعضاء، فيندفع الهواء المحبوس محدثاً نوعاً من الانفجار).² (*)

وفي هذا يقول عالم اللسانيات فرديناند دوسي سير أنه: "من المؤكّد أنّ كلّ عمليّة انفتاح ينبغي أن تكون مسبقة بعملية انغلاق".³

ب . الرخاوة:

- الرخاوة لغة: الرخو: أي، الهشّ من كلّ شيء، ويقال: الرخاء أي: اللين، نقول: ریح رخاء، أي: ریح لينّة. وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (36).⁴

- الرخاوة اصطلاحاً: ونعني بالرخاوة في جانبها الاصطلاحيّ: (وهي عمليّة الاحتكاك؛ أي:

مرور الهواء من منفذ يضيق نسبياً بحيث يحدث حفيفاً مسموعاً، ويمكن إدراك بعض الدلالات ذات المصطلحات النوعية ببعض الأصوات الرخوة مثل مصطلح (الصّفير) للزاي والسّين والصدّاد" و(التّقشّي: "للشّين)."⁵

2- 3 - مخارج الحروف وعددها:

- مفهوم المخرج:

المخرج لغة: وهو على وزن (مَفْعَلٌ)؛ ويعني محلّ الخروج.

المخرج اصطلاحاً: وهو محلّ خروج الحرف وتمييزه عن غيره، أو بعبارة أخرى هو الحيز

1 - عصام نور الدين: معجم نور الدين الوسيط، (عربيّ/عربيّ)، دار الكتاب العلميّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الثّانية: 2009 م، ص: 750.

2 - حازم علي كمال الدين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب - القاهرة - ط: 1، تاريخ الطّبع: 1420 هـ/ 1999 م، ص: 3. بتصرّف.

(*) ونستنتج ممّا سبق من هذا التعريف أنّ مرحلة انحباس الهواء في مجراه خلف أعضاء النّطق تعقبها مرحلة أخرى، وهي: مرحلة الانفجار بانندفاع الهواء من الرتئين نحو الخارج.

3 - نفسه، ص: 37.

4 - ص: 36.

5 - كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع. القاهرة. مصر، تاريخ النّشر: 2000 م، د، ط، ص: 126. بتصرّف.

الموآد للحرف، أو هو المحلّ الذي يعتمد عليه الحرف للخروج.¹

- مفهوم الحرف:

أ - الحرف لغة: هو طرف الشّيء.

ب - الحرف اصطلاحًا: وهو الصوت المعتمد على مخرج محقّق أو مقدّر.

والمخرج المحقّق؛ هو ما اعتمد على جزءٍ من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفتين.

والمخرج المقدّر هو الهواء الذي بداخل الحلق والفم؛ وهو مخرج حروف المدّ الثلاثة لأنها لا

تعتمد على شيءٍ من أجزاء الفم.²

طريقة معرفة المخرج: يعرف مخرج الحروف بتسكين الحرف أو تشديده، وإدخال همزة

الوصل (محرّكة) ، فحيث انقطع الصوت فهو مخرج ذلك الحرف؛ مثل: (اب، ات، اج) ...³

عدد المخارج: اختلف العلماء في تحديد مخارج الحروف؛ فذهب الإمام الفراء، وابن دريد،

وقطرب، وابن كيسان ... إلى أنّ عدد مخارج الحروف هي: (أربعة عشر) مخرجًا، وذهب

سبويه، وابن السراج، وابن جنّي، وغيرهم إلى أنّ عددها (ستة عشر) مخرجًا.

والصحيح الذي عليه المحققون، وعلى رأسهم الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي، وإليه

ذهب الكثير من القراء أنّ عدد المخارج هي سبعة عشر مخرجًا؛ وهذا على سبيل التقريب

لأنّ الحقيقة غير ذلك فلكلّ حرف مخرجه مخالفٌ لغيره من الحروف.⁴

أقسام مخارج الحروف: إنّ مخارج الحروف السبعة عشر؛ هي (خمسة) مخارج؛ وهي:

الجوف، الحلق، اللسان، الشفتان، الأنف).

أ - الجوف: والجوف هو الخلاء الداخلي في الحلق والفم؛ وهو مخرج مقدّر وليس مخرجًا

حقيقياً. وتخرج منه حروف المدّ الثلاثة؛ وهي: (الواو الساكنة المضموم ما قبلها، الياء

المكسور ما قبلها، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها)، وتسمّى هذه الحروف بالحروف

¹ - كريم راجح: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع، جمع وترتيب: عبد الكريم مقيدش، مكتبة: (إقرأ) ب: قسنطينة،

الجزائر، د ط، د ت، ص: 42.

² - نفسه، ص: 43.

³ - نفسه، ص: 43.

⁴ - نفسه، ص: 43، 44.

الهوائية، أو الجوفية.¹

ب - الحلق: وفيه ثلاثة مخارج لسته حروف؛ وهي:

- أقصى الحلق: ويخرج منه: (الهمزة، والهاء).
- وسط الحلق: وتخرج منه: العين(ع)، والحاء(ح).
- أدنى الحلق: وهو مما يلي الفم ، وتخرج منها الغين (غ)، والحاء (خ). وتسمى هذه بالحروف الحلقية.

ج- اللسان: للسان أربعة مواضع لخروج الحروف؛ وهي:

- طرف اللسان:
- حافتا اللسان:
- وسط اللسان:
- أقصى اللسان:

وفيها عشرة مخارج لثمانية عشر حرفاً.

- حروف طرف اللسان: وفيه خمسة مخارج لإحدى عشر حرفاً؛ وهي:

- طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا: وحروفه؛ هي: (الطاء، الدال، التاء) ² (*)
- طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا والسفلى: وتخرج منه ثلاثة أحرف؛ وهي: (الصاد، والسين، والزاي)، مع ما يحدث من انفراج قليل بين الأسنان العليا والسفلى. ³ (**)
- طرف اللسان مع ما يحاذيه من اللثة العليا: ويخرج منه حرف (التون)، وهو تحت مخرج اللام قليلاً. ⁴ (***)

¹ - السابق، ص: 44، 45. - بتصرف -

² - نفسه، ص: 45، 46.

(*) وتسمى أحرف: (الطاء، والدال، والتاء) بالحروف النطعية لمجاورة مخرجها نطق الحنك الأعلى؛ أي: ما يسمى ب: (الغار)

³ - نفسه، ص: 46.

(**) وتسمى هذه الحروف بالثوية لخروجها من قرب اللثة، وهي اللحم الذي تكب فيه الأسنان.

⁴ - نفسه، ص: 47.

(***) ويسمى حرف التون واللام بالحروف الدقية نسبة إلى خروجه من ذلق اللسان؛ وهو منتهى طرفه..

- طرف اللسان مع ظهره: ويخرج منه حرف الرّاء، وهو قريبٌ من مخرج النّون.
- حروف حافتي اللّسان: ويقصد بحافتي اللّسان (جانباها)، وفيهما مخرجان لحرفين؛ وهما:
- حرف الضّاد: ويخرج الضّاد (ض) من إحدى حافتي اللّسان مع ما يحاذيها من الأضرا العليا؛ أي: أنّ خروجه من الجهة اليسرى أسهل وأكثر استعمالاً، ومن الجهة اليمنى أصعب وأقلّ استعمالاً، كما يصحّ من كلتي الحافتين.
- حرف اللّام: ويخرج من أدنى حافة اللّسان إلى منتهى طرفه مع ما يحاذيه من اللّثة العليا.
- من وسط اللّسان: وفيه مخرج واحد لثلاثة أحرف؛ وهي: (الجيم، والشّين، والياء غير المدية).¹ (*)
- من أقصى اللّسان: وهو ما يلي الحلق؛ أي: (أبعده)؛ وفيه مخرجان لحرفين هما:
- حرف الكاف: ويخرج من أقصى اللّسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.
- حرف القاف: ويكون وراء مخرج الكاف.² (**)
- د- من الشّفتين: وفيهما مخرجان لأربعة أحرف؛ وهما:
- بطن الشّفة السفلى مع أطراف الثّنايا العليا: ويخرج منه حرف الفاء (ف).
- ما بين الشّفتين معا: ويخرج منه:
- حرف الميم (م) المظهرة: ويكون بانطباق الشّفتين.
- حرف الواو (و) غير المدية: ويكون بانفتاح الشّفتين.
- حرف الباء (ب): ويكون بانطباق الشّفتين انطباقاً أقوى.³

1- الأصوات من حيث: الجهز والهمس والشدة والرّخاوة.

¹- السابق ، ص: 48.

(*) ويقصد بوسط اللّسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وتسمّى هذه بالأحرف الشّجريّة نسبة إلى شجرة الفم.

²- نفسه، ص: 48، - بتصرّف -

(**) ويكون حرف الكاف أقرب إلى الشّفتين، بينما يكون حرف القاف أقرب إلى الحلق وأعلى، ويسميّان بالحروف

اللّهوية لخروجهما من اللّهاة؛ وهي تلك اللّحمة المشتبكة بآخر اللّسان.

³- نفسه، ص: 49.

الرقم	الجهر	الهمس	انفجاريّ (شديد)	احتكاكيّ (رخو)	أصوات متوسطة	أصوات مزدوجة
1		*الهمزة	*الهمزة			
2	*الباء		*الباء			
3		*الاء	*التاء			
4		*الاء		*التاء		
5	*الجيم					*الجيم
6		*الحاء		*الحاء		
7		*الخاء		*الخاء		
8	*الدال		*الدال			
9	*الدال			*الدال		
10	*الراء				*الراء	
11	*الزاي			*الزاي		
12		*السين		*السين		
13		*الشين		*الشين		
14		*الصاد		*الصاد		
15	*الضاد		*الضاد			
16		*الطاء	*الطاء			
17	*الظاء			*الظاء		
18	*العين			*العين		
19	*الغين			*الغين		
20		*الفاء		*الفاء		
21		*القاف	*القاف			
22		*الكاف	*الكاف			
23	*اللام				*اللام	
24	*الميم				*الميم	
25	*النون				*النون	

		*الهاء		*الهاء		26
	*الواو				*الواو	27
	*الياء				*الياء	28
1	6	13	8	13	15	المج
				28	28	م عام

ويمكن الإشارة إلى ذلك فيما يلي:

1 . نسبة تكرار الأصوات في الخطبة:

أ- كيفية حساب النسبة المئوية للأصوات = $\frac{\text{عدد الأصوات المكررة}}{100} * 100$
مجموع أصوات الخطبة.

ب . رسم جدول توضيحي لنسب تكرار الأصوات في الخطبة الأولى:

الجدول التوضيحي

الرقم	الصوت	العدد	النسبة المئوية	الرقم	الصوت	العدد	النسبة المئوية
1	ا	57	%17.81	15	ض	00	%00.00
2	ب	06	%01.87	16	ط	03	%00.93
3	ت	14	%04.37	17	ظ	00	% 00
4	ث	00	% 00	18	ع	14	%04.37
5	ج	01	%00.31	19	غ	01	%00.31
6	ح	08	%02.50	20	ف	14	%04.37
7	خ	03	%00.93	21	ق	11	%03.43
8	د	08	%02.50	22	ك	08	%02.50
9	ذ	03	%00.93	23	ل	47	%14.68
10	ر	06	%01.87	24	م	15	%04.68
11	ز	00	% 00	25	ن	16	%05.00
12	س	08	%02.50	26	هـ	19	%05.93
13	ش	03	%00.93	27	و	19	%05.93

14	ص	02	%00.62	28	ي	30	%0.93
----	---	----	--------	----	---	----	-------

مجموع الأصوات = 28 صوتاً.

مجموع الأصوات = 320، والنسبة المئوية = 100/100

أولاً: المستوى الصوتي للخطبة الأولى:

1 - 1: نوع الأصوات.

الرقم	الجهر	الهمس	شديد	رخو	صوت متوسط	صوت مزدوج
1		*الهمزة	*الهمزة			
2	*الباء		*الباء			
3		*التاء	*التاء			
4		*التاء		*التاء		
5	*الجيم					*الجيم
6		*الحاء		*الحاء		
7		*الخاء		*الخاء		
8	*الذال		*الذال			
9	*الذال			*الذال		
10	*الراء				*الراء	
11	*الزاي			*الزاي		
12		*السين		*السين		
13		*الشين		*الشين		
14		*الصاد		*الصاد		
15	*الضاد		*الضاد			
16		*الطاء	*الطاء			
17	*الظاء			*الظاء		
18	*العين			*العين		
19	*الغين			*الغين		

		*الفاء		*الفاء		20
			*القاف	*القاف		21
			*الكاف	*الكاف		22
		*اللام			*اللام	23
		*الميم			*الميم	24
		*النون			*النون	25
		*الهاء		*الهاء		26
		*الواو			*الواو	27
		*الياء			*الياء	28
1	6	13	8	13	15	المجموع
				28	28	م، عام

1- نوع الأصوات في الخطبة:

العدد	ص	العدد	ص، متو	العدد	ص، ر	العدد	ص، ش	العدد	ص، مه	العدد	ص، م	العدد	ص، ج	العدد	ص، ح	العدد	ص، خ	العدد	ص، د	العدد	ص، ذ	العدد	ص، ر	العدد	ص، ز	
						57	*	57	*																	
						06	*			06	*															
						14	*	14	*																	
				00	*			00	*																	
1												01	*													
				08	*			08	*																	
				03	*			03	*																	
						08	*			08	*															
				03	*					03	*															
		05	*							05	*															
				01	*					01	*															

				08	*			08	*			س
				04	*			04	*			ش
				02	*			02	*			ص
						03	*			03	*	ض
						03	*	03	*			ط
				00	*					00	*	ظ
				14	*					14	*	(ع)
				01	*					01	*	غ
				14	*			14	*			ف
						11	*	11	*			ق
						08	*	08	*			ك
		47	*							47	*	ل
		15	*							15	*	م
		16	*							16	*	ن
				19	*			19	*			هـ
		19	*							19	*	و
		30	*							30	*	ي
1		13		77		110		151		169		م
		2										
								320				م، ع

ص، مج = صوت مجهور . ص، مه = صوت مهموس .

ص، ش = صوت شديد . ص، مز = صوت مزدوج .

2-1: كيفة حساب نسبة الأصوات .

أ - كيفة حساب النسبة المئوية للأصوات = $\frac{\text{عدد الأصوات}}{\text{مجموع عدد الأصوات}} * 100\%$

مجموع عدد الأصوات .

- نسبة الأصوات المجهورة = $169 * 100\% = 52.81\%$ ومقسوم على (320) = 52.81 %

- نسبة الأصوات المهموسة = $151 * 100\% = 47.18\%$ ومقسوم على (320) = 47.18 %

التحقيق = $47.18 + 52.81 = 99.99\%$ ؛ أي حوالي: 100 %

- نسبة الأصوات الانفجارية (الشديدة) = $110 * 100\% = 34.37\%$ ومقسوم على (320) = 34.37 %

- نسبة الأصوات الاحتكاكية (الرّخوة) = $76 * 100\% = 23.75\%$ ومقسوم على (320) = 23.75 %

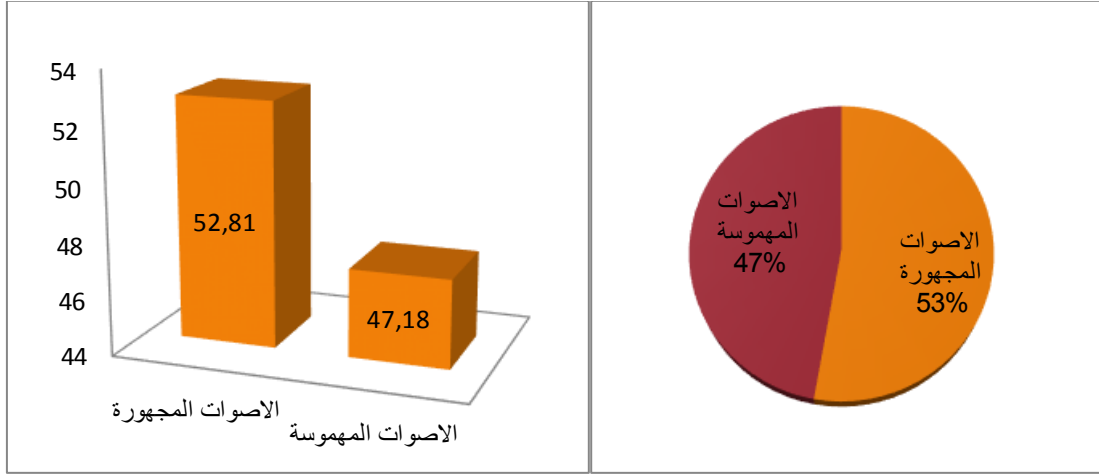
- نسبة الأصوات المتوسطة = $133 * 100\% = 41.56\%$ ومقسوم على (320) = 41.56 %

- نسبة الأصوات المزدوجة = $01 * 100\% = 0.31\%$ ومقسوم على (320) = 0.31 %

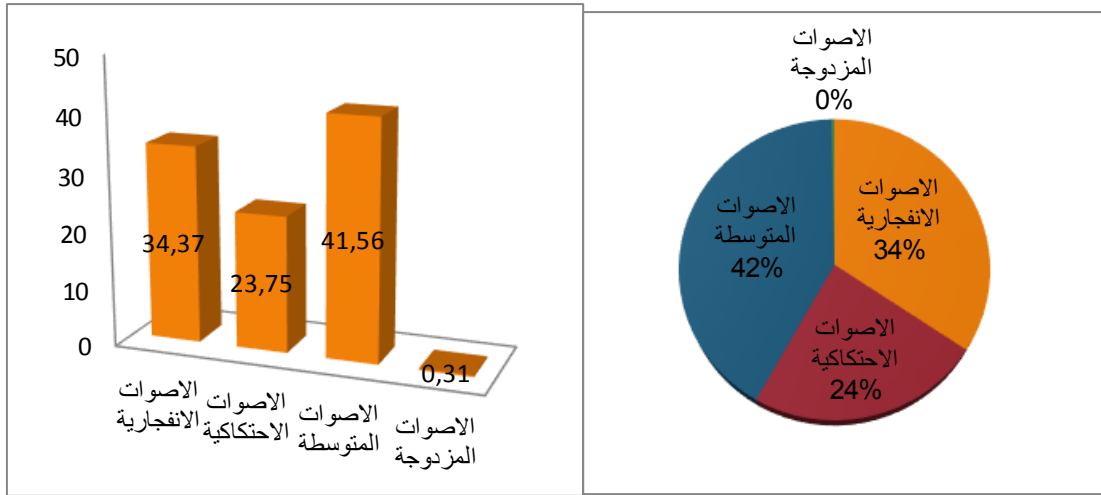
التّحقيق = $0.31 + 41.56 + 23.75 + 34.37 = 99.99\%$ ؛ أي حوالي: (100 %)

ب - التّمثيل البيانيّ للأصوات:

- التّمثيل البيانيّ للأصوات المجهورة والمهموسة:



- التّمثيل البيانيّ للأصوات الانفجارية والاحتكاكية والمتوسطة:



- الخلاصة: بعد هذه الدراسة القصيرة للجانب الصوتي للخطبة الأولى يتضح ما يلي:
- عدد الأصوات المجهورة: وصل عدد الأصوات المجهورة فيها إلى: 169 صوتاً. (*)
- عدد الأصوات المهموسة: وصل عدد الأصوات المهموسة فيها إلى: 151 صوتاً؛ أي بمجموع: 320 صوتاً (مجهوراً ومهموساً).
- كما تخلّلت هذه الخطبة: (الشدة في بعض ما جاء فيها، في حين تميّز بعضها بالرّخاوة.)؛ حيث بلغ عدد الأصوات الشديدة (110) صوتاً؛ وهذا بنسبة: (34.37) %.
- بينما بلغ عدد الأصوات الرّخوة (76) صوتاً؛ أي: بنسبة: (23.75) %.
- في حين بلغ عدد الأصوات المتوسطة (133) صوتاً؛ أي بنسبة: 41.56 بالمائة.
- أمّا الأصوات المزدوجة فقد بلغ عددها صوتاً واحداً (01) فقط؛ أي بنسبة: (0.31) %.
- كما أنّ الأصوات التي تتميز بالصفير أثناء النطق بها كانت موجودة على مسرح أحداث هذه الخطبة الهامة كالسّين والصّاد، وقد بلغت (9) تسعة أصواتٍ.
- ووصل عدد الكلمات المدغمة في بعض حروفها، (اسم الجلالة: الله) إلى: 24 كلمة
- وقد كان عدد حروف المدّ بحركة واحدة كالهَمْزة (داخل الكلمة: مثل كلمة: أمانة، أو خيانة.)، أو في بداية الكلمة، مثل كلمة: آخذ (21) حرفاً.
- في حين بلغ عدد همزات الوصل: 16 همزةً، بينما بلغ عدد همزات القطع: 20 همزةً. وبهذا نستنتج أنّ هذه الخطبة:
- كثر فيها استعمال الأصوات التي تميّز بالجهر أكثر من الأصوات التي تميّز بالهمس؛ والتي اختلفت من حيث شدّتها ورخاوتها، لكنّ الشدّة كانت أكثر استعمالاً من الرّخاوة.
- كما وجد فيها استعمال بعض الحروف ذات الأصوات المختلف عنها بين القدماء

والمحدثين مثل: الطّاء والقاف، وحروف الإطباق الأربعة المعروفة: (الصّاد، الضّاد، الطّاء، الظّاء)، و تلك الّتي اكتسبت صفة الإطباق والتّخيم في السّياق، وهي (القاف والغين والخاء واللام والرّاء) في حالاتٍ معيّنة فقط.¹

والملاحظ على هذه الخطبة أنّه لم يُستخدَم فيها أصوات التّخيم بكثرة، والأصوات الثلاثة (القاف والغين والخاء) مضمومة إلى أصوات الإطباق (الصّاد والضّاد والطّاء والظّاء)؛ وهي ما تعرف بحروف الاستعلاء قديماً؛ وفي هذا يقول ابن الجزريّ: "والاستعلاء من صفات القوّة، وهي سبعة أحرف يجمعها قولنا: (قط خص ضغط)، وهي حروف التّخيم على الصّواب." ² (*)

ثانياً: المستوى الصّوتيّ في الخطبة الثانية:

جدول الأصوات من حيث: (الجهرُ والهَمْسُ والشدّةُ والرّخاوةُ).

الرقم	الجهر	الهَمْس	انفجاريّ (شديد)	احتكاكيّ (رخو)	أصوات متوسّطة	أصوات مزدوجة
1		*الهَمْزة	*الهَمْزة			
2	*الباء		*الباء			
3		*التاء	*التاء			
4		*التاء		*التاء		

¹- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة - مصر، تاريخ الطّباعة: 2006 م، د ط، ص: 398. - بتصرّف -

²- نفسه، ص: 401. - بتصرّف -

(*) وعلى كلّ حال فإنّ هذه الخطبة تشكّل في طيّاتها من حيث المستوى الصّوتيّ مغزى هاماً في حياة الأمة الإسلاميّة لأنّها كانت محاولةً لتجسيد الحكم الشّوريّ في الإسلام، وكانت دعوةً لمناهضة الطّبقيّة ودعوةً لتحقيق العدالة الاجتماعيّة، وأمراً صارماً لمحاربة الآفات الاجتماعيّة؛ مثل: (فاحشة الزنى) لما لها من آثارٍ سلبيةٍ على الفرد والمجتمع على حدّ سواء، كما كانت دعوةً لقتال النّائين للأمة الإسلاميّة الفتيّة آنذاك. وكان الموقف حرجاً يمثّل وفاة النّبيّ ﷺ، وكان لم يوار الثّرى بعد، والأمر بهمّ مصير أمةٍ كاملةٍ فالشّعوب على دين ملوكها، وحاشا لله أن يكون الحاكم قد قصد الخلافة لذاتها؛ بل خدمة الإسلام والمسلمين بعد التحاق النّبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى، والأدلة التاريخيّة كثيرةٌ على ذلك، وهي شاهدة على سيرته الحسنة في خدمة الإسلام والمسلمين، ولعلّ أكبر شاهدٍ على ذلك ما قاله لعمر بن الخطّاب. رضي الله عنه. في ردعه للمرتدين عن الإسلام، ومحاولة ردّهم إلى حظيرته بعد وفاة النّبيّ ﷺ " والله لو منعوني عقلاً كانوا يدفعونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه".

5	*الجيم				*الجيم
6		*الحاء		*الحاء	
7		*الخاء		*الخاء	
8			*الذال		*الذال
9		*الذال			*الذال
10	*الراء				*الراء
11		*الزاي			*الزاي
12		*السين		*السين	
13		*الشين		*الشين	
14		*الصاد		*الصاد	
15			*الضاد		*الضاد
16			*الطاء		*الطاء
17		*الظاء			*الظاء
18		*العين			*العين
19		*الغين			*الغين
20		*الفاء		*الفاء	
21			*القاف		*القاف
22			*الكاف		*الكاف
23	*اللام				*اللام
24	*الميم				*الميم
25	*النون				*النون
26		*الهاء		*الهاء	
27	*الواو				*الواو
28	*الياء				*الياء
المجموع	15	13	8	13	1
مج/عام	28	28			6

1- نوع الأصوات في الخطبة:

أ- جدول الأصوات المجهورة والمهموسة:

العدد	الأصوات المهموسة	العدد	الأصوات المجهورة	الحروف
120	*			الألف (أ)
		18	*	الباء (ب)
36	*			التاء (ت)
02	*			الثاء (ث)
		05	*	الجيم (ج)
12	*			الحاء (ح)
05	*			الخاء (خ)
		11	*	الدال (د)
		06	*	الذال (ذ)
		29	*	الراء (ر)
		07	*	الزاي (ز)
10	*			السين (س)
05	*			الشين (ش)
02	*			الصاد (ص)
		03	*	الضاد (ض)
02	*			الطاء (ط)
		03	*	الظاء (ظ)
		24	*	العين (ع)
		10	*	الغين (غ)
22	*			الفاء (ف)
16	*			القاف (ق)
18	*			الكاف (ك)

		103	*	اللّام (ل)
		41	*	الميم (م)
		46	*	النون (ن)
19	*			الهاء (هـ)
		38	*	الواو (و)
		56	*	الياء (ي)
269		400		المجموع
669				المجموع العامّ

ب - جدول الأصوات الشديدة و الرخوة والمتوسطة...

- ص، ش = صوت شديد، أو انفجاريّ.
- ص، ر = صوت رخو، أو احتكاكيّ.

العدد	ص، مزدج	العدد	ص، متوسط	العدد	ص، رخو	العدد	ص، ش	الحروف
						120	*	الألف
						18	*	الباء
						36	*	التاء
				02	*			الثاء
05	*							الجيم
				12	*			الحاء
				05				الخاء
						11	*	الدال
				06	*			الذال
		29	*					الراء
				07	*			الزاي
				10	*			السين
				05	*			الشين

				02	*			الصّاد
						03	*	الضّاد
						02	*	الطّاء
				03	*			الظّاء
				24	*			العين
				10	*			الغين
				22	*			الفاء
						16	*	القاف
						18	*	الكاف
		103	*					اللام
		41	*					الميم
		46	*					النون
				19	*			الهاء
		38	*					الواو
		56	*					الياء
05		313		127		242		المجموع
								المجموع العام
								669 صوتاً.

2- كيفية حساب نسبة الأصوات:

كيفية حساب النسبة المئوية للأصوات = $\frac{\text{عدد الأصوات}}{669} * 100\%$

مجموع عدد الأصوات: 669.

- نسبة الأصوات المجهورة = $\frac{400}{669} * 100\% = 59.75\%$.

669

- نسبة الأصوات المهموسة = $\frac{269}{669} * 100\% = 40.20\%$.

669

التحقيق = 59.75 + 40.20 = 100 %.

-نسبة الأصوات الانفجارية (الشديدة) = 224 * 100 %، ومقسّم على (669) = 33.48 %.

-نسبة الأصوات الاحتكاكية (الرخوة) = 127 * 100 %، ومقسّم على (669) = 18.98 %.

-نسبة الأصوات المتوسطة = 313 * 100 %، ومقسّم على (669) = 46.78 %.

-نسبة الأصوات المزدوجة = 05 * 100 %، ومقسّم على (669) = 0.74 %.

التحقيق = 33.48 + 18.98 + 46.78 + 0.74 = (99.98)؛ أي حوالي (100%)

ويمكن الإشارة يلي:

1 -نسبة تكرار الأصوات في الخطبة:

أ - كيفية حساب النسبة المئوية للأصوات = عدد الأصوات المكررة * 100%؛ أي: مجموع أصوات الخطبة.

ب - رسم جدول توضيحي لنسب تكرار الأصوات في الخطبة الثانية:

الجدول التوضيحي:

الرقم	الصوت	العدد	النسبة المئوية	الرقم	الصوت	العدد	النسبة المئوية
1	ا	120	%17.93	15	ض	03	%00.44
2	ب	18	%02.69	16	ط	02	%00.29
3	ت	36	%05.38	17	ظ	03	%00.44
4	ث	02	%00.29	18	ع	24	%03.58
5	ج	05	%00.74	19	غ	10	%01.49
6	ح	12	%01.79	20	ف	22	%03.28
7	خ	05	%00.74	21	ق	16	%02.39
8	د	11	%01.64	22	ك	18	%02.69
9	ذ	06	%00.89	23	ل	103	%15.39
10	ر	29	%04.33	24	م	41	%06.12

11	ز	07	%01.04	25	ن	46	%06.87
12	س	10	%01.49	26	هـ	19	%02.84
13	ش	05	%00.74	27	و	38	%05.68
14	ص	02	%00.29	28	ي	56	%08.37

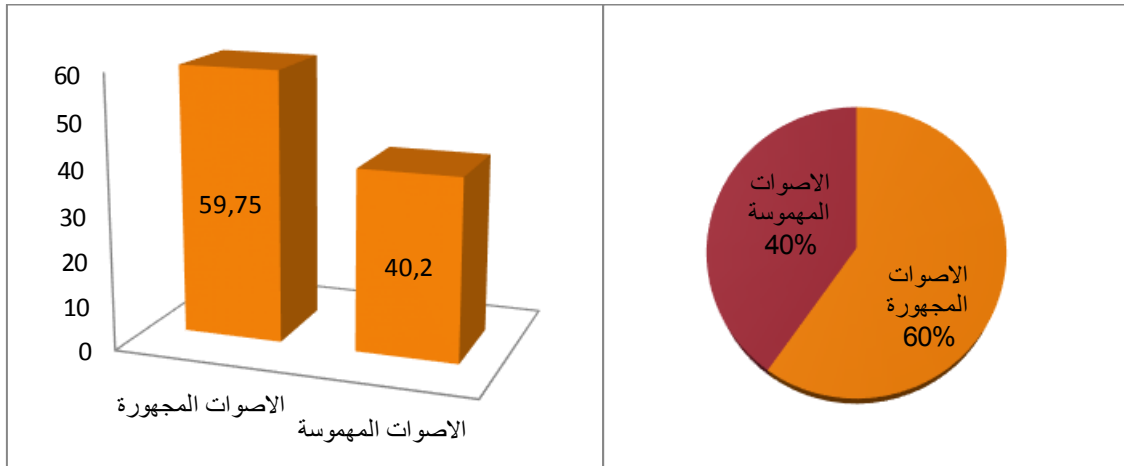
مجموع الأصوات = 28 صوتاً.

مجموع الأصوات = 669

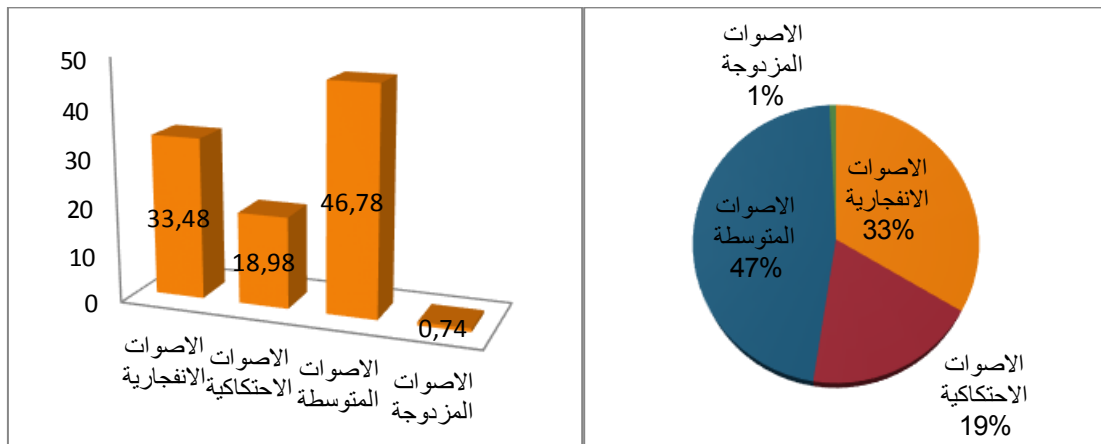
النسبة المئوية = 100 %.

2 - التمثيل البياني للأصوات المستعملة في الخطبة:

- التمثيل البياني للأصوات المجهورة والمهموسة:



- التمثيل البياني للأصوات الانفجارية والاحتكاكية والمتوسطة:



- الخلاصة:

من خلال هذه الدراسة القليلة للجانب الصوتي للخطبة الثانية؛ يتضح أنه:

بلغ مجموع الأصوات لهذه الخطبة (669) صوتاً.

بلغ عدد الأصوات المجهورة (400) صوتاً؛ أي بنسبة: (59.75) %.

ووصل عدد الأصوات المهموسة فيها إلى (269) صوتاً؛ أي بنسبة: (40.20) %.

في حين بلغ عدد الأصوات الانفجارية (224) صوتاً؛ أي بنسبة: (33.48) %.

أما عدد الأصوات المتوسطة فكان (313) صوتاً؛ أي بنسبة: (46.78) %.

وكان عدد الأصوات المزدوجة (05) خمسة أصوات؛ أي بنسبة: (0.74) %.

وبهذا يمكن أن نقول أن هذه الخطبة يغلب عليها طابع الجهر على الهمس، وطابع الشدة

على الرخاوة في حين غلب طابع التوسط على الازدواجية.

والأصوات الغالبة على هذه الخطبة هي أصوات مجهورة، وشديدة انفجارية؛ مما يدل دلالة

قطعية على وجوب الالتجاء إلى الله تعالى في تحقيق النشاط في العمل الصالح والثبات باليقين

والبر والتقوى وإصلاح الساعات وتجنب الشبهات.

ثالثاً: المستوى الصوتي في الخطبة الثالثة:

جدول الأصوات من حيث: (الجهر والهمس والشدة والرخاوة).

الرقم	الجهر	الهمس	انفجاري (شديد)	احتكاكي (رخو)	أصوات متوسطة	أصوات مزدوجة
1		*الهمزة	*الهمزة			
2	*الباء		*الباء			
3		*التاء	*التاء			
4		*التاء		*التاء		
5	*الجيم					*الجيم
6		*الحاء		*الحاء		
7		*الخاء		*الخاء		
8	*الدال		*الدال			
9	*الذال			*الذال		
10	*الراء				*الراء	

		*الزاي			*الزاي	11
		*السين		*السين		12
		*الثين		*الثين		13
		*الصاد		*الصاد		14
			*الضاد		*الضاد	15
			*الطاء	*الطاء		16
		*الظاء			*الظاء	17
		*العين			*العين	18
		*الغين			*الغين	19
		*الفاء		*الفاء		20
			*القاف	*القاف		21
			*الكاف	*الكاف		22
	*اللام				*اللام	23
	*الميم				*الميم	24
	*النون				*النون	25
		*الهاء		*الهاء		26
	*الواو				*الواو	27
	*الياء				*الياء	28
1	6	13	8	13	15	المج موع
			28			28
						مج/ عام

1 - نوع الأصوات في الخطبة الثالثة:

جدول الأصوات المجهورة والمهموسة.

العدد	الأصوات المهموسة	العدد	الأصوات المجهورة	الحروف
98	*			الألف
		19	*	الباء

24	*			التاء
04	*			الثاء
		02	*	الجيم
08	*			الحاء
06	*			الخاء
		09	*	الدال
		01	*	الذال
		27	*	الراء
		01	*	الزاي
03	*			السين
03	*			الشين
03	*			الصاد
		04	*	الضاد
03	*			الطاء
		01	*	الظاء
		08	*	العين
		06	*	الغين
13	*			الفاء
07	*			القاف
11	*			الكاف
		58	*	اللام
		34	*	الميم
		24	*	النون
18	*			الهاء
		26	*	الواو
		25	*	الياء
200		245		المجموع

مج/ عام	445 صوتًا.
---------	------------

جدول الأصوات الشديدة والزخوة والمتوسطة..

الحروف	صوت شديد	العدد	صوت رخو	العدد	صوت متوسط	العدد	صوت مزدوج	العدد
(ا)	*	98						
(ب)	*	19						
(ت)	*	24						
(ث)			*	04				
(ج)							02	
(ح)			*	08				
(خ)			*	06				
(د)	*	09						
(ذ)			*	01				
(ر)					*	27		
(ز)			*	01				
(س)			*	03				
(ش)			*	02				
(ص)			*	03				
(ض)	*	04						
(ط)	*	03						
(ظ)			*	01				
(ع)			*	08				
(غ)			*	06				
(ف)			*	13				
(ق)	*	07						

					11	*	(ك)
		58	*				(ل)
		34	*				(م)
		24	*				(ن)
				18	*		(هـ)
		26	*				(و)
		25	*				(ي)
02		194		74		175	المجموع
						445	المجموع العام

2 - كيفية حساب نسبة الأصوات في الخطبة:

كيفية حساب النسبة المئوية للأصوات = $\frac{\text{عدد الأصوات}}{445} * 100\%$.

مجموع عدد الأصوات: (445) صوتاً.

- أ - نسبة الأصوات المجهورة = $\frac{\text{عدد الأصوات}}{445} * 100\%$ من مجموع عدد الأصوات.
- نسبة الأصوات المجهورة = $245 = 100\% * 55.05\%$.
- نسبة الأصوات المهموسة = $200 = 100\% * 44.94\%$.
- التحقيق = $55.05 + 44.94 = 99.99$ ؛ أي حوالي: (100%).
- نسبة الأصوات الانفجارية (الشديدة) = $175 = 100\% * 39.32\%$.
- نسبة الأصوات الاحتكاكية (الرّخوة) = $74 = 100\% * 16.62\%$.
- نسبة الأصوات المتوسطة = $194 = 100\% * 43.59\%$.
- نسبة الأصوات المزدوجة = $02 = 100\% * 0.44\%$.
- التّحقيق = $39.32 + 16.62 + 43.59 + 0.44 = 99.97$ ؛ أي حوالي 100 %.

ويمكن الإشارة إلى ما يلي:

1. نسبة تكرار الأصوات في الخطبة:

- أ - كيفية حساب النسبة المئوية للأصوات = $\frac{\text{عدد الأصوات المكررة}}{445} * 100\%$ ؛ و مقسّمة على مجموع أصوات الخطبة؛ أي: (445 صوتاً).

ب . رسم جدول توضيحي لنسب تكرار الأصوات في الخطبة الأولى:

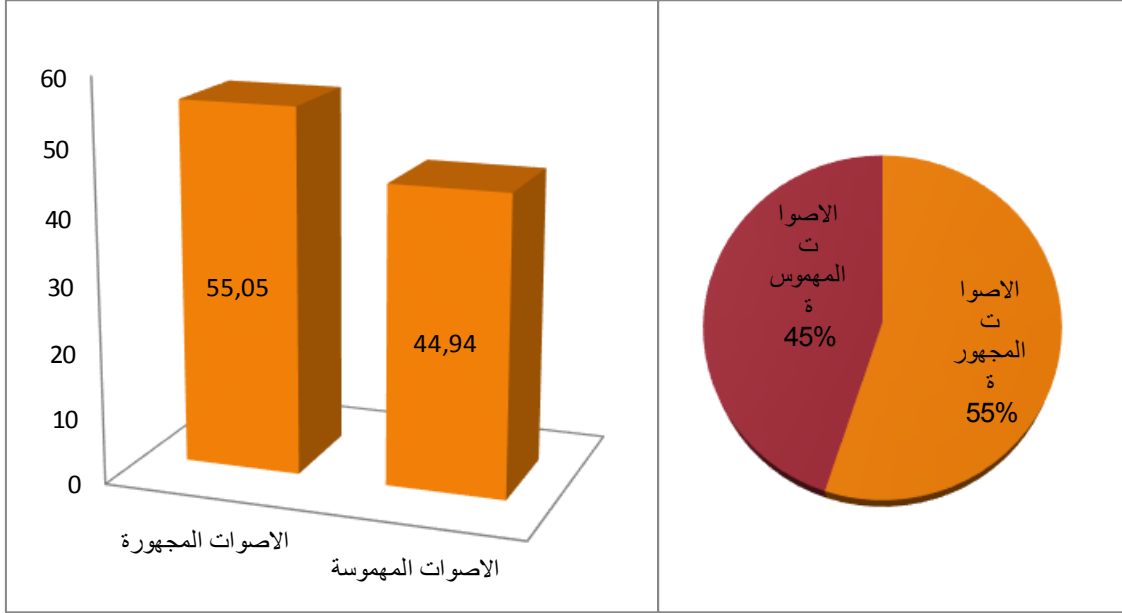
الجدول التوضيحي.

النسبة المئوية	العدد	الصوت	الرقم	النسبة المئوية	العدد	الصوت	الرقم
%00.89	04	ض	15	%22.02	98	ا	1
%00.93	03	ط	16	%04.26	19	ب	2
%00.22	01	ظ	17	%05.39	24	ت	3
%01.79	08	ع	18	%00.89	04	ث	4
%01.34	06	غ	19	%00.44	02	ج	5
%02.92	13	ف	20	%01.79	08	ح	6
%01.57	07	ق	21	%01.34	06	خ	7
%02.47	11	ك	22	%02.02	09	د	8
%13.03	58	ل	23	%00.22	01	ذ	9
%07.64	34	م	24	%06.06	27	ر	10
%05.39	24	ن	25	%00.22	01	ز	11
%04.04	18	هـ	26	%00.67	03	س	12
%05.84	26	و	27	%00.44	02	ش	13
%05.61	25	ي	28	%00.93	03	ص	14

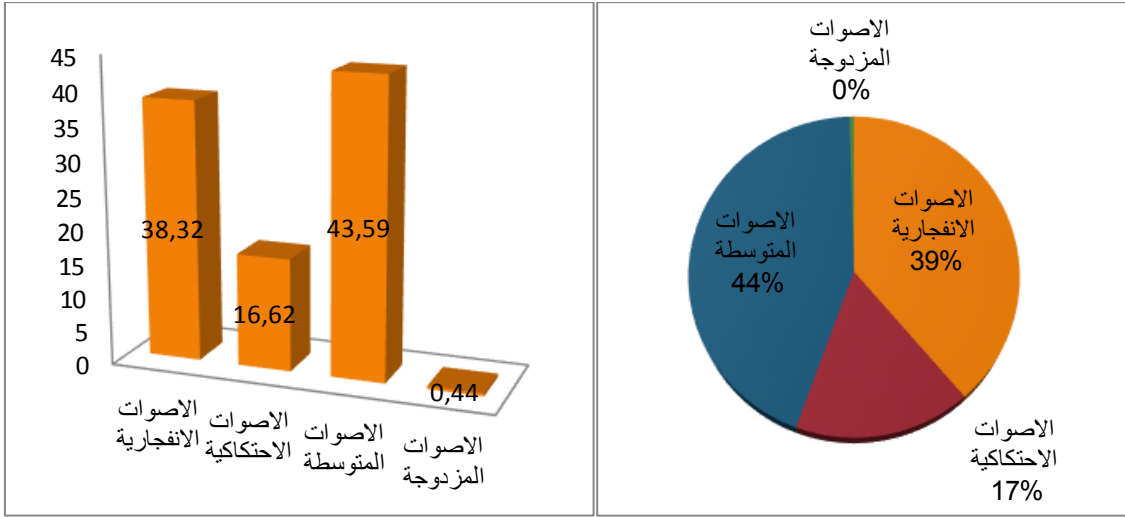
مجموع الأصوات = 28 صوتاً. ومجموع الأصوات = 445، والنسبة المئوية = 1/100

2 - التمثيل البياني للأصوات:

– التمثيل البياني لأصوات المجهورة والمهموسة:



– التمثيل البياني لأصوات الانفجارية والاحتكاكية والمتوسطة:



– الخلاصة:

- بلغ عدد الأصوات المجهورة: 245، أي بنسبة: 55.05%.
- في حين فقد بلغ عدد الأصوات المهموسة: 200، أي: بنسبة: 44.94%.
- وبلغ عدد الأصوات الشديدة؛ أي: (الانفجارية): 175، أي بنسبة: 39.32%.
- أمّا عدد الأصوات الرخوة؛ أي: (الاحتكاكية): 74 صوتاً، أي بنسبة: 16.62%.
- وكان عدد الأصوات المتوسطة: 194 صوتاً، أي بنسبة: 43.59%.
- وبلغ عدد الأصوات المزدوجة: 02 (صوتين فقط)، أي بنسبة: 0.44%.

- وبهذا فالأصوات الأكثر استعمالاً في هذا الخطاب هي: المجهورة بالنسبة لعملية الجهر والهمس.
- أمّا بالنسبة للشدة والرخاوة فالأصوات الشديدة الانفجارية هي الأكثر استعمالاً، غير أنّها أقلّ من الأصوات المتوسطة.
- وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أنّ ما جاء في هذه الخطبة شيءٌ هامّ لا يستهان به؛ وهو الدّعوة إلى التمسك بالأخلاق الحميدة التي ترضي الله تبارك تعالى ورسوله، وكذا العباد.

رابعاً: المستوى الصوتي في الخطبة الرابعة:

الأصوات من حيث: (الجهز والهمس والشدة والرخاوة).

الرقم	الجهر	الهمس	انفجاريّ (شديد)	احتكاكيّ (رخو)	أصوات متوسطة	أصوات مزدوجة
1		*الهمزة	*الهمزة			
2	*الباء		*الباء			
3		*التاء	*التاء			
4		*التاء		*التاء		
5	*الجيم					*الجيم
6		*الحاء		*الحاء		
7		*الخاء		*الخاء		
8	*الذال		*الذال			
9	*الذال			*الذال		
10	*الراء				*الراء	
11	*الزاي			*الزاي		
12		*السين		*السين		
13		*الشين		*الشين		
14		*الصاد		*الصاد		
15	*الضاد		*الضاد			

			*الطاء	*الطاء		16
		*الظاء			*الظاء	17
		*العين			*العين	18
		*الغين			*الغين	19
		*الفاء		*الفاء		20
			*القاف	*القاف		21
			*الكاف	*الكاف		22
	*اللام				*اللام	23
	*الميم				*الميم	24
	*النون				*النون	25
		*الهاء		*الهاء		26
	*الواو				*الواو	27
	*الياء				*الياء	28
1	6	13	8	13	15	المجموع
			28		28	مجموع عام

1 - نوع الأصوات في الخطبة:

1 - جدول الأصوات المجهورة والمهموسة:

العدد	الأصوات المهموسة	العدد	الأصوات المجهورة	الحروف
98	*			الألف
		19	*	الباء
24	*			التاء
04	*			الثاء
		02	*	الجيم
08	*			الحاء
06	*			الخاء
		09	*	الدال

الباب الثاني/ الفصل الثاني: الخصائص الأسلوبية للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.

		01	*	الذال
		27	*	الراء
		01	*	الزاي
03	*			السين
02	*			الشين
03	*			الصاد
		04	*	الضاد
03	*			الطاء
		01	*	الظاء
		08	*	العين
		06	*	الغين
13	*			الفاء
07	*			القاف
11	*			الكاف
		58	*	اللام
		34	*	الميم
		24	*	النون
18	*			الهاء
		26	*	الواو
		25	*	الياء
200		245		المجموع
				المجموع العام 445 صوتاً.

ب - جدول الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة ...

العدد	صوت مزدوج	العدد	صوت متوسط	العدد	صوت رخو	العدد	صوت شديد	الحروف
						144	*	(ا)

						42	*	(ب)
						38	*	(ت)
				03	*			(ث)
11								(ج)
				12	*			(ح)
				03	*			(خ)
						09	*	(د)
				02	*			(ذ)
		38	*					(ر)
				02	*			(ز)
				16	*			(س)
				06	*			(ش)
				04	*			(ص)
						01	*	(ض)
						06	*	(ط)
				02	*			(ظ)
				20	*			(ع)
				06	*			(غ)
				16	*			(ف)
						23	*	(ق)
						23	*	(ك)
		96	*					(ل)
		50	*					(م)
		26	*					(ن)
				24	*			(هـ)
		44	*					(و)
		51	*					(ي)

11		305		110		292		المجموع
								المجموع العام
								718

2 - كيفية حساب نسبة الأصوات:

كيفية حساب النسبة المئوية للأصوات = $\frac{\text{عدد الأصوات}}{718} * 100\%$

مجموع عدد الأصوات: (718).

أ - نسبة الأصوات المجهورة = $\frac{\text{عدد الأصوات}}{718} * 100\%$ ، مقسومة على مجموع عدد الأصوات .

ب - نسبة الأصوات المجهورة = $400 * 100\% = 55.71\%$.

ج - نسبة الأصوات المهموسة = $318 * 100\%$ ، ومقسمة على (718) = 44.28% .

التحقيق = $44.28 + 55.71 = 99.99$ ؛ أي حوالي: (10 %).

- نسبة الأصوات الانفجارية (الشديدة) = $292 * 100\%$ ، ومقسمة على (718) = 40.66% .

- نسبة الأصوات الاحتكاكية (الرّخوة) = $110 * 100\%$ ، ومقسمة على (718) = 15.32% .

- نسبة الأصوات المتوسطة = $305 * 100\%$ ، ومقسمة على (718) = 42.47% .

- نسبة الأصوات المزدوجة = $11 * 100\%$ ، ومقسمة على (718) = 1.53% بالمائة.

التّحقيق = $(40.66 + 15.32 + 42.47 + 1.53) = 99.98$ ؛ أي: حوالي (100 %)

ويمكن الإشارة يلي:

1 . نسبة تكرار الأصوات في الخطبة:

أ . كيفية حساب النسبة المئوية للأصوات = $\frac{\text{عدد الأصوات المكررة}}{718} * 100\%$ ، مقسومة

على مجموع أصوات الخطبة (718).

ب . رسم جدول توضيحي لنسب تكرار الأصوات في الخطبة الأولى:

الجدول التوضيحي:

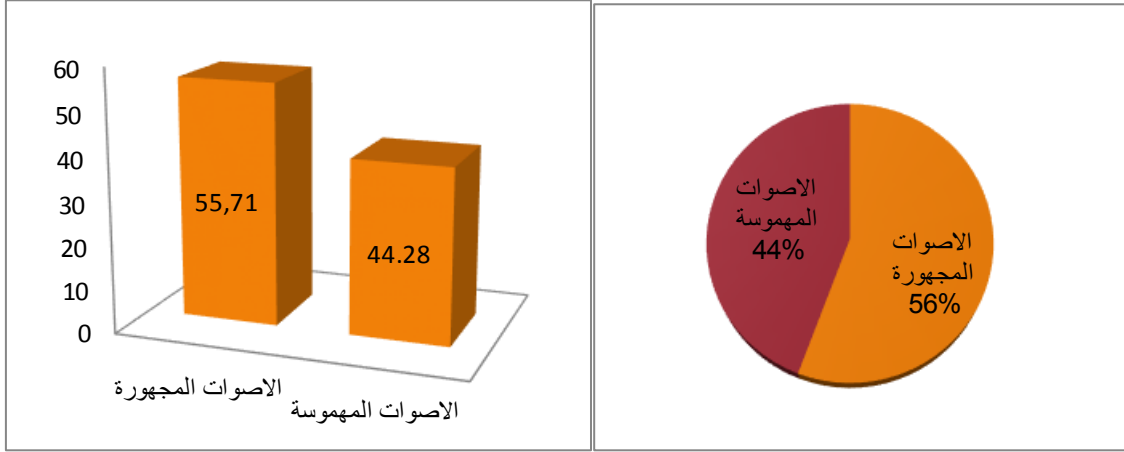
النسبة المئوية	العدد	الصوت	الرقم	النسبة المئوية	العدد	الصوت	الرقم
%00.00	00	ض	15	%17.81	57	ا	1
%00.93	03	ط	16	%01.87	06	ب	2
% 00	00	ظ	17	%04.37	14	ت	3
%04.37	14	ع	18	% 00	00	ث	4
% 00.31	01	غ	19	% 00.31	01	ج	5
% 04.37	14	ف	20	% 02.50	08	ح	6
%03.43	11	ق	21	%00.93	03	خ	7
%02.50	08	ك	22	% 02.50	08	د	8
%14.68	47	ل	23	% 00.93	03	ذ	9
%04.68	15	م	24	%01.87	06	ر	10
%05.00	16	ن	25	% 00	00	ز	11
%05.93	19	هـ	26	%02.50	08	س	12
%05.93	19	و	27	%00.93	03	ش	13
%0.93	30	ي	28	% 00.62	02	ص	14

مجموع الأصوات = 28 صوتاً.

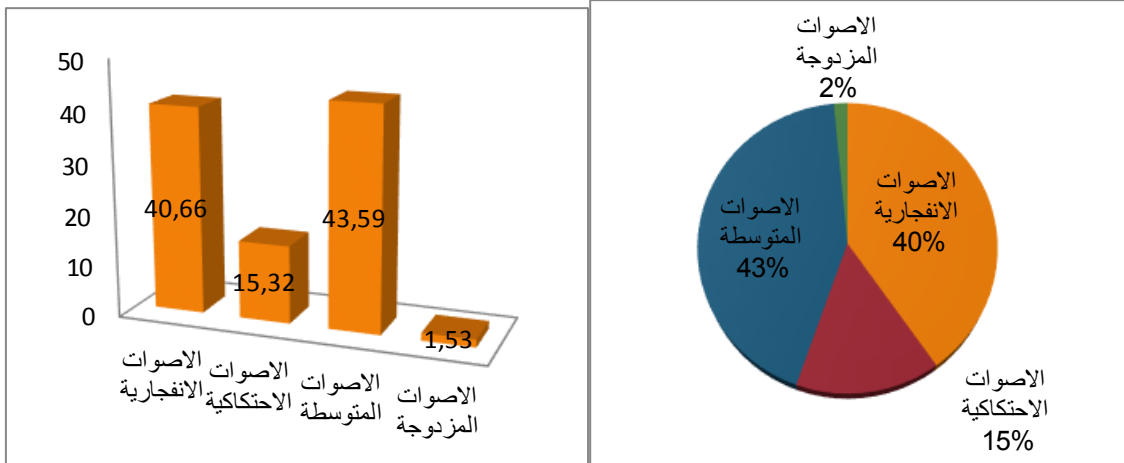
مجموع الأصوات = 718 النسبة المئوية = 100 بالمائة.

2 - التمثيل البياني للأصوات:

أ - التمثيل البياني للأصوات المجهورة والمهموسة:



ب- التمثيل البياني للأصوات الانفجارية والاحتكاكية والمتوسطة:



الخلاصة:

بلغ عدد الأصوات المجهورة: 400 صوتاً، أي بنسبة: 55.71%.
 وبلغ عدد الأصوات المهموسة: 318 صوتاً، أي بنسبة 44.28%.
 كما بلغ عدد الأصوات الشديدة (الانفجارية): 292 صوتاً، أي بنسبة: 40.66%.
 ووصل عدد الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) إلى: 110 صوتاً، أي بنسبة: 15.32%.
 بينما وصل عدد الأصوات المتوسطة إلى 305 صوتاً، أي بنسبة: 43.59%.
 وكان عدد الأصوات المزدوجة 11 صوتاً، أي بنسبة: 01.53%.

وهو ما يفسّر أنّ نسبة تمثيل الأصوات المجهورة كان أكبر من نسبة تمثيل الأصوات المهموسة، كما أنّ نسبة تمثيل الأصوات الشديدة (الانفجارية) أكبر من الأصوات الرخوة (الاحتكاكية)، غير أنّها أقلّ من الأصوات المتوسطة.

ومن الدلالات القطعية لهذه الخطبة الهامة؛ أنّها دعوة إلى تحقيق التقوى ولزوم طاعة المولى عزّ وجلّ عن طريق الإلتزام بأوامره، والابتعاد عن نواهيه، ممّا يؤدي إلى الفوز باليقين في الحياة الدّنيا وبالنعيم المقيم في عالم الآخرة.

الخلاصة العامة:

إنّ اللفظ بناءً صوتيٍّ يثمر في تربة النطق به بالصّدور عن الوعي والإحساس عن نوع من الثمر الذي يجمع بين شيئين اثنين في نتاجه؛ وهما: (كيفية النطق به، والمعنى المقصود منه)؛ وهو الذي تتبناه تلك الكيفية ممّا يكون الصّوت والفكرة متلازمين في التعبير؛ حيث يكون اللفظ كلمةً، فجملةً، ففقرةً فكلّما ذا بثّ صادرٍ عن أغراض النّاس؛ وهذا ما تفسّره عناية الأسلوبية التعبيرية بوظيفتين لغويتين؛ وهما:

1 - التعبير عن الفكر.

2 - التعبير عن الوجدان.

أو في قراءة أخرى تقرّأ لغة العقل ولغة الوجدان في علاقاتهما المتبادلة، وهو ما شاع في الدّرس الأسلوبيّ لدى شارل بالي بشكلٍ خاصّ وظلّ ممتدّاً إلى يومنا هذا.¹

وفي مستهل الخطب الأربعة هناك تكثيفٌ للحظة الحاضرة بنبرة صوتيةٍ تعتمد على الفعل المضارع خمس مرّاتٍ؛ وهي: (نحمده، نستعينه، نستغفره، نتوب إليه، ونعوذ به).²

وقد حفلت الخطب الأربعة بإمكانيات صوتيةٍ رسمت لكلّ خطابٍ فيها أداءً أسلوبياً معيّنًا إلاّ أنّه يشترك في السمات الأسلوبية عموماً.

¹ - رحمان غركان: الأسلوبية بوصفها مناهج (الرؤية، المناهج، التطبيقات)، ص: 68، 69.

² - نفسه، ص: 71.

1 - ففي الخطبة الأولى: من ذلك إيقاع تكرار الفعل الماضي والمضارع في الغالب في الخطبة الأولى راسماً بذلك أداءً صوتياً خاصاً جعل أسلوبيته تفصح عن الزمن الماضي والحاضر والمستقبل.

2 - وأما في الخطبة الثانية: ظهر إيقاع تكرار الجملة الاسمية المنسوخة بـ: (إنّ) الممتزجة بالدعاء أو الرجاء في ظلّ صياغة فعل الامر الذي يدلّ على المستقبل - والذي هو بيد الله عزّ وجلّ- ممّا أكسب متنها أداءً أسلوبياً خاصاً، ولا سيّما مع تكرار أسلوب النداء بأدواته المعروفة في صيغة (اللهمّ: افعل، أو لا تفعل)؛ تلك العبارة المستمدة من القرآن الكريم وأقوال النبيّ ﷺ؛ وهذا على شكل دعاءٍ أو رجاءٍ سبع (7 مرّاتٍ)، بعد استعمال عبارة (يا أيّها النّاس) لتحقيق انتباه الحضور من المستمعين أو المتلقّين.

3 - وفي الخطبة الثالثة: حفل الخطاب في هذه الخطبة بألفاظٍ تشير إلى الزمن الماضي والحاضر والمستقبل في شكل نصائحٍ أو تحذيرٍ من خداع الدّنيا للنّاس ممّا أكسبه أداءً أسلوبياً معيّنًا ينمّ عن مدى استعداد الإنسان لاستقبال اليوم الآخر.

4 - وفي الخطبة الرابعة: فقد قامت أسلوبية الصّوت فيها على الفعل المضارع في بداية متنها؛ وتمثّل في كلمة: (أوصي) كإشارةٍ إلى الزمن الحاضر والمستقبل، ثمّ سرعان ما غلب الفعل الماضي على مستهل الخطاب؛ مثل: (فرط، هجمت، عظمت...)، ممّا أكسبه أداءً أسلوبياً يدلّ على أنّ الماضي أصبح في طيّ النسيان، ومن المستحيل إعادته.

وفي وسط هذا الخطاب كان استعمال أسلوب النداء (أيّها اللّاهي) كتنبيه للمتلقّين في صورة المغرور بنفسه، وسرعان ما ظهر المزج بين الفعل الماضي؛ وهذا للتذكير، والمضارع كإشارةٍ لمدى استعداد العبد إلى تلقّي المصير المحتوم من هذه الدّنيا الغرورة.

وفي آخر المطاف؛ يمكن القول بأنّ هذه الخطب والتي تميّزت بطابعها الارتجاليّ غلبت عليه الأصوات المجهورة على حساب الأصوات المهموسة ، كما غلبت الأصوات الانفجارية الشديدة على حساب الأصوات الاحتكاكية الرخوة؛ وهذا لأنّ:

- تولّي شؤون الرعيّة هو أمرٌ ليس بالشّيء الهين.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيئان لا يستهان بهما.

- كما أن النصيحة لله تبارك وتعالى في محاولة ترك متاع الدنيا والاهتمام باليوم الآخر شيء في غاية الأهمية بمكان.

وللتوضيح أكثر نستعين بهذا الجدول التوضيحي.

الجدول الأول:

نوع الصوت	العدد	النسبة المئوية	المجموع	ملاحظة
الأصوات المجهورة	1214	56.41%		أكبر.
الأصوات المهموسة	938	43.58%		أقل.
المجموع العام	2152 صوتاً	99.99%	حوالي: (100%)	صحيح.

الجدول الثاني:

نوع الأصوات	العدد	النسبة المئوية	المجموع	ملاحظة
الأصوات الشديدة (الانفجارية)	801	37.22%		أكبر.
الأصوات الرخوة (الاحتكاكية)	387	17.98%		أقل.
الأصوات المتوسطة	945	43.91%		أكبر.
الأصوات المزدوجة	19	0.88%		أقل.
المجموع العام	2152 صوتاً	99.99%	أي: تقريباً 100 %.	صحيح.

وقد حفلت الخطابات الأربع بإمكانيات صوتية رسمت لها أداءً أسلوبياً؛ ومن ذلك تكرار الفعل المضارع في بعض مقاطعها عدة مرات؛ وهذا في مقدمة كل من هذه الخطابات الأربع والذي كان يشير إلى الحاضر والمستقبل معاً مثل: (نحمده، نستغفره، نتوب إليه)... إلخ.

ومن ناحيةٍ أخرى فيما يخصّ المجالَ الصوتيَّ في المتن، فإنّ التكوّينات الصوتية في الخطب الأربعة تحتوي على إمكاناتٍ ذاتِ أداءٍ صوتيٍّ إيقاعيٍّ ممّا يساهم في إنتاج المعنى وإثرائه من جهة الإيضاح أحياناً أو التذاتير في المتلقّي أحياناً أخرى، كما أنّه في بعض السياقات يصدر المعنى في التّصوُّص عن فعالية ذلك اللفظِ الصوتيِّ في الخطابات.¹

وفي خاتمة الخطبة الأولى كانت الدّعوة إلى تحقيق طلب المغفرة من الله تبارك وتعالى وفي الثالثة الدّعوة إلى تحقيق السّلام، وهي إشاراتٌ صوتيةٌ انطلقت من الأرض إلى السّماء لتحقيق الاتّصال بينهما فيعمّ الخير على النّاس.

ثالثاً: المستوى التركيبي.

تعتبر اللّغة أداةً فعالةً في نقل التجربة الشعورية والتعبير عن الحالات النفسيّة للإنسان، وفي المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، أو هي فعلٌ إنسانيّ... وهي في كلّ أمةٍ بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب أحسن الملكات وأوضحها دلالةً على المقاصد... وفيها كثيرٌ من المعاني.²

وتعدّ اللّغة الرّابط الذي يجمع بين مختلف العلوم والمميّز الفريد الذي يفصل بينها؛ إذ بها تزدهر وتنهض وتقوى وتكثر وتفهم...³

ويقول الشّيخ عبد القاهر الجرجانيّ: "اعلم أنّ الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين مراتبها ويكشف عن صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويدلّ على سرائرها، ويبرز مكنونات ضمائرهما."⁴

¹ - رحمان غركان: الأسلوبية بوصفها مناهج (الرؤية والمناهج والتّطبيقات)، ص: 70. - بتصرّف -

² - ابن خلدون عبد الرّحمن: المقدّمة، منشورات دار مكتبة الهلال - بيروت - لبنان، تاريخ الطّباعة: 2000م، د ط، ص: 339.

³ - عبد السّميع موفّق: أطروحة دكتوراه بعنوان: الخطاب الشعريّ في ديوان حازم القرطاجنيّ (مقاربة أسلوبية)، إشراف: السّعيد لراوي، جامعة الحاج لخضر - باتنة - الموسم الجامعي: 1435 هج/ 1436 هج، الموافق ل: 2014 م/ 2015 م، ص: 268.

⁴ - الجرجانيّ، عبد القاهر، أبو بكر بن عبد الرّحمن بن محمّد: أسرار البلاغة، تعليق الحواشي: محمّد، رشيد رضا، واعتناء: منى أحمد الشّيخ، دار المعرفة - بيروت - لبنان، ط، 01، تاريخ النّشر: 1423 هـ/ 2002 م، ص: 13.

ولا تدرس الألفاظ منفردة في الأعمال الأدبية؛ إذ أنها لا تؤدّي وظيفتها المرجوة منها إلا في إطار أنساقها النظمية التي تحكم بناءها، وتحدّد دلالاتها المعنوية وأغراضها البلاغية، وفي هذا يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني: " والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التّأليف ويعمد بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التّركيب والترتيب، ولو أنك عمدت إل بيتٍ من الشعر أو فصلٍ من النثر وعددت كلماته عدّاً كيف جاء واتفق، ثم أبطلت قصده ونظمه الذي بني عليه، وفيه أفرغ المعنى، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاء، وبنسقه المخصوص أبان المراد.¹

ومن هنا يتّضح دور اللّغة وتتحدّد مكانتها في التّركيب والبناء في كلّ العلوم والمعارف، لأنّ دون ذلك لن يكون لأيّ من الكلام أيّ معنى ولا تكون أيّة جدوى من ذلك.

وقد اعتنى القدماء باللفظ عناية تامّة وبالغة، ممّا جعلهم يقسمون الفضائل بينه وبين المعنى في كلامهم وحديثهم، وقد بالغ في ذلك من تبعهم؛ فقالوا: " الزيادة تحدث في الألفاظ لا المعاني، وقالوا: معنى لطيف ولفظ شريف، ففحّموا شأن اللفظ وعظّموه حتى تبعهم في ذلك ممن جاء بعدهم، وحتى قال أهل النّظر: إنّ المعاني لا تتزايد وإنما تتزايد الألفاظ فأطلقوا كلاماً يوهم من يسمعه أنّ المزية هي في حقّ اللفظ.²

وتتكشّف المعاني وتكثر الدّلالة بالنّظم اللّغويّ للكلمات؛ وهو الذي يؤدّي أغراضاً جديدةً لم تكن موجودةً في الألفاظ المنفردة، لذلك كتّى القدماء ترتيب المعاني ودلالاتها بترتيب الألفاظ.

ولذا يجب على الأديب أن يتعامل مع اللّغة تعاملًا فنيًا مميّزًا ينأى به إلى أعمال الحواس في تركيبها وتواردها ونظمها؛ ذلك أنّ الأدب لا يدرس إلا من خلال اللّغة التي تشكّله، ويتخلّق في قوالبها، فتميّزه بها عن باقي العلوم والفنون.

ولمّا كانت الآداب تعبيرًا عن الحياة صارت اللّغة مطلبًا بشريًا هامًا لفهم أسرار هذه الحياة والتّعامل معها وفق ما تقتضيه الضّرورة وتستدعيه مختلف الحاجيات.

¹ - السابق، ص: 14.

² - الجرجاني، عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمّد: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل - بيروت - لبنان، الطّبعة رقم: 01، تاريخ النّشر: 1424 هـ / 2004 م، ص: 88.

وإنّ دراسة التّركيب اللّغويّ تقتضي استثمار إمكانات النّحو بمفهومها الواسع؛ والتي يمكن بها الوصول إلى شخصيّة الأديب وظروف النّص وعصره، وتقوم دراسة التّراكيب اللّغويّة على ما يلي:

أ - الأسماء وما يصاحبها من مصادر وصفات.

ب- الأفعال باختلاف أنواعها.

ج- الحروف والأدوات.

ويقول حازم القرطاجنيّ في قصيدته النّحويّة من البحر البسيط:

وكلّ قولٍ إذا قسّمته انقسما	لاسمٍ وفعلٍ وحرفٍ ثالثٍ لهما
فالاسم لفظٌ يدلّ السّامعين له	على حقيقةٍ معنى ومنه انبهما
والفعل لفظٌ يدلّ السّامعين له	على حقيقةٍ معنى ومنه انفهما
والحرف لفظٌ يدلّ السّامعين على	معنى ولكّنه في غيره فهما. ¹ (*)

وانطلاقاً ممّا تقدّم من هذا العرض القصير عن دور اللّغة وأهميّتها في الأدب، يمكن أن نتطرّق إلى بعض التّطبيقات في المستوى التّركيبيّ على خطبة المدوّنة بالشّكل التّالي.

أولاً: الخطبة الأولى:

في الاستهلال من مقدّمة هذه الخطبة ظهر استعمال الجملة الاسميّة المنسوخة بـ: (إنّ)؛ وهي: (إنّ الحمد لله)، أي: إنّ (أداة نصبٍ وتوكيدٍ)، و(الحمد: اسمها منصوب)، و(لله: شبه جملة في محلّ رفع خبرها). ويعدنّدٍ ظهر استعمال الأفعال المضارعة: (نحمده، نستعينه، نستغفره، نتوب إليه، نعوذ به)؛ وهذا لتحقيق الرّمن الحاضر والمستقبل، ثمّ الفعل المضارع في حالة الأنا المتكلّم: (أشهدُ)، والفعل (يهد: المجزوم يحذف العلة منه مادام قد سبق بأداة الشّرط الجازمة؛ وهي: منّ)، والفعل: (يضلّ)؛ وهو المجزوم بأداة الشّرط نفسها (منّ).

¹ - أبو الحسن القرطاجنيّ، حازم بن محمّد بن حازم: الدّيون، تح: عثمان العكّاك، دار النّقافة - بيروت - لبنان، دون طبعة، تاريخ الطّباعة: 1409 هـ / 1979 م، ص: 125.

(*) وتفعيله البحر البسيط هي: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، وقد تتعرّض لحذف بعض الحروف؛ مثل: (متفعلن، أو: فاعل...) ينظر: حسين أبو النّجا: في أصول العروض، دار مدني- الجزائر - ط: 03، تاريخ الطّباعة: 2003 م، ص: 72.

وإذًا: هناك:

1- جملة اسمية منسوخة بالأداة (إن).

2 - و (9) جمل فعلية.

وفي المتن من هذا الخطاب بدأ بأسلوب النداء بعد عبارة (أما بعد) بأدواته المعروفة: (أيها الناس)؛ مرة واحدة، ثم الجملة الاسمية المنسوخة ب: (إن)؛ وهي: (إني قد وليت عليكم) مرة واحدة، ثم الفعل الماضي الناقص (لست) المتصرف مع الضمير المستتر (أنا)؛ وهو ضمير المتكلم، وهو ما يفيد تحثيث الزمن في الماضي مرة واحدة، ثم الفعلين المضارعين: (أحسن، أسأت) مع ضمير المتكلم (أنا)؛ وهو الضمير المستتر مرتين، وفعلي الأمر: (أعينوني، قوموني)؛ أي: مرتين، ثم الجمل الاسمية المتكوّنة من (مسند ومسند إليه)؛ وهي: (الصدق أمانة، الكذب خيانة، الضعيف فيكم قويّ عندي، القويّ فيكم ضعيفٌ عندي)، وتخلّلت هذه الجمل أربعة أفعال مضارعة تفيد الحاضر والمستقبل؛ وهي: (أزيح، آخذ، يدع، تشيع)؛ منها: (أزيح، وآخذ)؛ وهما فعلا منصوبان بأداة النصب (حتى)، و(يدع) المجزوم ب: (لا) النهي، والفعل: (يدع) في حالة الجزم بأداة الشرط (من)، ثم الفعلان: (ضرب، وعم) لتأكيد الزمن الماضي مرتين، ثم فعل الأمر: (أطيعوني)؛ وهو ما يفيد المستقبل من الزمن مرة واحدة.

وتخلّلت هذه الجملة الفعلان الماضيان؛ وهما: (أطعت، عصيت)؛ وهذا بصيغة الأنا المتكلم المستتر مرتين، وبهذا فهناك: (جملة اسمية منسوخة) + (فعل ماضي ناقص + 6 أفعال مضارعة + 3 أفعال أمر + فعلا ماضيان). + 4 (جمل اسمية من مسند ومسند إليه).

وفي الخاتمة: نجد فعلين؛ وهما:

1- الفعل المضارع: (أقول).

2- الفعل المضارع: (أستغفر).

أي أننا نجد جملتين فعليتين كلاهما يبتدئ بفعل مضارع يفيد الزمن الحاضر والمستقبل في الوقت ذاته، وربما يسهّل هذا الجدول التوضيحي الآتي ذكره توضيح ما غمض بعض الشيء مما سبق.

الجدول التوضيحي

في المقدمة:

الجملة المستعملة فيها	نوعها	عددتها	دلالاتها
إنّ الحمد لله.	جملة اسمية منسوخة بإنّ.	01	تأكيد المعنى أكثر بالجملة المنسوخة ب: (إنّ).
نحمده	جملة فعلية.	01	تفيد الاستمرار في حمد الله في الحاضر والمستقبل.
نستعينه	جملة فعلية	01	الشيء نفسه في طلب العون.
نستغفره.	جملة فعلية.	01	الشيء نفسه في طلب المغفرة.
نتوب إليه.	جملة فعلية.	01	تفيد الاستمرار في التوبة والإنابة إلى الله تعالى.
نعوذ بالله.	جملة فعلية.	01	الشيء نفسه في التعوذ من شرور النفس، ومن الأعمال السيئة.
أشهد أن لا إله إلا الله.	جملة فعلية	01	الاعتراف بوحداية الله جلّ وعلا.
وأشهد أنّ محمّداً رسول الله.	جملة فعلية.	01	الشهادة بنبوّة محمّد ﷺ.
من يهد الله فهو المهتد.	جملة فعلية شرطية.	01	شرط أن يعمل بهداية الدلالة لتأتيه هداية المعونة من الله تبارك وتعالى.
ومن يضل فلا هادي له.	جملة فعلية شرطية	01	والعكس صحيح في من لم يقبل هداية الدلالة.

وفي المتن: ويمكن استغلال الجدول التالي في توضيح بعض الخصائص التركيبية في متن الخطبة الأولى بالشكل التالي.

الجدول التوضيحي:

الجملة المستعملة فيه	نوعها	عددتها	دالاتها
أيها الناس:	جملة نداء.		جلب انتباه السامعين.
إني قد وليت عليكم.	جملة اسمية	01	تأكيد المعنى أكثر بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول (وليت) مسبوقاً ب: (قد) التي تفيد التحقيق؛ أي تولي شؤون الرعية.
لست بخيركم.	جملة فعلية.	01	توضيح المعنى عن المساواة بين الناس.
الصدق أمانة	جملة اسمية تتكون من مسند ومسند إليه.	01	تأكيد المعنى أكثر على أن من الأمانة الصدق؛ لأن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة.
الكذب خيانة.	الشيء نفسه.	01	تأكيد المعنى بأن الكذب خيانة؛ فهو يهدي إلى الفجور، وأن الفجور يهدي إلى النار.
الضعيف فيكم قوي عندي.	من مسند ومسند إليه.	01	تأكيد المعنى أكثر على تحقيق المساواة بين الناس.
والقوي فيكم ضعيف عندي.	من مسند ومسند إليه، مع استعمال أداة الربط؛ وهي: حرف العطف.	01	تأكيد المعنى أكثر على أن الناس سواسية أمام القانون الرباني.
إن أحسنت فأعينوني	جملة فعلية شرطية.	01	التأكيد على أن عملية الإحسان إلى الرعية تقابلها إعانة الحاكم من طرف أفرادها.
وإن أسأت فقوموني	جملة فعلية شرطية.	01	التأكيد على أن عملية الإساءة إلى الرعية تقابلها التقويم للحاكم.

لا يدع أحد فيكم الجهاد في سبيل الله.	جملة فعلية ابتدأت بلا الناهية.	01	التأكيد على وجوب الدفاع عن كلمة الحق وإعلاء راية الإسلام.
فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل.	جملة اسمية	01	تأكيد المعنى أكثر بحلول العذاب على المتخاذلين في الدفاع عن الحق وعن وطنهم.
لا تشيع الفاحشة في قوم.	جملة فعلية	01	التأكيد على خطر شيوع فاحشة الزنى بين الناس.
أقول قولي هذا.	جملة فعلية.	01	هذا دليل على أنّ لكل شيء بداية ونهاية.

وفي الخاتمة:

الجملة المستعملة	نوعها	عددتها	دلالتها
وأستغفر الله لي ولكم.	جملة فعلية.	01	تحقيق المعنى في طلب المغفرة منه سبحانه وتعالى.

الخلاصة:

- عدد الجمل الاسمية: 08.
- عدد الجمل الفعلية: 16.
- ومن الأسماء الواردة في هذا الخطاب: (الناس، أحد، الله، قوم...)
- ومن المصادر: (الصدق، الكذب، الحق، البلاء، الذل... إلخ)
- ومن الحروف والأدوات المستعملة في هذا الخطاب:

1 - حروف العطف:

الواو: 14 مرة.

الفاء: 06.

2 - حروف الجر:

في: 03.

ب: 02.

من: 02.

- على: 03.

- اللّام (ل): 02.

ومن الأدوات المستعملة في هذا الخطاب أيضاً:

- أداة النّصب والتّوكيد التي تدخل على المبتدأ والخبر: 02.

- أداة النّصب التي تدخل على الفعل المضارع فتغيّر حركته الأخيرة: 02.

- الأداة (لا) للنّهي، أو لا محلّ لها من الإعراب: 03.

- الأداة: (قد) للتّحقيق: 01 (مرّة واحدة). (قد): للتّحقيق؛ كان دخولها على الفعل الماضي

المبني للمجهول؛ وهو: (وليتّ) عليكم.

- أداة الشرط: 03.

ومن الضّمائر: المنفصلة: لا شيء.

- المتّصلة:

- الياء: 06.

- التّاء: 06.

- الكاف: 04.

- الهاء: 07.

ومن العبارات الواردة في هذا الخطاب أيضاً تكرّرت عبارة: (إن شاء الله: مرّتين)؛

وهي من الكلم.

- ومن الكلمات المرفوعة الواردة في هذا الخطاب:

- التّأس: بدل مرفوع من المنادى (أي).

- الصّدق: مبتدأ.

- أمانة: خبر.

- الكذب: مبتدأ.

- خيانة: خبر.

- الضّعيف: مبتدأ.

- قويٌّ: خبر.
 - القويُّ: مبتدأ.
 - ضعيفٌ: خبر.
 - يدع (أحدٌ) الجهادَ: مرفوع على الفاعلية.
 - يدعه (قومٌ): مرفوع على الفاعلية.
 - ضربهم (اللهُ): اسم الجلالة، مرفوع على الفاعلية.
 - تشيع (الفاحشةُ): مرفوعة على الفاعلية.
 - عمّمهم (اللهُ): اسم الجلالة، مرفوع على الفاعلية.
- وأما الكلمات المنصوبة الواردة في هذا الخطاب:
- حتّى أزيح عليه (حقّه): منصوب على المفعولية.
 - حتّى آخذ (الحقّ) منه: منصوب على المفعولية.
 - لا يدع احد منكم (الجهاد): منصوب على المفعولية.
 - ما أطعتُ (الله ورسوله):
 - الله: اسم الجلالة منصوب على المفعولية.
 - ورسوله: اسمٌ منصوب على العطف؛ فالاسم المعطوف تابع لما قبله من (رفعٍ ونصبٍ وجرٍّ).
 - عصيتُ (الله ورسوله): الشّيء نفسه.
 - أقول (قولي) هذا: كلمة (قولي) في محلّ نصب مفعول مطلق من الفعل المضارع (أقول)، وهو:
 - مضاف و(الياء) ضميرٌ متصلٌ مبنيٌّ على الكسر في محلّ جرّ مضاف إليه.
 - وأستغفر (الله): اسم الجلالة (الله) منصوبة على المفعولية.
- تداعيات الحروف والأدوات: من الحروف و الأدوات الموجودة في هذا الخطاب يمكن تجميع بعض الكلمات المفيدة له، والتي تفيد معناه؛ وأهمّ كلمة في ذلك: (قد وفيتكم)، أي: عهدي بكم؛ وهو تطبيق الحقّ والعدل والمساواة بينكم.

ثانياً: الخطبة الثانية:

أ - بالنسبة للاستهلال: فالأمر نفسه مع الخطبة الأولى، وما ورد فيها من خصائص تركيبية.

ب - أما فيما يخصّ فيما جاء في المتن والخاتمة: فقد وردت الخصائص التالية:

- أسلوب النداء:

- في عبارة (يا أيها الناس) بأدواته المعروفة، وبدلالاته التبليغية للمتلقين، وقد ذكر هذا النوع من أسلوب النداء (مرة واحدة).

- في عبارة (اللهم)؛ والتي تكررت (8 مرّات) بدلالة السعي إلى إصلاح النفس؛ وهذا طبعاً لنفس المتكلم أولاً) عن طريق الدعاء أملاً في الوصول إلى الصراط المستقيم.

- الجملة الاسمية المنسوخة:

- تكررت الجملة الاسمية المنسوخة ب: (إنّ) (6 مرّات)؛ والمتمثلة في: (إني داع، إني غليظ، إني شحيح، إني كثير الغفلة والنسيان، إني ضعيف)؛ وهذا بدلالة الالتجاء إلى الله جلّ وعلا، وأيضاً في عبارة: (إنك على كلّ شيء قدير) بدلالة الاعتراف بالقدرة الإلهية في إصلاح أحوال الناس إذا ما فضلوا طريق الهدى على طريق الضلال.

- الأفعال:

- الفعل الماضي: الخطاب خالٍ منها ما عدا الفعل (ما بقيت).

- الفعل المضارع: تكرر الفعل المضارع (7 مرّات) في حالاتٍ مختلفة؛ وهي: (أبتغي وجهك)، كفعلٍ عادٍ، و (ما يُرضيك عني)، و (ما يتلوه لساني)، (ما بقيت)، والأفعال: (لا تدعني، لا تأخذني، لا تجعلني) بصيغة الطلب في إصلاح النفس البشرية؛ وهو ما ورد في الخاتمة بأسلوب الدعاء والطلب بإصلاح الحال.

- فعل الأمر: ورد فعل الأمر (أمنوا) بصيغة الطلب من المستمعين أن يؤمنوا بعد

الدعاء (مرة واحدة)، كما ورد بصيغة الدعاء والطلب من الله تعالى أن يصلح الحال (10)

مرّات؛ وهي: (ليّني، ارزقني الغلظة، سخّني، اجعلني، ارزقني خفض الجناح، ألهمني، ارزقني النشاط، ثبتني باليقين...، ارزقني الخشوع، ارزقني التفكّر...). إلخ.

الجدول التوضيحي:

1 - الجملة الاسمية:

الغرض	العدد	الحالة	الجملة
جلب انتباه المتلقين وتبنيهم.	01	جملة اسمية في شكل نداء.	يا أيها الناس.
إذا ما قلنا: (العلمُ نافعٌ)؛ فهي جملة اسمية عادية تتكوّن من مسند ومسند إليه، فالعلم: مسندٌ إليه، والنفع مسندٌ إلى العلم. وإذا ما قلنا: (إنّ العلمَ نافعٌ) فالجملة دخلت عليها (إنّ) النَّاسخة التي تجعل المسند إليه اسمها منصوباً، والمسندَ خبرها مرفوعاً. وبهذا تنتقل الجملة من الشكل العاديّ إلى التأكيد على أنّ العلمَ فعلاً شيئاً نافعٌ؛ فالدعاء إذاً يسبق التّأمين.	01	جملة اسمية منسوخة بـ: (إنّ)	إني داعٍ
التأكيد أكثر على وجود الغلظة في النفس البشرية.	01	جملة اسمية منسوخة بإنّ	إني غليظٌ
التأكيد أكثر على وجود الشُّحّ في النفس البشرية.	01	جملة اسمية منسوخة بإنّ.	إني شحيحٌ
التأكيد أكثر على وجود الغفلة والنسيان في النفس البشرية.	01	جملة اسمية منسوخة بإنّ.	إني كثيرُ الغفلة والنسيان.
التأكيد أكثر على وجود ظاهرة الضعف في النفس البشرية.	01	جملة اسمية منسوخة بإنّ.	إني ضعيفٌ
الاعتراف يقيناً بالقدرة الإلهية ولا محدوديتها.	01	جملة اسمية منسوخة بإنّ.	إني على كلّ شيءٍ قديرٌ

المجموع	07 حالات	07	من محاولة جلب الانتباه إلى تأكيد بعض الحالات في النفس البشرية إلى الاعتراف بالأحدود للقدرة الإلهية؛ أي: (لانهائية القدرة الإلهية).
---------	----------	----	--

2 - الجملة الفعلية:

الجدول التوضيحي:

الجملة	الحالة	العدد	الدلالة
ارزقني خفض الجناح.	جملة فعلية بصيغة الدعاء بعبارة (اللهم).	01	العمل على تحقيق مبدأ التواضع.
واجعلني أبتغي بذلك وجهك.	جملة فعلية بصيغة العطف.	01	السعي إلى تحقيق رضى الله عز وجل.
ثبنتي باليقين والبر والتقوى...	جملة فعلية بصيغة الدعاء بالعبارة نفسها.	01	الوصول بالنفس البشرية إلى البر والتقوى.
وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني...	جملة فعلية بصيغة العطف.	01	الوصول بالنفس البشرية إلى الخشوع والطمأنينة.
ارزقني التفكير والتدبر...	جملة فعلية بصيغة الدعاء.	01	الوصول بالنفس البشرية إلى تحقيق التفكير والتدبر في تلاوة القرآن الكريم. (*)
لا تدعني في غمرة.	جملة فعلية بصيغة الدعاء.	01	تجنب أن يكون الإنسان في غمرة.
ولا تأخذني على غرة.	جملة فعلية بصيغة العطف على الدعاء.	01	تجنب أن يؤخذ الإنسان على حين غفلة.

السعي إلى تجنّب الغفلة في الحياة.	01	جملة فعلية بصيغة العطف على الدّعاء أيضاً.	ولا تجعلني من الغافلين.
الوصول بالنّفس البشريّة إلى خفض الجناح ابتغاء وجه الله تعالى و الخشوع، والنّفكر والتّدبر في تلاوة القرآن الكريم. وتحقيق عمليّة إصلاح النّفس البشريّة والابتعاد عن الغفلة.	08	الجملة الفعلية بصيغة الدّعاء: (04) الجملة الفعلية بصيغة العطف: (04)	المجموع

3- الكلمات المعطوفة:

أ - الأسماء: ورد من الأسماء المعطوفة ما يلي:

(والدّار الآخرة، والشّدّة على أعدائك، وأهل الدّعارة، والنّفاق، ولا اعتداء عليهم، والدّار الآخرة،
ولين الجانب، والنّسيان، وذكر الموت، والقوّة، وتوفيقك، والبرّ، والنّفوى، وذكر المقام، والحياء
منك، والمحاسبة لنفسى، وإصلاح السّاعات، والحذر من الشّبّهات، والتّدبر، والفهم، والمعرفة،
والنّظر في عجائبه، والعمل بذلك.)

ب - الأفعال: ورد من الأفعال المعطوفة في هذا الخطاب: (وارزقني الغلظة، واجعلني أبتغي،
وارزقني الخشوع، ولا تأخذني على غرّة، ولا تجعلني من الغافلين.)

4 - الحروف والأدوات:

- حروف العطف والرّبط:
- الفاء (ف): وردت (5) مرّات؛ وهي تتمثّل في العبارات التّالية:
- فأمنوا:
- فليّني:
- فسخّني:
- فألهمني:
- فارزقني:

- الواو (و): ورد حرف الواو فيما يلي:
 - في الأسماء: 25 مرّة بغرض تأكيد المعنى في إصلاح حال النفس البشريّة.
 - في الأفعال: 5 مرّات، والأفعال أقلّ دلالةً من الأسماء.
 - حروف الجرّ:
 - اللّام (ل):
 - مع الأسماء: ذكرت ثلاث مرّات في: (لأهل، للمؤمنين، لمعانيه).
 - مع الضّمائر: ذكرت مع (لهم) بصيغة الجمع، و(له) بصيغة الإفراد.
 - الباء (ب): ذكرت (5 مرّات) في الكلمات التّالية: (بموافقة، بطاعتك، بالنبّة، باليقين، بذلك).
 - من: ذكرت (6 مرّات) في المتن مع الكلمات التّالية: (من غير ظلم، منّي، من غير سرف، منك، من كتابك، من الشّبّهات، من الغافلين).
 - في: ذكرت (5 مرّات) مع الكلمات التّالية (في نوائب، في كلّ حين، فيها، فيما يُرضيك، في غمّة).
 - على: ذكرت (5 مرّات) مع الكلمات التّالية (على أعدائك، عليهم، على كلّ حال، على كلّ شيء، على غرّة).
 - عن: (عن العمل، عنّي)؛ أي: مرّتان.
- 5 - الضّمائر والأدوات: كلّ الضّمائر الواردة في الخطاب هي ضمائر متصلة؛ حيث تتصلّ بغيرها من الكلمات.

أ- الضّمائر:

- الباء (ب):
- الباء في إنّ النّاسخة: ذكرت (06 مرّات).
- الباء في الأفعال: ذكرت (15 مرّة).
- الباء في الأسماء: ذكرت مرّة واحدة (لساني).
- الباء في الحروف: ذكرت مرّة واحدة مع حرف الجرّ من (منّي)، كما ذكرت مرّة واحدة مع حرف الجرّ عن (عنّي).

- الواو (و): ذكر مرة واحدة في الفعل: (أمنوا)، وهي في محل رفع فاعل.
- الهاء (ه): ذكرت مرتين في حرف الجر: (عليها) و (له).
- الهاء (ه): ذكرت في الأسماء مرتين في: (معانيه، عجائبه)
- الكاف (ك): ذكر مع حرف الجر مرة واحدة من (منك).
- الكاف (ك): ذكر مع الأفعال مرة واحدة (يُرضيك).
- الكاف (ك) مع الأسماء: ذكرت (9) مرّات.
- التاء (ت): ذكرت مرة واحدة مع الفعل (بقيت).

ب- الأدوات:

- إن: أداة نصب وتوكيد؛ وقد ذكرت (6) مرّات في هذا الخطاب.
- لام الألف:
- ففي المتن: ذكرت أربع مرّات كإشارة للتفسير والشرح فقط (لا اعتداء، لا تبذير، لا رياء، لا سمعة).
- أمّا في الخاتمة: فذكرت ثلاث مرّات بصيغة الطلب في الأفعال (لا تدعني، لا تأخذني، لا تجعلني).
- إلّا: كأداة حصر في الكلمة (إلّا بعونك)؛ وهذا كإشارة إلى أنّ العون لا يكون إلّا من الله تعالى وحده.

- الكلمات المرفوعة:

- داع: في محل رفع خبر الجملة المنسوخة ب: (إنّ) بالضمّة المقدّرة بتتوين العوض.
- غليظ: مرفوع على الخبريّة في الجملة المنسوخة.
- شحيح: مرفوع على الخبريّة في الجملة الاسميّة.
- كثير الغفلة: مرفوع على الخبريّة في الجملة الاسميّة.
- ضعيف: مرفوع على الخبريّة في الجملة الاسميّة.
- الكلمات المنصوبة:
- الجمل المنسوخة ب: (إنّ) والمتكرّرة؛ مثل: (إنّي داع، إنّي شحيح.....)، فالياء ضمير متصل في محل نصب اسم (إنّ)؛ وقد تكرّرت (6) مرّات.
- ابتغاء: منصوبة على المفعوليّة لأجل ما سبقها من الكلام.

- الضمير المتصل (ي) في أفعال الدعاء؛ مثل: (ارزقني، اجعلني، ألهمني...) هي كلمات في محلّ نصب على المفعوليّة)، ومثله في الفعل المضارع: (أبتغي).
- الغلظة: اسم منصوب على المفعوليّة.
- الشدّة: اسم منصوب على العطف.
- وجهك: اسم منصوب على المفعوليّة.
- والدار الآخرة: منصوب على العطف.
- خفض الجناح: منصوب على المفعوليّة.
- ولين الجانب: منصوب على العطف.
- ذكرك: اسم منصوب على المفعوليّة.
- وذكر الموت: ذكر اسم منصوب على العطف.
- النشاط: اسم منصوب على المفعوليّة.
- والقوة: اسم منصوب على العطف.
- الخشوع: اسم منصوب على المفعوليّة.
- والمحاسبة: اسم منصوب على العطف.
- وإصلاح الساعات: إصلاح اسم منصوب على العطف.
- والحدز: منصوب على العطف.
- التفكير: منصوب على المفعوليّة.
- والتدبير: منصوب على العطف.
- والفهم: منصوب على العطف.
- والمعرفة: اسم منصوب على العطف.
- والنظر في عجائبه: النظر اسم منصوب على العطف.
- والعمل بذلك: اسم منصوب على العطف.
- الكلمات المجرورة:
- لأهل طاعتك:
- لأهل: جار ومجرور.
- طاعتك: مجرور بالإضافة.
- بموافقة: جار ومجرور.
- ابتغاء وجهك: (وجه) اسم مجرور بالإضافة + (الكاف) ضمير في محلّ جر بالإضافة.

- والدار الآخرة: مجرورة بالعطف.
- على أعدائك: جار ومجرور + (الكاف) كضمير بالإضافة.
- وأهل الدّعة والتفاق: مجرورة ب: (العطف + الإضافة + العطف).
- من غير ظلم: جار ومجرور.
- مني: جار ومجرور.
- لهم: جار ومجرور.
- ولا اعتداء: مجرورة بالعطف.
- عليهم: جار ومجرور.
- في نوائب المعروف: جار ومجرور + إضافة.
- من غير سرف: جار ومجرور.
- ولا تبذير: مجرور بالعطف.
- ولا رياء: مجرورة بالعطف.
- ولا سمعة: مجرورة بالعطف.
- بذلك: جار ومجرور.
- وجهك: الكاف بالإضافة.
- خفض الجناح: الجناح بالإضافة.
- لين الجانب: الجانب بالإضافة.
- للمؤمنين: جار ومجرور.
- كثير الغفلة والنسيان: الغفلة (بالإضافة) + والنسيان (بالعطف).
- ذكرك: (الكاف) ضمير متصل في محلّ اسم مجرور بالإضافة.
- على كلّ حال: جار ومجرور.
- وذكر الموت:
- وذكر: مجرورة بالعطف.
- الموت: مجرور بالإضافة.
- في كلّ حين: جار ومجرور.
- عن العمل بطاعتك:
- عن العمل: جار ومجرور.
- بطاعتك: جار ومجرور + الكاف بالإضافة.

- عليها: جار ومجرور.
- بالنية الحسنة: جار ومجرور + الصفة.
- بعونك وتوفيقك: جار ومجرور + الكاف بالإضافة + العطف + الكاف بالإضافة.
- باليقين والبر والتقوى: جار ومجرور + عطف + عطف.
- وذكر المقام: مجرور بالعطف + بالإضافة.
- بين يديك: بالإضافة.
- والحياء منك: الجرّ بالعطف + جار ومجرور.
- فيما: جار ومجرور.
- عني: جار ومجرور.
- لنفسي: جار ومجرور + بالإضافة.
- إصلاح الساعات: الساعات بالإضافة.
- من الشبهات: جار ومجرور.
- لما: جار ومجرور.
- لساني: الياء ضمير متصل في محلّ اسم مجرور بالإضافة.
- من كتابك: جار ومجرور + الكاف بالإضافة.
- له: جار ومجرور.
- من كتابك: جار ومجرور + الكاف بالإضافة.
- له: جار ومجرور.
- لمعانيه: جار ومجرور + الهاء بالإضافة.
- في عجائبه: جار ومجرور + الهاء بالإضافة.
- بذلك: جار ومجرور.
- على كلّ شيء: جار ومجرور.
- في غمرة: جار ومجرور.
- على غرة: جار ومجرور.
- من الغافلين: جار ومجرور.

ثالثاً: الخطبة الثالثة:

اشتركت الخطبة الثالثة مع الخطبة الأولى في الاستهلال من حيث الألفاظ المستعملة.

- جملة اسمية منسوخة بـ(إِنَّ) وهي: (إِنَّ الحمد لله).
- جمل فعلية بصيغة المضارع في حالة الجمع: (نحمده، نستعينه، نستغفره، نتوب إليه، نعوذ بالله) (5) مرّات.
- وجمل أخرى بصيغة الفعل المضارع في حالة الأنا المتكلم المستتر (أنا) أشهدُ أن لا إله إلا الله اعترافاً بوحداية الله جلّ وعلا، والشّيء نفسه: (أشهدُ) أن محمداً عبده ورسوله اعترافاً بنبوته ورسالته ﷺ.
- ثمّ جملي الشرط:
- من (يهد): في صيغة المضارع المجزوم بحذف حرف العلة من آخره (فعل الشرط) مرّة واحدة.
- ومن (يضل): في صيغة المضارع المجزوم لأنّه فعل الشرط مرّة واحدة.
- أما فيما يخصّ المتن:
- فقد ابتدأ هذا الخطاب بجملة اسمية منسوخة بـ: (إِنَّ)؛ وهي: (إنّكم في دار قلعة، (01) مرّة واحدة).
- ثمّ ظهرت الجملة الفعلية (بادرُوا آجالكم) باستعمال فعل الأمر (بادروا) (01) مرّة واحدة.
- ثمّ الجملة الفعلية بصيغة الفعل الماضي (أتيتم) (01) مرّة واحدة.
- ثمّ الجملة الفعلية بصيغة الفعل الماضي الناقص؛ وهو: (أصبحتم، أمسيتم)، مرّة واحدة لكليهما.
- ثمّ الجملة الفعلية بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول؛ وهو: (طُويت الدنيا)، (01) مرّة واحدة.
- ثمّ الجملتان الفعليتان بصيغة المضارع مع الفعل نفسه (يغرّ) مع اختلافٍ فقط في التّأنيث والتذكير؛ وهما: الفعل: (تغرّنكم) الحياةُ الدّنيا، والفعل: (يغرّنكم) بالله الغرور. والحياة الدّنيا؛ هي الحياة الأولى، وهي التي ذكرت في القرآن الكريم بهذه الصّفة؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (4) ¹.

¹- الضّحي: 4.

أما لفظ (الغرور)، أي بفتح حرف الغين؛ فيعني به الشيطان، وفي القرآن إشارة إلى ذلك؛ حيث يقول تعالى: ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلَئِن كُنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (14).¹

- ثم تعود الجملة الفعلية في صيغة فعل الأمر: (اعتبروا، جدوا) مرتين.
- ثم الجملة الفعلية المعطوفة بصيغة المضارع؛ وهي: (ولا تغفلوا) مرة واحدة وبصيغة النهي.
- ثم تعود الجملة الاسمية المنسوخة ب: (إن)؛ وهي: (فإنه لا يغفل) عنكم مرة واحدة.
- ثم تعود الجملة الاسمية على شكل جملة استفهامية بالأداة: (أين؟)؛ وهي: (أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها؟ فتعطي حقيقة واحدة؛ ألا وهي زوالها من هذا الوجود.
- ثم الجملة الفعلية المعطوفة بصيغة الأمر؛ وهي: (وتمتعوا) بها طويلاً.
- ثم تظهر الجملة الفعلية الاستفهامية بأداة الاستفهام (ألم) بصيغة المضارع؛ وهي: (ألم تلاحظهم؟)
- ثم تأتي الجملة الفعلية بصيغة الأمر؛ وهي: (ارموا) بالدنيا حيث رمى الله بها.
- ثم الجملة الفعلية المعطوفة بصيغة الأمر؛ والذي يشير إلى المستقبل؛ وهي: (واطلبوا الآخرة).
- ثم تأتي بعدها الجملة الاسمية المنسوخة ب: (إن)، وهي: (إن الله ضرب لها مثلاً).

وقد جاء في الآية القرآنية الكريمة ما يلي:

- الجملة الفعلية بصيغة فعل الأمر للاعتبار؛ وهي: (واضرب) لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء.
- فالجملة الفعلية بصيغة الفعل الماضي؛ وهو: (فاختلط) به نبات الأرض.
- فالجملة الفعلية الناقصة بصيغة (أصبح) من أخوات (كان) لتدل على وقوع الحدث في الزمن الماضي.
- فالجملة الفعلية التامة المعطوفة على ما قبلها؛ وهي: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (45)، [الكهف: 45]، وهنا الفعل (كان) فعل تام يدل على ديمومة واستمرارية القدرة الإلهية دوماً ودون توقّفٍ..

¹- الحديد: 14.

- ثم الجملة الاسمية المتكوّنة من مسند ومسند إليه؛ وهي: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ﴾، [الكهف: 46]؛ وهذا في إطار عطف الكلمة الثانية على الأولى لتشير إلى متاع الدنيا الزائف والزائل.
- وأخيراً تظهر الجملة الاسمية المعطوفة على الجملة التي ما قبلها؛ وهي: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)﴾، [الكهف: 46].

وفي الختام:

وتظهر الجملة الاسمية؛ وهي: (السّلام عليكم ورحمة الله)، وهي على شكل تحية الإسلام، والمستمدّة من اسم الجلالة (السّلام)، كما أنّها تحية المسلمين في الدنيا فهي تحية المؤمنين في الآخرة، وفي هذا الشأن يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)﴾.¹

والجدول التوضيحي التالي يمكن أن يبيّن لنا ذلك.

الجدول التوضيحي:

الجملة	نوعها	العدد	دالاتها
إتكم في دار قلعة.	جملة اسمية منسوخة ب: (إنّ)	01	تأكيد المعنى أكثر على أنّ الدنيا فانية.
بادروا آجالكم.	جملة فعلية بصيغة الامر	01	فعل أمر بمعنى استعدّوا لليوم الآخر بفعل الأعمال الصّالحات.
فقد أتيتم.	جملة فعلية بصيغة الماضي.	01	هذا الفعل يؤديّ حتماً إلى ترتيب الأفعال الأخرى من بعده؛ أي أنّه بعد الإصباح والإمساء يأتي المصير المحتوم؛ وهو موعد الفراق.
أصبحتم أم أمسيتم؟	جملة فعلية استفهامية بصيغة	01	التأكيد على أنّ الفراق الأبديّ يكون حتماً بعد الحياة.

¹ - يونس: 10.

		فعلين ماضيين تامين.	
إنّ الدنيا طُويت على الغرور.	01	جملة اسمية منسوخة ب: (إنّ)	تأكيد المعنى أكثر بأنّ الدنيا بنيت على الزينة والمتاع والغرور؛ وكان التركيب اللغوي يتألف من: إنّ + الدنيا (اسمها منصوب) + الجملة الفعلية المبنية على المجهول بفعل: (طويت).
لا تغرّنكم الحياة الدنيا.	01	جملة فعلية بصيغة النهي.	العمل على تحقيق النصيحة.
ولا يغرّنكم بالله الغرور.	01	جملة فعلية بصيغة النهي.	السعي إلى تحقيق النصيحة بتجنّب غرور الشيطان.
اعتبروا بمن مضى منكم.	01	جملة فعلية بصيغة الأمر	تقديم النصيحة بالاعتبار بالأمم السابقة؛ والتي تعرّضت إلى العقاب بشكلٍ من الأشكال.
ثمّ جدّوا.	01	جملة فعلية معطوفة بصيغة الأمر	تقديم النصيحة بوجوب الاستعداد للعالم الآخر.
ولا تغفلوا.	01	جملة فعلية معطوفة بصيغة النهي.	إسداء النصيحة بتجنّب الغفلة.
فإنّه لا يغفل عنكم.	01	جملة اسمية منسوخة ب: (إنّ)	تقديم النصيحة للمتقين بأنّ الموت آتٍ، ولا مفرّ منه طبقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَيُّمًا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجِ مَشِيدَةٍ ۝﴾ ¹

¹ - النساء: 77.

أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها وتمتعوا بها طويلاً؟	جملة اسمية استفهامية.	01	توضيح المعنى لتقرير أمر هلاك وزوال هذه الدنيا مهما طال عمرها.
ألم تلفظهم؟	جملة فعلية استفهامية بصيغة المضارع في الحاضر والمستقبل.	01	دلّت على رفضها، ولفظها لهم.
ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها.	جملة فعلية بصيغة الأمر	01	تقديم النصيحة.
واطلبوا الآخرة.	جملة فعلية بصيغة الأمر	01	نصحهم بطلب الآخرة والسعي إلى تحقيق الفلاح فيها.
إنّ الله ضرب لها مثلاً	جملة فعلية منسوخة ب: (إنّ)	01	تأكيد المعنى على أنّ الحياة الدنيا لا تساوي شيئاً.
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ	جملة فعلية بصيغة الأمر.	01	في هذا النصّ دلالة على هوان الدنيا على الله تعالى.

			أنزلناه من السماء.
وهنا دلالة واضحة على الحياة الطبيعية الزائلة.	01	جملة فعلية بصيغة الفعل الماضي.	فاختلط به نبات الأرض.
دلالة على المصير المنتظر.	01	جملة فعلية ناقصة بصيغة الماضي.	فأصبح هشيماً تذروه الرياح.
دلّت على استمرارية قدرة الله عزّ وجلّ وديمومتها دون أيّ انقطاع.	01	جملة فعلية تامة ومعطوفة.	وكان الله على كلّ شيءٍ مقتدرًا.
دلّت دلالة قطعية على أنّ الدنيا دار غرور.	01	جملة اسمية تتكوّن من مبتدأ + كلمة معطوفة + خبرها، أي: مسند ومسند إليه.	المال والبنون زينة الحياة الدنيا.
دلّت دلالة قطعية على دوام الباقيات الصالحات وبقائها خالدةً.	01	جملة اسمية معطوفة على ما قبلها.	والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملاً.

- ومن الأسماء الواردة في هذا الخطاب: (دار قلعة، أعمار، آجال، الدنيا، الغرور، أبناء، إخوان، الله، الآخرة، ماء، السماء، نبات، الأرض، الرياح، المال، البنون، الصالحات...)
- ومن أسماء الجلالة المذكورة في هذا الخطاب: (الله)، 07 (سبع مرّات).
- ومن المصادر: (الحياة، زينة، ثوابًا، أملاً...)

- ومن الصفات: (هشيمًا، مقتدرًا،...)
- ومن الأدوات والحروف المستعملة في هذا الخطاب:
حروف الجرّ:
 - الفاء: 02 (مرّتان).
 - الباء: 06 (ست مرّات)
 - على: 03 (ثلاث مرّات)
 - عن: 01 (مرّة واحدة)
 - الكاف: 01 (مرّة واحدة)
 - اللّام: 01 (مرّة واحدة)
- حروف العطف:
 - الواو: 14 (أربعة عشرة مرّة)
 - الفاء: 07 (سبع مرّات)
 - ثمّ: 01 (مرّة واحدة)
 - للرّبط : (حيث)، 01 (مرّة واحدة)
- الاستفهام:
 - أم: 01 (مرّة واحدة)
 - ألم: 01 (مرّة واحدة)
- الاستفتاح:
 - ألا: 01 (مرّة واحدة)
- الضمائر المنفصلة والمتصلة:
 - المنفصلة:
 - هو: 01 (مرّة واحدة)
 - المتصلة:
 - الكاف + الميم: (للجمع المخاطب)، 06 (ست مرّات).
 - الهاء + الميم: (للجمع الغائب)، 02 (مرّتان).
 - الهاء: (للغائب)، 02 (مرّتان).
 - الهاء: (للغائبة)، 06 (ست مرّات).
 - الكاف (للمخاطب)، 01 (مرّة واحدة).

- التاء + الميم: (للجمع المخاطب)، 02(مرتان).

وإلى جانب: (لقد)؛ والمتكوّنة من اللّام التي تستعمل لتوكيد الفعل + الحرف: (قد):
مرّة واحدة؛ والتي تفيد التّحقيق في الزّمن الماضي والتّقليل في الزّمن الحاضر.
تداعيّات الحروف والأدوات: من الحروف والأدوات المستعملة في هذا الخطاب قد يمكن لنا
تجميع بعض الكلمات المفيدة في حياتنا؛ وأهمّها: الكلمة الشّاملة (ألا وإنّكم فيها)؛ أي: في
دار الحياة الدّنيا؛ والتي هي: (دارُ العُرور).

رابعًا: الخطبة الرابعة:

1- في الاستهلال: الشّيء نفسه مع الخطب الثلاث.

2- في المتن:

الجملة الفعلية: الأفعال الواردة في هذا الخطاب؛ هي كلمات تؤكّد الزّمن والحدث معًا؛ منها
ما يشير إلى الزّمن الماضي، ومنها ما يشير إلى الزّمن الحاضر والمستقبل، ومنها ما يكون
في المستقبل فقط؛ وهي كالتّالي:

فعل الأمر: أوصيكم، اتقوا الله، وراقبوه، واعملوا، اقرأوا كتابيه؛ ويشير بعضها إلى الحاضر
والآخر إلى المستقبل.

الفعل المضارع: يعالج، يصل، لا يقرع، ولا يهاب، ولا يقبل، ولا يأخذ، ولا يرحم، ولا يوقر،
يودّيك، لم يقنع، لم يمتّع، تسير فيه، تشقّق، تتطّير، لم أوت، نسأل، يقينا، لا يأتيه...

وكّلها تشير إلى الحاضر والمستقبل في الوقت نفسه.

الفعل الماضي: بشكله التّامّ والعادي؛ مثل: (هجمت، عظمت، جمع، وافى، أتاك، أضحوا،
وعدّ...)، وبشكله الناقص؛ مثل: (صار).

3 - وفي الخاتمة: كان الدّعاء عن طريق استعمال الجملة الفعلية؛ أي: الفعل المضارع

(نسأل من وعدنا بإقامة الشّرائع جنّته)، والرّجاء في الجملة الفعلية بالفعل المضارع

المنصوب بـ: (أن)؛ وهي: أن يقينا سخطه.

- الجمل الاسميّة: تعدّ الجمل الاسميّة أكثر دلالةً وتأكيدًا للمعنى أكثر من الجمل الفعلية،
ومن الجمل الاسميّة الواردة في هذا الخطاب ما يلي:

- الجمل الاسميّ المنسوخة بإنّ أو أحد أخواتها:

- إنّه من فرط في عمله.

- كأني بك وقد أتاك رسول ربك.

- المسند والمسند إليه: تمثلت الجملة الاسميّة المتكوّنة من المسند والمسند إليه في العبارات التّالية:

- أرجاؤها موحشة: من الفقرة التّانية؛ والتي تتحدّث عن القبر الذي يضمّ جسم الإنسان بعد مماته في عالم البرزخ.

- وأنتم بكأسهم شاربون: من الفقرة التّالثة؛ حيث المسند (أنتم) كضمير منفصل يشير إلى جمع المخاطب شاربون لكأسهم؛ أي أنكم صائرون إلى المصير المحتوم نفسه، وهو ما صارت إليه الأمم السّابقة، وفيه التّقديم والتّأخير ما يحقّق دلالة المعنى أكثر في تحديد هذا المصير. - ولسيبيلهم سالكون: من الفقرة نفسها؛ وفيه تقديم وتأخير كمظهر بلاغيّ؛ ممّا يؤكّد معنى معيّنًا بهذه الشّكلة بطريقة أفضل من أن يقال: (سالكون لسبيلهم).

وكان استعمال الجملة الاسميّة في نهاية الخاتمة؛ والمتمثّلة في قوله: (إنّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزِيل من حكيم حميدٍ في شكل تضمينٍ لما جاء فيها كمسكك للختام.

- أسلوب النّداء: ورد هذا الأسلوب في فقرات هذا الخطاب على الشّكل التّالي:

- عباد الله: ظهر أسلوب النّداء في العبارة (أوصيكم عباد الله بتقوى الله)؛ وإنّ اختفت من هذه العبارة أداة النّداء (يا) لأنّ المعنى المفروض أن يكون (أوصيكم يا عباد الله بتقوى الله...).

- أيها اللّاهي الغارّ بنفسه: توفّرت جميع أدوات أسلوب النّداء هنا في هذه العبارة لتنبية المستمعين بضرورة الاهتمام بما يقال في الخطبة.

- عباد الله اتّقوا الله: في الفقرة التي سبقت الخاتمة ظهر أسلوب النّداء مرّةً أخرى دون استعمال أداة النّداء (الياء)، ومع ذلك هناك تنبيه للحاضرين بضرورة الاهتمام بما يقال لهم. - أسلوب الاستفهام: تمثّل أسلوب الاستفهام في عدة مواضع من هذا الخطاب؛ ونذكره كالآتي:

- أين التعب بالليل والنّهار؟

- أين من سعى واجتهد؟
- أين من قاد الجيوش ونشر البنود؟
- فأَيَّ رجلٍ يومئذٍ تُرَاك؟
- أقائلُ: هاؤم اقرؤوا كتابيه؟
- أم ياليتني لم أوت كتابيه؟

وقد استعملت أداة الاستفهام (أين) في ثلاثة مواضع منها، بينما استعملت الأداة (أي) في العبارة الرَّابِعة. أمَّا العبارة الخامسة فاستعمل الألف (أ)، وفي العبارة السادسة استعملت الأداة (أم) للخيار.

- أدوات الربط:
- حروف العطف:
- الواو:
- الفقرة الأولى: ذكر 10 مرّاتٍ.
- الفقرة الثانية: ذكر 7 مرّاتٍ.
- الفقرة الثالثة: ذكر 6 مرّاتٍ.
- الفقرة الرَّابِعة: ذكر 4 مرّاتٍ
- وفي الخاتمة: ذكر 3 مرّاتٍ.
- الفاء:
- الفقرة الأولى: ذكرت الفاء 4 مرّاتٍ.
- الفقرة الثانية: لم تذكر مطلقاً.
- الفقرة الثالثة: لم تذكر نهائياً.
- الفقرة الرَّابِعة: ذكرت مرّةً واحدةً.
- وفي الخاتمة: لم تذكر نهائياً.
- أدوات النَّصْب في الجملة الفعلية:
- في الفقرة الأولى: لم تذكر مطلقاً.
- الفقرة الثانية: ذكرت مرّةً واحدةً (حتى يؤدِّيك)
- الفقرة الثالثة: لم تذكر مطلقاً.
- الفقرة الرَّابِعة: لم تذكر مطلقاً.

- وفي الخاتمة: ذكرت مرّة واحدة في قوله: (أن يقينا سخطه).
- أدوات الجزم:
- لم: ذكرت 4 مرّات في الفقرة الأولى في قوله: (لم ينتفع بعمله)، وفي الفقرة الثالثة في عبارة: (وبالقليل لم يقنع) و: (بالكثير لم يمتنع)، وفي الفقرة الرابعة في عبارة: (لم أوت كتابيه).
- حروف الجرّ:
- الباء:
- الفقرة الأولى: ذكرت في عبارة: (يتقوى الله)، وفي عبارة: (ينفسه) وفي عبارة: (بالليل والنهار)، وفي عبارة: (الغدوّ بالزّواج)، وفي عبارة: (والمساء بالصّباح)، وفي عبارة: (ينفسه رزيته)؛ أي بمعدّل (6 مرّات)
- الفقرة الثانية: ذكرت مرّتين في قوله: (الغار بنفسه)، و: (كأنّي بك).
- الفقرة الثالثة: ذكرت مرّتين في عبارة: (وبالقليل لم يقنع)، وفي: (وبالكثير لم يمتنع).
- الفقرة الرابعة: ذكرت في عبارة: (وتشقق السّماء بالغمام).
- وفي الخاتمة: ذكرت الباء مرّة واحدة في قوله: (بإقامة الشرائع).
- عن: ذكرت في الفقرة الثانية في عبارة: (عنك بديلا)، وفي الفقرة الرابعة في فقرة: (عن الأيمان والشّمائل).

من: ذكرت (من) في:

- الفقرة الأولى في عبارة: (من وراء الجبال).
- وفي الفقرة الثانية في عبارة: (منك كفيلاً).
- وفي الخاتمة في قوله: (من بين يديه، ولا من خلفه) و (من حكيم حميد).
- الكاف: ذكرت مرّة واحدة في عبارة (كفعله بالأمر السابقة) من الفقرة الثانية للمتن.
- اللّام: ذكرت مرّة واحدة في الفقرة الرابعة في عبارة: (لليوم الذي تسير فيه الجبال).
- إلى: ذكرت مرّة واحدة في الفقرة الثانية في قوله: (إلى قعر مظلمة).

لام النّافية: ذكرت في الفقرة الثانية 6 مرّات في العبارات التالية:

- لا يقرع لك باباً.
- لا يهاب لك حجاباً.

- لا يقبل لك بديلاً.
- لا يأخذ منك كفيلاً.
- لا يرحم لك صغيراً.
- لا يوقر لك كبيراً.
- قد: ذكرت قد مع الفعل الماضي (أتاك) في عبارة: (قد أتاك رسول ربك)؛ وهي تفيد التحقيق في هذا الوضع إشارة إلى أن ملك الموت لا يغادر أحداً من الخلق في أن يقبض روحه ويعيدها إلى بارئها مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)﴾.¹
- أسماء الوصل:
- (من)؛ وقد ذكرت كالتالي:
- الفقرة الأولى: ذكرت مرة واحدة في قوله: (إنه من فرط في عمله).
- الفقرة الثالثة: ذكرت مرتين في عبارة: (أين من سعى؟)، وفي عبارة: (أين من قاد الجيوش)؟
- الضمائر: وهي قسمان: (منفصلة، ومتصلة).
- الضمائر المنفصلة: ذكر واحد منها في متن هذا الخطاب؛ ويتمثل في قوله: (أنتم بكأسهم شاربون)؛ وهذا في الفقرة الثالثة منه فقط، غير أنه هناك من الضمائر المستترة ما يعود على الضمير الغائب؛ مثلما جاء في قوله: أين من سعى واجتهد؟ وأين من قاد ونشر؟؛ وكله تعود على الضمير الغائب (هو).
- الضمائر المتصلة: ذكرت في العديد من المواضع ملتصقة بالأدوات والأفعال والأسماء أو الصفات والمصادر؛ وهي على الشكل التالي:

الجدول التوضيحي

مع الأدوات	الموضع	مع الأفعال	الموضع	مع الأسماء والصفات والمصادر	الموضع
إنه من فرط...	الفقرة (1)	أوصيكم	الفقرة (1)	نفسى، طاعته، عمله، أمله، منيته،	الفقرة (1)

¹ - السجدة: 11.

	نفسه، رزيته؛ وهذا في الفقرة الأولى.				
الفقرة (2)	بنفسه، بك، رسول ربك، أرجاؤها، كفعله.	الفقرة (2)	أتاك، يؤدّيك.	الفقرة (2)	كأنّي، بك، أتاك، ربك، لك، باباً، لك، حجاباً، عنك، منك، لك صغيراً.
الفقرة (3)	بكأسهم شاربون، لسبيلهم سالكون.	الفقرة (3)	أضحوا رفاتاً.		(فيك) كبيراً.
الفقرة (4)	كتابيه (اقرأوا كتابيه، لم أوت كتابيه).	الفقرة (4)	اتقوا الله، وراقبوه، اعملوا، تراك.		
الخاتمة	جنّته، سخطه، يديه، خلفه .				

أسماء الجلالة: ذكر اسم واحد من أسماء الجلالة؛ وهو: (الله) في المواضع التالية:

- الفقرة الأولى: مرتان في قوله: (تقوى الله ، عباد الله).
- الفقرة الرابعة: مرتان في قوله: (عباد الله، اتقوا الله).
- الخاتمة: مرّة واحدة في قوله: (كتاب الله).
- وهناك أدوات تدلّ على الله عزّ وجلّ؛ مثلما جاء في قوله: (نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنّته أن يقينا سخطه)؛ وهي: (من، الهاء في كلمة الجنّة والسخط)، وهنا إشارة واضحة من هذا الدعاء أنّ الله عزّ وجلّ وعد عباده المؤمنين بجنّة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ وهي جنّة عرضها السماوات والأرض أعدت لعباده المؤمنين المتّقين مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُنْفِقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)»¹.

-الأسماء المعرفة بـ: (أل التعريف) والأسماء المعرفة بالإضافة: شمل هذا الخطاب الكثير من الأسماء المعرفة (بأل) التعريف، وهناك الكثير من الأسماء المعرفة بالإضافة لتوضيح وتأکید المعنى من خلالها، والجدول التوضيحي يحدّد ذلك.

الجدول التوضيحي:

الموضع	الأسماء المعرفة بالإضافة	الموضع	الكلمات المعرفة بأل
الفقرة الأولى	عباد الله، نفسي، تقوى الله، لزوم طاعته، تقديم العمل، ترك الأمل، عمله، أمله، للجبج البحار، مغاور القفار، وراء الجبال، محقرات الأرياح، منيته، بنفسه، رزيتته.	الفقرة الأولى.	التعب، الليل، النهار، المقتحم، الرمال، الغدوّ، الرواح، المساء، الصّباح، القيامة.
الفقرة الثانية.	نفسه، رسول ربك،	الفقرة الثانية.	اللاهّي، الغاز، الأمم الخالية، القرون الماضية.
		الفقرة الثالثة.	القليل، الكثير، الجنود، البنود، الثرى.
الفقرة الرابعة.	عباد الله.	الفقرة الرابعة.	الله، اليوم، الجبال، السماء، الغمام، الكتب، الأيمان، الشّمائل.
الخاتمة	إقامة الشرائع، جنّته، سخطه، أحسن الحديث، أبلغ الموعظة، كتاب الله، يديه، خلفه.	الخاتمة	الباطل.

- وفي الخاتمة: ذكرت مرّة واحدة في قوله: (نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنّته).
- ما: ذكرت مرتين في عبارتي: (ما جمع بوراً، وما كسب غروراً) من الفقرة الأولى.

¹- آل عمران: 133، 134.

الذي: ذكرت مرة واحدة في الفقرة الرابعة؛ وهذا في عبارة: (الذي تَسِير فيه الجبال)، ومرة أخرى في الخاتمة في قوله: "كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه...".

الخلاصة العامة:

كانت عملية تركيب الجمل وال فقرات في هذه الخطب على شكل جمل اسمية و فعلية وحروف وأدوات استعملت للربط والنصب والجزم والجر...، إلى جانب بعض الصفات والمصادر... وكلها كانت مجتمعة من أجل الوصول إلى تحقيق معانٍ مختلفة لكل خطبة من هذه الخطب التي تختلف معانيها عن الأخرى وإن اشتركت في بعض المقومات التركيبية فيما بينها.

- **في الخطبة الأولى:** كل ما كَوّن الجانب التركيبي من ألفاظٍ مختلفة؛ مثل: الأفعال والأسماء والمصادر والصفات والأدوات المختلفة؛ كَلَّه كان يشير إلى السعي إلى الاهتمام بشؤون الرعية، وتحقيق العدل والمساواة بين الغني والفقير والقوي والضعيف وإلى محاربة الآفات الاجتماعية (فاحشة الزنى)، وكذا التولي يوم الرحف.

- **وأما في الخطبة الثانية؛** كانت الألفاظ باختلاف أشكالها تشير إلى الغلظة على النفس قبل كل شيء؛ وهي التي شكّلت الجانب التركيبي من هذا الخطاب، وكانت تهدف إلى تحقيق دولة قوية تحارب الفساد بكل أشكاله عن طريق السعي إلى تحقيق البر والتقوى والخوف من الله عز وجل.

- **وفي الخطبة الثالثة؛** كانت الألفاظ المستعملة فيها باختلاف أشكالها دعوة إلى التدبّر في هذه الدنيا الفانية والاعتبار بالأمر الغابرة والتي رمت بهم إلى الدمار والهلاك مثل من سبقهم من الأمم السابقة؛ مثلك عاد وثمود، وفرعون وملاه... إلخ.

- **وفي الخطبة الرابعة؛** كانت ألفاظها دعوة إلى التمسك بتقوى الله عز وجل وتقديم الأعمال الصالحة قبل فوات الأوان عن طريق الاستعداد للرحيل إلى العالم الآخر والاعتبار بالأمم السابقة والحذر من أهوال يوم القيامة؛ مثل تشقّق السماء بالغمام وتطاير الصحف... واختتمت بدعاء الله تبارك وتعالى أن يرحم خلقه وبقيةهم سخطه ويدخلهم جنّته التي وعد عباده المتقين بها، ونعم الجزاء هي لهؤلاء المتقين.

وعلى العموم فإن استعمال الجمل الاسميّة في الخطب يؤكد المعاني ويحقّق المزيد من الدلالات أكثر من الجمل الفعلية؛ كما هو الشأن في الخطبة الثانية التي تشير إلى الغلظة في الحكم ولو على النفس ذاتها، وعلى الولد والأهل والأقارب. وما يمكن أن يقال على العموم في المتن في الخطابات الأربع قد تقاسمتها الأفعال باختلاف أشكالها، والأسماء؛ وأهم ما تميّز به استعمال بعض الأساليب الإنشائية لدعوة الناس إلى الامتثال إلى موضوعات تلك الخطابات وما جاء فيها من أمورٍ مختلفة على كثيرٍ من الأصعدة دينية كانت أم اجتماعية؟ ومن ذلك مثلاً استعمال عبارة: (أيها الناس)؛ وهي: من أساليب النداء بغية جلب انتباه المستمعين أو المتلقين لما جاء من أمورٍ هامة في كلّ الخطابات تفيدهم في الدنيا والآخرة معاً مثل العمل إلى تحقيق البرّ والتّقوى.

رابعاً: المستوى الدلالي. يتوقف الخطاب الأدبي على نوعين من الأسلوب؛ وهما:

1- الأسلوب الإنشائي: وهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته.

2- الأسلوب الخبري: وهو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته.

وفي الدراسات اللغوية الحديثة والمعاصرة، ولا سيما الدرس الدلالي الذي يقوم على ثنائية (الدال والمدلول)؛ وهما اللذان يساعدان على الخروج بالنص الأدبي إلى حقول دلالية متعدّدة تساهم في تحقيق المعنى، أو حتى الوصول إلى تحقيق معنى المعنى.

وفي هذا الإطار ينبغي أن نجري بعض التطبيقات على المستوى الدلالي على خطب المدونة؛ وهذا على الشكل التالي:

أولاً- الحقول الدلالية: نتناول هذا الشيء على شكل جداول تساهم في تحقيق الدلالة المرجوة من هذه الدراسة بطريقة أفضل.

الخطبة الأولى:

الجدول التوضيحي.

العبارة المستعملة	الحقل الدلالي	الدال	عدده	المدلول
وليتّ عليكم	سياسي	وليت من (الولاية)	01	البيعة العامة.

المساواة بين الناس.	01	لست بخيركم.	اجتماعي	لست بخيركم.
العدالة والمساواة.	01	الضعيف.	سياسي/ اجتماعي	الضعيف فيكم قوي عندي.
العدالة والمساواة.	01	القوي.	اجتماعي	والقوي فيكم ضعيف عندي.
العدالة والمساواة.	01	القوي.	سياسي/ اجتماعي	والقوي فيكم ضعيف عندي.
الدفاع عن الإسلام وحدود الدولة الفتية من مخاطر المناوئين لها كالفرس والبيزنطيين.	01	لا يدع فيكم الجهاد في سبيل الله.	ديني.	الجهاد في سبيل الله.
من مخاطر المناوئين لها كالفرس والبيزنطيين.	01	لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل.		
الدعوة إلى التخويف من ارتكاب فاحشة الزنا، ومناهضتها حتى نتجنب العقاب في الدنيا والآخرة.	01	تشيع الفاحشة.	ديني	لا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم بالبلاء.
وهنا دلالة واضحة على أن طاعة الله ورسوله تؤدي إلى الفوز برضى الله.	01	طاعة الله ورسوله	ديني.	أطيعوني ما أطيع الله ورسوله.
وهنا دلالة صريحة على الحصول على سخط الله وغضبه نتيجة	01	معصية الله ورسوله.	ديني.	فإن عصيت الله ورسوله.

معصيته جلّ وعلا.				
---------------------	--	--	--	--

الخطبة الثانية: تتضح الحقول الدلالية التي تشملها الخطبة في الجدول التوضيحي التالي:

الجدول التوضيحي:

العبارة المستعملة	الحقل الدلالي	الدال	العدد	المدلول
إني داع فأمّنا.	ديني	داع + أمّنا	02(مرّتان)	دعاء الله تعالى.
اللهم	ديني	أسلوب النداء	08(مرّات)	دعاء الله ورجاؤه.
الغلظة	ديني	إني غليظ، الغلظة والشدة.	03(مرّات)	الغلظة والشدة في الحقّ قولاً وفعلاً.
اللين	ديني	ليني لأهل طاعتك. لين الجانب وخفض الجناح.	03 (مرّات)	اللين مع أهل الإيمان.
الطاعة	ديني	أهل طاعتك. العمل بطاعتك. البرّ والتقوى.	03 (مرّات)	السّير على الطّريق المستقيم.
التلاوة	ديني	لما يتلوه لساني من كتابك. التدبّر والتفكّر. الفهم له. معرفة معانيه. النظر في عجائبه. العمل بذلك ما بقيت.	07 (مرّات)	السعي إلى تحقيق تدبّر آيات القرآن الكريم، ومحاولة فهمها، والعمل بها بما يرضي الله تبارك وتعالى، وبما يرضي رسوله.

وجهك والآخرة.	دينيّ	ابتغاء وجهك والدار الآخرة. أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة.	02(مرّتان)	وهو عزّ الطلب.
احتقار النفس	دينيّ	محاسبة النفس من غير ظلم منّي. ولا اعتداء عليهم.	02(مرّتان)	إصلاح النفس وتوقيفها عند حدودها المشروعة.
ذكر الله	دينيّ	ألهمني ذكرك. وذكر المقام بين يديك.	02 (مرّتان)	ذكر الله في السرّ والعلن.

الخطبة الثالثة: يمكن توضيح الحقول الدلالية التي تشملها الخطبة الثالثة بالجدول التالي.

الجدول التوضيحي:

العبارة المستعملة	الحقل	الدال	العدد	المدلول
إنّ هذه الدنيا طويّت على العُرور.	دينيّ	لا تغرّركم لا يغرّركم.	02(مرّتان)	فهي دنيا غرورة.
لا تغفلوا	دينيّ	لا تغفلوا لا يغفل عنكم.	02 (مرّتان)	الحذر من الغفلة. الحذر من الموت.

الخطبة الرابعة: بهذا الجدول التوضيحيّ تتضح الحقول الدلالية المطلوبة في هذه الخطبة.

الجدول التوضيحي:

العبارة المستعملة	نوع الحقل	الدال	العدد	المدلول
الوصية بالتقوى.	دينيّ	تقوى الله وطاعته.	02(مرّتان)	السعي إلى تحقيق التقوى.

		اتَّقُوا اللَّهَ وراقبوه.		
وهو المصير المحتوم.	03(مرّات).	هجمت عليه منيته. عظمت بنفسه رزقته. ووفى القيامة محسورًا.	دينيّ	ترقّب الموت.
وهي المرحلة المحتومة؛ أي: (الحياة البرزخية).	04(مرّات).	قعر مظلمة. أرجاءها موحشة. أضحوا رفاتًا. تحت الثرى أمواتًا.	دينيّ.	الحذر من القبر.
أهوال يوم القيامة.	03(مرّات).	اعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبالُ. تشقق فيه السّماءُ بالغمام. تتطاير فيه الصّحفُ يمينًا وشمالًا.	دينيّ.	هول العالم الآخر.
النّجاة من سخطه، والفوز بجنّته.	02 (مرّتان).	نسأل من وعدنا الشّرائع جنّته. أن يقينا سخطه.	دينيّ.	الدّعاء.

والخلاصة التي تستنتج من هذه الجداول الأربعة نصل بها إلى أنّ ما يغلب على الحقول الدلالية هو الطابع الديني؛ وذلك أنّ هذا الشيء - من المؤكّد - أنّه يضمّ في طيّاته الجوانب الأخرى من الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وهو كلّ متكامل بما يخدم الفرد والمجتمع، فتتحقّق المصلحتان الفرديّة والجماعيّة بما يرضي الله ورسوله، وبما يرضي البلاد والعباد معاً.

ثانياً: التناصّ ودلالاته.

2- 1 - مفهوم التناصّ:

أ - التناصّ لغةً: يقال: "تناصّ القوم عند اجتماعهم"؛ أي: اجتمعوا، ونصّص المتاع؛ أي: جعل بعضه فوق بعض، ونصّ الحديث إلى صاحبه؛ أي رفعه وأسنده إلى من أحدثه.¹
ب - التناصّ اصطلاحاً: يعود مصطلح التناصّ إلى مفهوم الحوارية لدى الناقد الروسي ميخائيل باختين؛ والذي يرى أنّ: "كلّ إنتاج لغويّ يرجع إلى حقل العبارات المستخدمة في مجتمع ما وفي فترة خاصّة من تاريخه."²

2- 2 - لمحة عنه: يعدّ النصّ الجديد خلاصة لما سبقه من كلماتٍ وعباراتٍ استعملت في السابق في مجتمع ما وفي فترة زمنيّة محدّدة، ويسعى النصّ الجديد بهذا من وراء توظيف هذه النصوص السابقة فيه إلى أن يعيد قراءتها ويؤكدّها ويعمّقها في الوقت نفسه.

ويمكن أن نجول باختصارٍ شديدٍ لمعرفة رأي الناقد ميخائيل باختين والناقدة جوليا كريستيفا فيما يخصّ ضرورة استعمال التناصّ في كلّ إبداعاتنا الأدبيّة.

- فميخائيل باختين: وهو الناقد الروسي فيري أنّه: "لا مناص من التناص." حيث أنّه لا يوجد بريئاً في التناص ما عدا آدم - عليه السّلام - فأدم فقط فهو الشّخص الوحيد الذي كان يستطيع أن يتجنّب تماماً إعادة التّوجيه المتبادلة فيما يخصّ الخطاب الآخر الذي يقع في الطّريق إلى

¹ - ابن منظور محمّد بن مكرم بن عليّ جمال الدّين، (أبو الفضل): لسان العرب، المجلّد السادس، باب نصّص، دار صادر - بيروت - لبنان، طبعة رقم: 01، تاريخ الطّباعة: 1976 م، ص: 4444.

² - نبيل عليّ حسين: دراسة تطبيقيّة في شعر شعراء النّقائض: (جرير - الفرزدق - الأخطل)، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع - عمّان - الأردن، الطّبعة الأولى، تاريخ النّشر: 1431 هـ / 2010 م، ص: 33.

موضوعه؛ ذلك أنّ آدم كان يقارب عالماً يتّسم بالعذوبة، ولم يكن أحدٌ قد تكلم فيه من قبل.¹ (*)

وبعدّ عالم آدم عليه السّلام عالماً فريداً من نوعه باعتباره أنّه أبو البشر؛ ولذا فكلامٌ صادرٌ عنه يعتبر الكلام الأوّل في هذا الكون، فهو الذي علّمه الله ما لم يعلم، ولعلّ ما جاء في القرآن الكريم يوضّح ذلك؛ حيث يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾. [البقرة: 31، 32]؛ ويدلّ هذا الشّيء حينئذٍ دلالةً قطعيةً على ذلك، وكلّ ما سيجيئ بعده إذاً لا مناص له من التّهرب من التّناصّ.

- أما جوليا كريستيفا: وهي ناقدة بلغارية-فرنسيّة الجنسيّة- فتري أنّ: "التّناص يعيد توزيع نظام اللّسان بواسطة الرّبط بين كلامٍ تواصلِيّ يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماطٍ عديدةٍ من الملفوظات السّابقة له، أو المتزامنة معه..."² (**)

وإذاً فإنّ النّص الأدبيّ يصبح أفقاً مفتوحاً تتقاطع عبره جملة من النّصوص الغائبة لتتشكّل فضاءاتٍ واسعةً من المدلاولات والرّموز فتمنحه إمكاناتٍ تراثيّةً واسعة الآفاق.

وقد عُرف التّناص في التّراث العربيّ بكثيرٍ من المسمّيات مثل: (الاقتباس، التّضمين، النّسج على المنوال، السرقات الأدبيّة...)؛ وهو ما يؤكّد على أنّ العرب القدماء كانوا على درجةٍ من الوعي والعلم والمعرفة.

¹ - موسى لعور: البيانات التّناصيّة في شعر أحمد سعيد، أدونيس (دراسة سيميائيّة)، مطبعة مزوار- الوادي-

الجزائر، الطّبعة رقم: 01، تاريخ النّشر: 2009 م، ص: 45. - بتصرّف-

(*) وبالتالي فعالم آدم - عليه السّلام- يعدّ عالماً خاصّاً ومميّزًا باعتبار أنّه أوّل الخلق على سطح هذه الأرض.

² - أسامة حيقون: أطروحة دكتوراه بعنوان: (التّناصّ وأشكال السرقات الأدبيّة في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني)، تخصّص: أدب عربيّ قديم ونقده، إشراف الأستاذ الدكتور: صالح مفقودة، جامعة محمّد خيضر-بسكرة - كليّة الآداب واللّغات، قسم الأدب واللّغة العربيّة، الموسم الجامعيّ: 2019 م / 2020 م، ص: 18.

(**) وقد تمكّنت جوليا كريستيفا البلغاريّة الأصل، والفرنسيّة الجنسيّة من تحويل مفهوم الحواريّة إلى نظريّة متماسكةٍ

تحدّد أوليّات التّناصّ وإدخاله إلى عالم الدّراسات التّقديّة منذ السّنينيّات من القرن الماضي؛ ينظر: نبيل عليّ

حسين، دراسة تطبيقيّة في شعر النّقائض: (جرير والفرزدق والأخطل)، ص: 34. - بتصرّف -

2- 3- أقسامه: هناك عدّة تصنيفات للتّناص؛ إلاّ أنّ أهمّها ماكان مباشراً وغير مباشرٍ.

أ - أمّا التّناص المباشر: فيقتبس فيه النّصُّ بلغته الّتي ورد بها مثل: الآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث والأشعار والقصص.¹ ويتكوّن من ملفوظين أو أكثر قائماً على التراكيب الواضحة المعالم والّتي يمكن نسبتها إلى قائلها، وبتعبير آخر هو تناصُّ تامّ المعالم.

ب - وأمّا التّناص غير المباشر: فتتضمّن الأشعار عادةً، وتوحي به دون تصريحٍ تركيبّي واضح، أو لفظيٍّ مباشرٍ، ويتعلّق هذا النوع من التّناص بالفكرة أو اللّغة أو الأسلوب.² (*)

ثانياً- تطبيقات تناصيّة على خطب المدوّنة.

الخطبة الأولى:

الجدول التّوضيحي:

1 - المقدّمة:

الحالة	النّصّ الجديد.	النّصّ السّابق.	الدّلالة.
01	إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ.	وقد تتناصّ هذه العبارة تناصّاً كاملاً مع قوله تبارك وتعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾. [الفاحة: 02]. وقد تتناصّ مع قوله تعالى أَيْضاً: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي	لا شك في أنّ الحمد لا يكون إلاّ لله وحده في كلّ الأحوال السّراء منها والضّراء؛ ففي حالة السّراء هي اعترافٌ بفضل الله تبارك وتعالى على عباده وبما أنعم عليهم من نعمٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ؛ وهذا

¹ - عمر أحمد الرّيبحات: رسالة ماجستير بعنوان: (الأثر التّوراتي في شعر محمود درويش، جامعة مؤتة، الأردن، تاريخ المناقشة: 2017 م، ص: 124.

² - نفسه، ص: 124. - بتصرّف-

(*) وهو ما يذكر فيه أحد مستلزمات النّصّ فقط؛ ممّا يتطلّب قارئاً متميّزاً لاستنتاج المعاني وتحقيق دلالاتها.

<p>مصدقًا لقوله عز وجل: ﴿وَعَاتِلْكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ ۖ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، [إبراهيم: 3]، أو مصداقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، [النحل: 18]. أما في حالة الضراء فلا ملجأ منه إلا إليه؛ وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَطَنُّوْا أَن لَّا مُلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾، [التوبة: 118]. وإذا يكون فالحمد لله وحده؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۗ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾، [الزمر: 74]. بينما يشترك في الشكر الكثير.</p>	<p>هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾، [يونس: 43]. وقد تتناص مع قوله تعالى: ﴿فَقَطِّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۗ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، [الأنعام: 45]. وقد ذكرت هذه العبارة كثيرًا في القرآن الكريم؛ ولا سيما في بداية الكثير من السور القرآنية؛ مثل: سورة (الأنعام، سبأ، فاطر...); وهي ومما لا شك فيه أنها تتناص مع العبارة التي ذكرت في هذه الخطبة تناصًا كاملاً. كما أنها ذكرت داخل بعض السور القرآنية الكريمة؛ مثل قوله تعالى: ﴿دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، [يونس: 10]، ومثل قوله: ﴿وَقَالُوا أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۗ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، [فاطر: 34]... الخ.</p>		
<p>والملاحظ هنا أن طلب العون لن يكون إلا من الله وحده لأنه هو الوحيد القادر على تحقيق ذلك.</p>	<p>تتناص هذه العبارة مع قوله تعالى: ﴿...وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، [الفاتحة: 04]</p>	<p>نستعينه.</p>	<p>02</p>

<p>وهنا إشارة واضحة من أنّ العبد إذا تاب إلى ربه الذي يتوب عليه؛ لأنّه هو التّوّاب الرّحيم.</p>	<p>قد تتناصّ بشكلٍ ما مع قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾، [التّوبة: 74].</p>	<p>03 نتوب إليه.</p>
<p>إنّ دلّت عبارة (من يهد الله فهو المهتدي، أو المهتدي)؛ فإنّما تدلّ على أنّ من أراد الله به خيراً يهده إلى الطّريق المستقيم.</p>	<p>تتناصّ هذه العبارة مع قوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، [الأعراف: 178]، أو مع قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾، [الكهف: 17]، والآيات كثيرة في هذا الشّأن لا يمكن الإشارة إليها كلّها.</p>	<p>04 من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له.</p>
<p>وهنا نلاحظ وجود ضمير الشّأن (هو) في كلّ هذه الآيات القرآنيّة الكريمة؛ وهو الذي يعود على الذات العليّة؛ إذ أنّ الله هو الذي لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له، خالق جميع هذه الكائنات، وهذا الكون العظيم. وهذا الشّيء يحقّق وحدانيّة الله جلّ وعلا.</p>	<p>قد تتناصّ تناصّاً غير تامّ مع قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾، [البقرة: 255]. وكذلك مع قوله تعالى أيضاً: ﴿أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، [آل عمران: 01]. وكذلك مع الآية القرآنيّة الكريمة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، [آل عمران: 18].</p>	<p>05 أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له.</p>

	<p>و مع قوله أيضاً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، [النساء: 86].... إلخ. وقد تتناص مع الحديث النبوي الشريف¹</p>		
<p>وهنا نجد إشارة واضحة وضوحاً تاماً؛ والتي تؤكد نبوة محمد ﷺ؛ وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، [الأحزاب: 40].</p>	<p>قد تتناص تتناصاً غير تام مع قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، [الفتح: 29]. وقد تتناص مع قوله ﷺ: " بني الإسلام على خمس: " شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة... إلخ. " ²</p>	<p>وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.</p>	<p>06</p>

ب المتن:

- الحالة رقم: 01.
- النص الجديد: لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل.

¹ - حديث نبوي شريف، رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - حيث قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " بني الإسلام على خمس: (شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)، رواه البخاري ومسلم.

² - الحديث النبوي الشريف نفسه الذي رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

النص القديم.	الدلالة.
<p>يتناص هذا القول مع قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۗ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)﴾.¹</p> <p>وقد تتناص هذه العبارات مع قوله تبارك وتعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۗ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)﴾.²</p>	<p>من الملاحظ أنه توجد دلالة قطعياً في هذه الآية القرآنية الكريمة على أن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ضد أعداء الإسلام هي تجارة رابحة بعد الإيمان بالله ورسوله، وهو ما يستوجب الجنة ونعيمها. وهناك دلالة واضحة في الآية الأخرى على أن في قتال الأعداء - وإن كان شيئاً مكروهاً للمسلمين - فيه معزة للإسلام والمسلمين معاً، وأن التخاذل والتولي يوم الزحف فيه إهانة لهم، وكم هي من إهانة؟ إنها والله لإهانة وهوان في الدنيا وإتها الويل والتبور في الآخرة طالما أن الواجب يحتم العمل على رد الظلم المسلط على المسلمين وعلى أهلهم من أطماع الفرس الساسانيين من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية، والروم البيزنطيين من الجهة الشمالية والشمالية الغربية.</p>

- الحالة رقم: 02.

- النص الجديد: لا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء

النص القديم.	الدلالة.
<p>تتناص هذه العبارة تناصاً شبه تاماً مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ</p>	<p>ويدل هذا النص على أن فاحشة الزنى إذا ما فشت في منطقة ما إلا عم الله</p>

¹ - الصف من الآية: (10) إلى الآية: (12).

² - البقرة: 216.

أهلها بالبلاء بالأمراض التناسلية الفتاكة في الحياة الدنيا، وتوعدهم بالويل والنّور في العالم الآخر.	الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) ﴿١
--	---

– الحالة رقم: 03.

– النصّ الجديد: أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله.

النصّ القديم.	الدلالة.
وتتناصّ هذه العبارة تناصًا تامًا مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (71) ﴿٢	إن دلّت هذه العبارة على شيء؛ إنّما تدلّ على أنّ طاعة الله ورسوله تؤدي حتمًا إلى الفوز بالدارين معًا؛ أي: التمتع بالطمأنينة في الدنيا، والاستقرار في نعيم الجنة؛ والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

– الحالة رقم: 04.

– النصّ الجديد: فإن عصيتُ الله ورسوله.

النصّ القديم.	الدلالة.
وتتناصّ هذه العبارة تناصًا غير كاملٍ مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (23) ﴿٣	وإن دلّت الآية القرآنية الكريمة على شيء فإنّما تدلّ على أنّ معصية الله ورسوله تؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة. وكم من خسارة فادحة هي؟ إنّها ساعة ندم؛ حيث لا ينفع فيها الندم؛ وهذا مصدقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾،

1 – التور: 19.

2 – الأحزاب: 71.

3 – الجن: 23.

[الأنفال: 13].

ج- الخاتمة:

الحالة	النص الجديد.	النص القديم.	الدلالة.
01	وأستغفر الله لي ولكم.	وتتناص هذه العبارة تناصاً كاملاً مع قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (199). ¹ و كما تتناص تناصاً غير تامّ مع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. ²	وتدلّ عبارة: (أستغفر الله) دلالة قطعياً على أنّ الإنسان المسلم يكون بحاجة دائمة إلى طلب المغفرة من الله تعالى بسبب كثرة ذنوبه وسيئاته، والله تعالى يغفر الذنوب لمن كانت له القابلية على العودة والإنابة إليه؛ ذلك أنّه لا ملجأ من الله إلاّ إليه، ولا مفرّ منه إلاّ إليه.

الخطبة الثانية:

أ - المقدمة:

- الحالة رقم: 01، 02، 03، 04، 05.
- النصّ الجديد: "إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ.....وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله."
- النصّ القديم + الدلالة: الشّيء نفسه مع الخطبة الأولى.

ب - المتن:

- الحالة رقم: 01.

¹ - البقرة: 199.

² - النساء: 64.

- النَّصُّ الجَدِيدُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ.

النَّصُّ القَدِيمُ.	الدَّالَّةُ.
تتناصُّ هذه العبارة مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)﴾. ¹ أو أنها تتناصَّ مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾. ² والآيات كثيرة في هذا الشأن.	إنَّ أسلوب النداء يثير فضول المستمعين؛ وقد وردت هذه العبارة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة. وإنَّ استعمال مثل هذا النوع من الأساليب يدلُّ دلالة تامَّةً على حسن الإقتداء والاتباع لهذا الأسلوب في الخطاب الرِّبانيِّ، وعلى مدى تمسك الخطباء بهذا النوع من الخطابات لما له من أثرٍ على المتلقين، أو المستمعين. كما أنها تدلُّ على الطابع العالميِّ لهذه اللَّفظة؛ ممَّا يشير إلى عالميَّة الرِّسالة الإسلاميَّة.

- الحالة رقم: 02.

- النَّصُّ الجَدِيدُ: إِنِّي دَاعٍ.

النَّصُّ القَدِيمُ	الدَّالَّةُ
تتناصَّ هذه العبارة مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾. ³	وهذه هي دلالة قطعيَّة على أنَّ الإنسان بحاجة إلى الدَّعاء في كلِّ وقتٍ، وأفضل الدَّعاء هو الَّذي يكون في الرِّخاء قبل الشدَّة، وكما قيل: (الدَّعاء هو العبادة).

- الحالة رقم: 03.

- النَّصُّ الجَدِيدُ: اللَّهُمَّ.

1 - النِّسَاء: 01.

2 - الحجرات: 13.

3 - البقرة: 186.

النص القديم.	الدلالة.
تتناص هذه العبارة فيما جاء في القرآن الكريم في عدة مواضع؛ مثل قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (26).	وقد ذكرت لفظة (اللهم) في العديد من المواضع من القرآن الكريم. وهذا النوع من الخطاب هو من أساليب النداء والدعاء الذي تتخلله عملية الرجاء في الاستجابة.

- الحالة رقم: 04.

- النص الجديد: التدبر والتفكير في تلاوة كتابك.

النص القديم.	الدلالة.
تتناص هذه العبارات مع قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (24)، [محمد: 24]. وإن كانت على شكل مصادر مع ما ورد في الآية القرآنية الكريمة على شكل فعل مضارع مرفوع بثبوت النون؛ وهو فعل: (يتدبرون).	هي دلالة كبيرة على ضرورة وحتمية التدبر في آيات القرآن الكريم والتفكير فيها؛ لأن القرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي تحدى الإنس والجن في الحاضر والمستقبل، وفي هذا الشأن يقول تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (88)، [ص: 86].

- الحالة رقم: 05.

- النص الجديد: بعونك وتوفيقك.

النص القديم.	الدلالة.
﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ ﴾ (88) ¹ .	في كل الأحوال فالتوفيق يكون من عند الله تبارك وتعالى في الخير بعد أن

¹ - هود: 88.

<p>يلتجئ الإنسان المسلم إلى الله عزّ وجلّ بعد الاطلاع على سريرته، والله أعلم بسرّه وعلائيته قبل ذلك؛ بل هو أعلم بما هو أخفى من السرّ مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)﴾.¹</p>	
--	--

- الحالة رقم: 06.

- النصّ الجديد: من غير ظلمٍ متّي ولا اعتداء.

الدلالة.	النصّ القديم.
<p>وكما قيل في مثل هذا الخطاب: "الظلم ظلماتٌ يوم القيامة". ويأتي هذا الحديث وهو حديثٌ قدسيٌّ ودلالته واضحةٌ في أنّ الظلم يعود على صاحبه شؤماً ولو بعد حين في الدنيا قبل الآخرة لأنه اعتداءٌ على حقوق الآخرين؛ ولا سيما إن كان في حقوق الرعيّة، فانه يمهّل ولا يهمل، والجزاء من جنس العمل. وما دام الأمر كذلك وجب الامتثال إلى هذا الشّيء عن طريق تجنّب ظلم الناس لبعضهم البعض.</p>	<p>يقول الرسول ﷺ في حديثه القدسيّ: "يا عبادي إنّ حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا يا عبادي كلّكم ضالٌّ إلّا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلّكم جائعٌ ... ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه."² عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالى: "يا عبادي إنّ حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا، يا عبادي كلّكم ضالٌّ إلّا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلّكم جائعٌ إلّا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلّكم عارٍ إلّا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنّكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي لن</p>

¹ - طه: 7.

² - حديث قدسيّ رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذرّ الغفاريّ، وقم الحديث: 4680، رقم الصّفحة: 2577.

<p>تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتتفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخبيط إذا دخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه". رواه مسلم.</p> <p>حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، حدثنا مروان الدمشقي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة عن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه في هذا الحديث القدسي.</p>	
--	--

ج- الخاتمة: تتناص كلمة (غمرة) مع قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾،
[الذاريات: 11]، كما تتناص عبارة: (من الغافلين) مع قوله أيضاً: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾،
[الأعراف: 205]؛ وبالتالي فهناك مقارنة بين ما جاء في النصّ اللاحق والنصّ السابق في
وجوب تجنب غفلة القلوب عن الحقّ سواءً بالنسبة للفرد أو المجتمع.

الخطبة الثالثة:

أ - المقدمة:

- الحالة رقم: 01، 02، 03، 04، 05.

- النَّصَّ الجَدِيد: " إِنَّ الحَمْد للهوأشْهد أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ." -
- النَّصَّ القَدِيم+ الدَّلالة: الشَّيْءُ نَفْسُهُ مع الخطبة الأولى والثانية.

ب - المتن:

- الحالة رقم: 01.
- النَّصَّ الجَدِيد: إِنَّ الدُّنْيَا طُوِيَتْ عَلَى الغُرُور.

النَّصَّ القَدِيم.	الدَّلالة.
تتَنَاصَّ هذه العبارة مع قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ (20)﴾. ¹	وهي دلالة قطعية على أَنَّ الدُّنْيَا هي دار الغُرُور، وقليل من النَّاسِ من سلم من فتنتها؛ وهذه وصيةٌ غاليةٌ للمسلمين للحدز منها.

- الحالة رقم: 02.
- النَّصَّ الجَدِيد: فلا تَغْرَنَكُم الحَيَاةُ الدُّنْيَا.

النَّصَّ القَدِيم.	الدَّلالة.
تتَنَاصَّ العبارة السابقة مع هذه الآية القرآنية الكريمة تناصًا تامًا في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغْرَنَكُم الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾. ²	وهذا تناصٌ مباشرٌ تامٌ يؤكد دلالة قطعية بأنَّ الدُّنْيَا دار غُرُور، وهي دعوةٌ للحاضرين بأن يعملوا على الحدز منها ومن مخاطرها.

- الحالة رقم: 03.
- النَّصَّ الجَدِيد: ولا يَغْرَنَكُم بالله الغُرُورُ.

النَّصَّ القَدِيم.	الدَّلالة.
تتَنَاصَّ هذه العبارة تناصًا تامًا مع قوله تعالى: ﴿بِنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَاكُنَّا مَعَكُمْ فَتُنَّكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَتُرِيصْتُمْ وَازْتَبْتُمْ	في هذه الآية دلالة تامّة على أَنَّ أمانى الحياة الدُّنْيَا تغرّ بالكثير من النَّاسِ

¹ - الحديد: 19.

² - لقمان : 33.

وَتَشْتَرِكُ فِي ذَلِكَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسَّوِّ إِلَى جَانِبِ هَوَى الشَّيْطَانِ وَوَسْوَتِهِ.	وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (14) ﴿١﴾ (*).
---	--

- الحالة رقم: 04.

- الإحالة إلى آية أخرى: الآيتان القرآنيتان الكريمتان (45، 46) من سورة الكهف تحيل إلى الآية: (24) من سورة يونس.

الآية المحالة.	الآية المحال إليها.	الدلالة.
﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (46) ﴿﴾، [الكهف: 45، 46].	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأَمْسِ ۖ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (24) ﴿﴾، [يونس: 24].	يلاحظ في مثل حالة الإحالة من آية إلى آية أخرى امتصاص للمعنى المطلوب بالكامل؛ أي بمعنى أن الحياة الدنيا هذه هي دار الفناء ليس إلا، وأن الآخرة هي دار القرار.
<p>والخلاصة من هذه الصورة: أن هاتين الآيتين الكريمتين تمتصان معنى واحداً وهو الدمار الذي يحدث لهذا المكان بعد طغيان أهله، وتجبرهم في الأرض عن طريق نسيان أوامر خالقهم - عز وجل - والابتعاد عن نواهيهم؛ وإنما يكون هذا الأمر بسبب اتباع أهواء نفوسهم وظلمهم لها، واتباع وساوس الشيطان لهم في كل حين.</p> <p>وهي عقوبة كثيراً ما عاقب الله تبارك وتعالى بمنثها الأمم السابقة في الدنيا قبل الآخرة، وقد صور القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية الكريمة ما فعله الله تبارك</p>		

1 - الحديد: 14.

(*) الغرور: ويعني الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس للقيام بأفعال الشر مرضاة لغروره واستهتاره بالأوامر والنواهي الربانية.

وتعالى بالأمم السابقة من خرابٍ ودمارٍ - تشيب له الولدان - ومن ذلك ما جاء في هذا الشأن؛ شأن عقوبة:

- 1 - قوم عاد:
- 2 - قوم ثمود:
- 3 - قارون:
- 4 - فرعون مصر:
- 5 - وزيره، أو مستشاره:

وهذا عن طريق تسليط بعض العقوبات الشديدة؛ مثل: (الحاصب، الصيحة، الخسف، والإغراق في البحر... إلخ)؛ وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِنِهِمْ ۗ وَرِزِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۗ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)﴾.¹ (*)

¹ - العنكبوت، الآية: 38، 39، 40.

(*) الحاصب: كان من نصيب قوم عاد الذين اعتبروا أنفسهم اقوياء وأشداء لا يضاھيهم أحد في قوتهم. والصيحة: كانت من نصيب قوم ثمود الذين اتخذوا من الجبال بيوتاً وعتوا في الأرض. والخسف: كان من نصيب قارون الذي تجبر لكثرة ماله، وقد قال عنه المولى تعالى في سورة القصص من الآية: 76 إلى الآية: 81 ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبِعَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَسْسِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا ۗ وَلَا يَسْأَلُ عَنِ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَنَدُو حَظٌّ عَظِيمٌ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81)﴾.

والغرق: كان من نصيب فرعون مصر الذي تجبر في الأرض مدعيًا الألوهية فأغرقه الله تبارك وتعالى هو وجنده في قعر البحر الأحمر جزاء تكبره وتجبّره، وأنجى نبيه موسى عليه السلام ومن معه، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في عدة مواضع مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۗ حَتَّىٰ

ج- الخاتمة:

- الحالة رقم: 01.

- النص الجديد: السلام عليكم ورحمة الله.

النص القديم	الدلالة.
<p>قد تتناصرت تناصاً كاملاً مع قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۗ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ مُنْكَرُونَ﴾ (25)، [الذاريات: 25].</p> <p>كما أن مصطلح الرحمة مذكور في القرآن الكريم في كذا موضع؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (159)، [آل عمران: 159].</p>	<p>تدلّ هذه العبارة على أن السلام هي تحية الإسلام؛ لكن الأفضل أن تكون تحية كاملة طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (86)، [النساء: 86].</p> <p>كما أن السلام هو تحية أهل الجنة؛ وهذا طبقاً لقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۗ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، [الأحزاب: 44]، أو مثل قوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَأَخْرَجَ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (10) ﴿﴾، [يونس: 10].</p> <p>وإن كان السلام إسمًا من أسماء الله الحسنى؛ فالرحمة صفة من صفاته، وصفات رسوله الكريم.</p>

الخطبة الرابعة:

أ - المقدمة :

- الحالة رقم: 01، 02، 03، 04، 05.

إِذَا أَدْرَكَهُ الْغُرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) ﴿﴾، [يونس]، الآية:

.90

- النَّصَّ الجَدِيد: " إِنَّ الحَمْدَ للهوأشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ".

- النَّصَّ القَدِيم+ الدَّلَالَة: الشَّيْءُ نَفْسَهُ مَعَ الخُطْبَةِ الأُولَى وَالثَّانِيَّة.

ب - المَتن:

- الحَالَة رَقْم: 01.

- النَّصَّ الجَدِيد: كَفَعَلَهُ بِالْأَمَمِ الخَالِيَّة.

الجَدول التَّوضِيحِي

الدَّلَالَة.	النَّصَّ القَدِيم.
هَذَا تَنَاصُّ ضَمْنِيٍّ غَيْرِ مُبَاشِرٍ لِلنَّصِّ الجَدِيدِ مَعَ هَذِهِ الآيَةِ القُرْآنِيَّةِ الكَرِيمَةِ؛ وَالتِّي تَدُلُّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً عَلَى مَا فَعَلَهُ اللهُ بِالْأَمَمِ السَّابِقَةَ مِنْ هَلَاكِ وَدِمَارِ نَتِيجَةِ الانْحِرَافِ وَالانْحِيَادِ عَنِ طَاعَتِهِ وَعَدَمِ اتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.	تَتَنَاصُّ هَذِهِ العِبَارَةُ تَنَاصًّا غَيْرِ تَامٍّ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۗ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۗ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13)﴾. ¹

- الحَالَة رَقْم: 02.

- النَّصَّ الجَدِيد: اتَّقُوا الله.

الدَّلَالَة.	النَّصَّ القَدِيم.
إِنَّ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى هِيَ أَسَاسُ كُلِّ الأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ وَدَلَالَتِهَا وَاضِحَةٌ فِي اتِّبَاعِ أَوَامِرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ مِمَّا يَقُودُ إِلَى الفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالفُوزِ بِالنَّعِيمِ وَالرِّضْوَانِ فِي الآخِرَةِ.	تَتَنَاصُّ مَعَ الكَثِيرِ مِنَ الخُطَابِ الرِّبَانِي فِي كَثِيرٍ مِنَ المَوَاضِعِ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70)﴾، [الأحزاب: 70]. أَوْ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾، [التوبة: 119].

- الحَالَة رَقْم: 03.

¹ - يونس: 13.

- النَّصَّ الْجَدِيد: تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ.

النَّصَّ الْقَدِيم.	الدَّالَّة.
تتناصَّ هذه العبارة تناصًّا كاملاً مع قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25)﴾. ¹	في هذه الآية دلالة قطعية لا مجال للشك فيها عن أهوال يوم القيامة؛ والذي هو آتٍ في يومٍ من الأيام لا محالة، وهو اليوم الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

- الحالة رقم: 04.

- النَّصَّ الْجَدِيد: هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيهِ.

النَّصَّ الْقَدِيم.	الدَّالَّة.
تتناصَّ هذه العبارة تناصًّا كاملاً مع قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)﴾. ²	هذا تناصُّ تامٌّ ومباشرٌ مع الآية القرآنية الكريمة (هاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيهِ) من سورة الحاقة الآية (19)، وفيها دلالة قطعية على تطاير الصَّحَفِ يوم القيامة عن اليمين؛ وهم أصحاب اليمين الذين يتلقون كتبهم بالأيدي اليمنى، والذين يكون مصيرهم الدخول إلى جنات النعيم؛ حيث فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- الحالة رقم: 05.

- النَّصَّ الْجَدِيد: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ.

النَّصَّ الْقَدِيم.	الدَّالَّة.
تتناصَّ هذه العبارة تناصًّا كاملاً مع قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ	هو تناصُّ تامٌّ مع الآية القرآنية الكريمة رقم (25) من سورة الحاقة؛ والتي تدلُّ

¹ - الفرقان: 25.

² - الحاقة: من 19 إلى 24.

<p>دلالة قطعية على تطاير الصحف أيضا من جهة الشمال ليتلقاها أصحاب الشمال، والذين يكون مصيرهم الدخول إلى النار وبئس القرار؛ والتي لا ينفع فيها الندم.</p>	<p>فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۗ (28) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (29) خُدُوهُ فَعُلُوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35) ۞¹</p>
---	--

ج- الخاتمة:

- الحالة رقم: 01.

- النص الجديد: نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنّته أن يقينا سخطه.

الدلالة.	النص القديم.
<p>في الجزء الأول من هذه العبارة دلالة على أن الله تبارك وتعالى وعد المتقين من عباده جنّته.</p>	<p>- يتناصّ الجزء الأول من هذه العبارة مع قوله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۗ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۗ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35)﴾، [الرعد: 35].</p>
<p>وفي الجزء الثاني يوجد تناصّ غير مباشر؛ مما يدلّ دلالة كاملة على ضرورة ووجوب الالتجاء إلى الله عزّ وجلّ في الدّعاء ليقينا جميع سخطه مثلما كان الرّسول الكريم يدعو به؛ لأنّ وقاية الله لعباده المؤمنين من سخطه في</p>	<p>- ويتناصّ الجزء الآخر من هذه العبارة مع ما رواه الإمام عليّ -رضي الله عنه- عن النبيّ ﷺ أنه كان يقول في آخر وتره: "اللهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك."</p>

¹ - الحاقة: من، 25 إلى: 35.

حديث رواه أبو داوود في سننه.	الدنيا يحدث الرضوان فيها؛ ومما يؤدي إلى التمتع بالنعيم يوم القيامة بإذنه تبارك وتعالى.
------------------------------	--

- الحالة رقم: 02.

- النص الجديد: كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

النص القديم.	الدلالة.
تتناص هذه العبارة تناصاً كلياً مع قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)﴾. ¹	في هذا النص دلالة قطعية على أن كتاب الله الذي هو القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد؛ وهو المعجزة الخالدة إلى يوم الدين.

الخلاصة العامة: وفي هذه الخلاصة نلاحظ أن الخطاب في الخطب الأربع على المستوى الدلالي انتقل من الدوال التي تشير إلى الحقل السياسي؛ مثل تولي أمور المسلمين والتحكّم في شؤون الرعية بما يرضي الله ورسوله، وبكلّ أمانة، إلى الحقل الاجتماعي كالسعي إلى تحقيق المساواة والعدالة بين أفراد المجتمع المسلم إلى الحقل الديني؛ وهذا عن طريق طلب المغفرة من الله تبارك وتعالى في الخطبة الأولى، إلى الدلائل ذات الطابع الديني فقط في الخطب الثلاث الباقية.

كما نلاحظ جلياً كثرة الدعاء والترجي في الخطبة الثانية باستعمال ألفاظ توحى وتدّل على الاستعطاف؛ والتي تكرّر بعضها كثيراً مثل عبارة: (اللهم) سبع (07) مرّات؛ والتي مصدرها القرآن الكريم وأقوال النبي ﷺ، وهي التي تقود فعلاً إلى الحقل الديني دون غيره من الحقول الدلالية الأخرى.

كما كانت الخطبة الثالثة دعوة إلى تحقيق بعض الدلالات الدينية؛ مثل: الدعوة إلى عدم الاعتزاز بهذه الدنيا الفانية والحذر من أخطارها، والاستعداد لهول الموت المفاجئ المحطّم لكلّ الأحمال الدنيوية.

¹ - فصّلت: 42.

وكانت الخطبة الرابعة دعوةً إلى محاسبة النفس والنظر فيما حدث للأمم السابقة والقرون الماضية، والاعتبار بما حصل لهم؛ وهذا من أجل الاستعداد لليوم الآخر عن طريق تقديم الأعمال الصالحة، وهو اليوم الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وكانت الخطب الأربع يتناص بعض ما جاء فيها من عباراتٍ مع بعض آيات القرآن الكريم، وكان بعضها الآخر يحيل إلى آياتٍ أخرى؛ وهو الأمر الذي يدلّ على مدى تعلق العبد المؤمن بهذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو تنزيلٌ من حكيم حميدٍ، ومدى تمسّكه بربّ الأرض والسّمواتِ وخالقِ كلّ الكائناتِ، وبعضها الآخر يتناص مع بعض أقوال وأحاديث الرسول ﷺ؛ الأمر الذي يدلّ دلالةً قطعيةً على مدى تعلق الإنسان المسلم في خطاباته بأيّ القرآن الكريم وبأقوال الرسول الكريم ﷺ ومدى تمسّكه بهما.

الخاتمة:

بالفعل كانت الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين من أهمّ الوسائل التي دعمت قيام أركان الدولة الإسلاميّة الفتيّة بعد وفاة الرسول ﷺ سنة 11 للهجرة؛ الموافق للسنة: 632 ميلاديّة؛ حيث نجد أنّ الخلفاء الراشدين قد اعتمدوا عليها في التصدّي لجميع الصعاب التي واجهت قيام هذه الدولة منذ الأيام الأولى لقيامها، مثل حروب الردّة التي اندلعت ضدّ القبائل العربيّة التي تمردت عن دفع الزكاة لبيت مال المسلمين، وكذا التصدّي للعدوان الخارجي البيزنطيّ الرومانيّ من جهة الشمال والشمال الغربيّ وكذا من الغرب، والفارسيّ الساسانيّ من الجهة الشرقيّة والشماليّة الشرقيّة.

وقد تميّزت الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين بمجموعة من المميّزات؛ منها استعمال اللفظ العربيّ الأصيل الخالي من الحشو والغرابة والسوقيّة، والمتضمّن لآيات القرآن الكريم اقتباساً كاملاً أو شيئاً منها، وكذا لبعض الأحاديث النبويّة الشريفة.

وقد قامت دراسة الخصائص البلاغيّة والأسلوبية للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين لترصد بعض النقاط الأساسيّة؛ مثل المحسنات البديعيّة من جانب البلاغة العربيّة، وكذا بعض التطبيقات الأسلوبية مثل: (الأسلوبية التعبيريّة والوظيفية والنبويّة)، ومن ثمّ الانطلاق لمعرفة المستويات الأسلوبية مثل: المستوى المعجمي والصوتي والتركيبي... إلخ؛ وهذا بغرض تحقيق بعض الأهداف المنشودة من تقديم هذا الموضوع في الوصول إلى تجسيد بعض المعاني والدلالات عن طريق التطرّق إلى دراسة ما كان مقرراً الحديث عنه في المقدّمة من أبواب وفصولٍ ومباحث مختلفة.

وكان من نتاج هذا أن توصّلت مناقشة هذا البحث الموضوع في الوقت ذاته إلى وضع بعض النقاط الأساسيّة منه موضع اهتمام كبيرٍ ليطمّ وضع بعض النقاط على الحروف من جوانبه الكثيرة والمتعدّدة سواءً أكان ذلك على المستوى النظريّ أم على المستوى التطبيقيّ؟ محاولةً منّا لخدمة أبوابه وفصوله ومباحثه من بعيدٍ أو من قريبٍ بما يفسّر الحالة بعد الأخرى.

وكانت الإشارة في بادئ الأمر من الناحية التطبيقية إلى الجانب البلاغيّ؛ حيث تمّ معرفة العديد من الخصائص البلاغيّة ممثّلةً في الصّور البلاغيّة التي تتضمّنتها الخطب الأربع وكذا مميّزاتها؛ وفي مقدّمتها: المحسنات البديعيّة اللفظية كالجناس والطباق... أو

المعنوية، أو غير ذلك في شكل جداول مرتبة ترتيباً يليق بالموضوع نفسه، كما تمت الإشارة بشيء من الإسهاب إلى الخصائص الأسلوبية؛ وفي مقدمتها التطبيقات الأسلوبية؛ وهي:

الخيارات الأسلوبية التعبيرية، والبنوية، والوظيفية؛ حيث تمت معرفة الخصائص التعبيرية التي قامت عليها هذه الخطب، وكذا بعض الثنائيات الضدية؛ مثل: ثنائية (القوة والضعف) في الخطبة الأولى، وثنائية (الغلظة واللين) في الخطبة الثانية، وثنائية (الدنيا والآخرة) في الخطبة الثالثة... إلخ.

كما شغل الاهتمام بالمستويات الأسلوبية الأخرى الشغل الشاغل في هذا الموضوع كالمستوى الصوتي والتركيبي والدلالي... إلخ على شكل جداول إحصائية للخروج ببعض النتائج الملموسة، ورصد المميزات التي قامت عليها كل هذه الخطب؛ ولا سيما في الجانب الصوتي؛ حيث اتضح أن هذه الخطب تضم مجموعة من الأصوات المجهورة والمهموسة، وكذا الأصوات الانفجارية والاحتكاكية... إلخ، مع الإشارة إلى أن الكثير منها ينتمي إلى الجهر والتوسط على حساب الأصوات الأخرى، مع ذكر بعض دلالاتها.

وكانت الدراسة في المجال التركيبي والدلالي على شكل جداول واضحة ساهمت من قريب أو من بعيد في استنتاج واستنباط بعض الحقائق والدلالات الخاصة بذلك في الخطب الأربع قدر المستطاع.

وكل هذا الأمر يحمل على الأمل في المستقبل القريب أو البعيد أن يُختار هذا الموضوع الهام من طرف باحث آخر ليتناوله من هذه الجوانب، أو بإضافة عناصر أخرى يدعم بها رأيه وموقفه سعياً من أن يوفيه فوق حقه من المناقشة والبحث بطريقة قد تكون أفضل مما ذكر في هذا البحث القصير إن شاء الله؛ وليس هذا الأمر على الله بعزيز.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- الحديث النبوي الشريف.

أولاً: المصادر.

- 1- أحمد بن محمد بن عبد ربّه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد التّرجينيّ، الجزء الرابع، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1404هـ / 1983 م.
- 2- أحمد زكيّ صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربيّة الزّاهرة (العصر الجاهليّ، و صدر الإسلام)، الجزء الأوّل، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبيّ وأولاده - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، الطّبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1352 هـ / 1933 م.
- 3- عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلاميّة (أصولها، تعريفها، عناصرها)، الأزاريطة - الإسكندريّة - جمهوريّة مصر العربيّة، تاريخ الطّباعة: 1426هـ / 2006 م.

ثانياً: المراجع:

- المراجع العربيّة:

- 01 - إبراهيم صبيح، وأحمد حمّاد، وحسين عبد الحليم، وسعود عبد الجابر، وعبد الله مقداد، وكامل ولويل: فنّ الكتابة والتّعبير، دار الحامد للنّشر والتّوزيع. عمّان - الأردن، تاريخ الطّباعة: 1997 م.
- 02 - أحمد بن محمد بن عبد ربّه: العقد الفريد، تح: مفيد محمّد، قميحة، الجزء الرابع. كتاب الوساطة في الخطب، مكتبة المعارف - الرّياض - المملكة العربيّة السعوديّة، ودار الكتاب العلميّة. بيروت. لبنان، تاريخ الطّباعة : 1404 هـ / 1983 م.
- 03 - أحمد زكيّ صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربيّة الزّاهرة (العصر الجاهليّ، و صدر الإسلام)، الجزء الأوّل، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى، د ت.

- 04 - أحمد درويش: الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، المجلد الخامس، جمهورية مصر العربية، العدد الأول: أكتوبر، تاريخ الإصدار: 1984 م.
- 05- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - رغاية - الجزائر، تاريخ الطباعة: 1982 م، دون طبعة.
- 06 - أحمد محمد جمال: القصص الرمزي في القرآن الكريم، مكتبة رحاب- الجزائر- الطبعة الخامسة، تاريخ الطباعة: 1407 هج/ 1987 م.
- 07 - الباقلائي محمد بن الطيب، أبو بكر: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف- القاهرة- جمهورية مصر العربية، د ت، د ط.
- 08 - الباقلائي، محمد بن الطيب أبو بكر: إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد، صقر، دار المعارف- القاهرة - مصر، د ط، تاريخ الطباعة: 1971 م.
- 09- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النهضة للطباعة والنشر (الفضالة) - القاهرة - مصر، القسم الثاني، تاريخ الطباعة: 1973 م، د ط.
- 10 - ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في حياة الكاتب والشاعر، الجزء الثالث، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، د ط، د ت.
- 11 - ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، تح: الأستاذ خليل شحادة، وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، د ط، تاريخ الطباعة: 1421 هـ / 2001 م.
- 12 - ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، منشورات دار مكتبة الهلال - بيروت - لبنان، تاريخ الطباعة: 2000 م، د ط.
- 13 - ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن محمد بن عبد المجيد بن مسلم، أبو محمد: تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، دار التراث - القاهرة، الطبعة رقم: 2، تاريخ الطباعة: 1393 هـ / 1973 م.

- 14 - ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك: السيرة النبوية، تعليق وتخريج: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان، دار الأصاله- الجزائر- تاريخ الطباعة: 1426 هـ / 2005 م، د ط.
- 15 - أبو الحسن القرطاجني، حازم بن محمد بن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي-بيروت - لبنان، د ط، د، د ت.
- 16 - أبو الحسن القرطاجني، حازم بن محمد بن حازم: الديوان، تح: عثمان العكّك، دار الثقافة - بيروت - لبنان، د ط، تاريخ الطباعة: 1409 هـ / 1979 م.
- 17 - أبو العباس، عبد الله بن المعتز: كتاب البديع، شرح وتحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط: 01 / 1433 هـ / 2012 م.
- 18 - أبو العباس، الميرد، محمد بن اليزيد: الكامل، تحقيق وتعليق: محمد أحمد الدالي، المجلد الأول، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، تاريخ الطباعة: 1404 هـ، د ط.
- 19- أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع - عمان - المملكة الهاشمية الأردنية، الطبعة رقم: 1، تاريخ الطباعة: 1427 هـ / 2007 م.
- 20- أبو زهرة، محمد: الخطابة (أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب)، مطبعة العلوم، شارع الخليج -القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1358 هـ / 1934 م.
- 21- أبو عمّار، محمود المصري: أصحاب الرسول ﷺ، الجزء الأول، مراجعة وتقديم: الشيخ أبو إسحاق الحويني، وزكي محمد، أبو سريع، دار الإمام مالك للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع - باب الوادي - الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1428 هـ / 2007 م.
- 22- البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - رعاية- الجزائر، الطبعة الثامنة، تاريخ الطباعة: 1988 م.
- 23 - البيطار، محمد شفيق: ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، مجمع العربية السعودية - صنعاء- اليمن، الطبعة الأولى، تاريخ النشر: 1441 هـ / 2020 م.

- 24- الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي- القاهرة - جمهرزدة مصر العربية، تاريخ الطباعة: 1370 هـ / 1960 م.
- 25 - الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر - القاهرة- الطبعة رقم: 3، تاريخ الطباعة: 1413 هج / 1992 م.
- 26 - الجرجاني عبد القاهر، أبو بكر، بن عبد الرحمن بن محمد: أسرار البلاغة، تعليق الحواشي: محمد، رشيد رضا، اعتناء: منى أحمد الشيخ، دار المعرفة - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 01، تاريخ الطباعة: 1423 هـ / 2002 م.
- 27- الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تقديم: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفيحاء - دمشق - سوريا، دار السلام - الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: 1414 هـ / 1994 م
- 28- الحميدي، محمد فتوح،: الجمع بين الصحيحين، الجزء رقم: 4، رقم الحديث: 3148.
- 29 - الحميدي، محمد فتوح: الجمع بين الصحيحين، (البخاري ومسلم)، تح: علي حسين، المبوب، دار حزم- بيروت- لبنان، الطبعة رقم: 2، تاريخ الطباعة: 1423 هـ / 2002 م، الجزء الثالث، حديث نبوي شريف، تحت رقم: 2401 .
- 30 - الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، د ط، تاريخ الطباعة: 1350 هـ / 1932 م.
- 31 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان، والبدیع)، وضع الحواشي: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1423 هـ / 2003 م.

- 32 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن: معجم العين، ، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، الجزء الأول، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ النشر: 1424 هـ / 2003 م.
- 33 - الدرويش محي الدين: إعراب القرآن وبيانه، المجلد الخامس، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - سوريا، الطبعة الثالثة، تاريخ النشر: 1412 هـ / 1996 م.
- 34- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر جار الله: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق: محمد، مرسي عامر، ومراجعة: شعبان محمد، إسماعيل، دار المصحف، شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الجزء الأول، الطبعة رقم: 2، تاريخ الطباعة: 1393 هـ / 1977 م.
- 35- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر جار الله: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوال في التأويل، تح: مصطفى، حسين أحمد، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، تاريخ الطباعة: 1407 هـ / 1987 م، مج: 1
- 36 - السكاكي، يوسف بن محمد أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 1، تاريخ الطباعة: 1420 هـ / 2000 م.
- 37 - السيد أحمد الهاشمي: جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت - لبنان، د ط، د ت.
- 38- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة، وسعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي .بيروت .لبنان، تاريخ الطباعة: 1425 هـ / 2005 م.
- 39- السيوطي، الحافظ جلال الدين: تاريخ الخلفاء، مراجعة وتحقيق: جمال محفوظ، مصطفى، دار الفجر للتراث - القاهرة - جمهورية مصر العربية، د ط، د ت.
- 40- السيوفي، مصطفى: تاريخ الأدب في صدر الإسلام، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية (ش، م، م)، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 2008 م.

- 41 - الشيخ علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر للطباعة الإسلامية . شبرا . جمهورية مصر العربية، تاريخ الطباعة: 1984 م .
- 42 - الصّعيديّ، عبد المتعال: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب - القاهرة - الجزء الأول، الطبعة التّمودجيّة، د ت .
- 43 - الصّلاحي، عليّ محمّد: سيرة أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب)، شخصيته وعصره، دار: زاد للنشر والتّوزيع - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، تاريخ النّشر: 1433 هـ / 2012 م .
- 44 - الطّبريّ، محمّد بن جرير بن غالب: تاريخ الطّبريّ، تاريخ الرّسل والملوك، تح: محمّد، أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثّاني، مطابع دار المعارف - القاهرة - جمهورية مصر العربية، تاريخ الطباعة: 1968 م، د ط .
- 45 - الطّناويّ عليّ: أبو بكر الصّدّيق، دار المنارة للنّشر والتّوزيع - جدّة - المملكة العربيّة السّعوديّة، الطبعة رقم: 2، تاريخ الطباعة: 1406 هـ / 1986 م .
- 46 - الفاخوريّ، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربيّ، الأدب القديم، دار الجيل - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: 1986 م .
- 47 - الفلقشنديّ، أبو العبّاس أحمد شهاب الدّين: صبح الأعشى، الجزء الثّالث، مطبعة دار الكتب المصريّة - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، تاريخ الطباعة: 1340 هـ / 1922 م، د ط .
- 48 - العقّاد، عبّاس محمود: عبقرية محمّد، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، بيروت، صيدا - لبنان، دون ت، دون ط .
- 49 - العقّاد، عبّاس محمود: عبقرية أبي بكر الصّدّيق، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، بيروت، صيدا - لبنان، د ت، د ط .
- 50 - العقّاد، عبّاس محمود: عبقرية عمر بن الخطّاب، مكتبة رحاب، نهج روسيني بورسعيد - الجزائر - تاريخ الطباعة: 1410 هـ / 1989 م، د ط .

- 51 - العقّاد، عبّاس محمود: عبقرية عثمان بن عفّان، المكتبة العصرية للطباعة والنّشر، صيدا، بيروت - لبنان - دون ط، دون ت.
- 52- العقّاد، عبّاس محمود: عبقرية عليّ، دار الكتاب العربيّ - بيروت - لبنان، تاريخ الطباعة: 1386 هـ / 1967 م، د ط.
- 53- الغزاليّ، محمّد: فقه السيرة، دار الشّهاب للطباعة والنّشر - باتنة - الجزائر، د ت، د ط.
- 54 - المراغي، محمود أحمد حسن: في البلاغة العربيّة (علم البديع) دار العلوم العربيّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1411 هـ / 1991 م.
- 55 - المسديّ، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب - تونس - الطّبعة الثالثة، تاريخ الطباعة: 1982 م.
- 56 - الميدانيّ، عبد الرّحمن حسن حنبكة: البلاغة العربيّة (أسسها، علومها، فنونها)، الجزء الثّاني، دار القلم - دمشق سوريا، دار الشّاميّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى: 1416 هـ / 1996 م.
- 57 - بسيوني عبد الفتّاح، فيود: قراءة في النّقد القديم، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، الطّبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1431 هـ / 2010 م.
- 58 - حازم عليّ كمال الدّين: دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، الطّبعة الأولى، تاريخ النّشر: 1420 هـ / 1999 م.
- 59- حسن أبو النّجا: في أصول العروض، دار مدنيّ - الجزائر - الطّبعة الثّانية، تاريخ النّشر: 2003 م.
- 60- حسين الحاج حسين: أدب العرب في الجاهليّة، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع - بيروت - الطّبعة رقم: 3، تاريخ الطباعة: 1417 هـ / 1997 م.
- 61 - حسن ناظم: البنى الأسلوبية (دراسة في أنشودة المطر ل: بدر شاعر السيّاب)، المركز الثّقافيّ العربيّ - بيروت - لبنان، الطّبعة رقم: 1، تاريخ الطباعة: 2002 م.

62 - حفني ناصف، سلطان محمّد، محمّد نياي، مصطفى طموم: دروس البلاغة، عناية: أحمد السنوسي، أحمد، دار ابن حزم - بيروت - لبنان، رقم الطّبعة: 1، تاريخ الطّباعة: 1433 هـ / 2012 م.

63- رحمن غركان: الأسلوبية بوصفها مناهج، (الرؤية والمنهج والتّطبيقات)، الدّار العربيّة للعلوم (ناشرون)- بيروت - لبنان، الطّبعة رقم : 1، تاريخ الطّباعة: 1435 هـ / 2014 م.

64 - سحر الخليل: مختارات من النثر العربيّ القديم، دار البداية ناشرون وموزعون - عمّان - المملكة الأردنيّة الهاشميّة- الطّبعة الأولى، تاريخ الطّباعة: 1432 هـ / 2011 م.

65 - سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغويّة إحصائيّة، دار علا للكتاب - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، الطّبعة الثّالثة: 1412 هـ / 1996 م.

66 - سلامة موسى: أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، مطبعة الهلال - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، د ط، تاريخ الطّباعة: 1924 م.

67 - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربيّ (2) العصر الإسلاميّ، دار المعارف - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، الطّبعة السّابعة، تاريخ الطّباعة: 1963 م.

68 - شوقي ضيف: الفنّ ومذاهبه في النثر العربيّ، مكتبة الدّراسات الأدبيّة، دار المعارف - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، الطّبعة العاشرة، تاريخ الطّباعة: 1425 هـ / 2005 م.

69 - عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشّروق - بيروت - لبنان، الطّبعة الثّانية، تاريخ الطّباعة: 1408 هـ / 1986 م.

70 - عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشّروق - بيروت - لبنان، الطّبعة رقم: 3، تاريخ الطّباعة: 1408 هـ / 1986 م.

71 - عبد الرّحمن عبد الحميد: تاريخ الأدب في العصر الجاهليّ، دار الكتاب الحديث . القاهرة، الكويت، الجزائر . تاريخ الطّباعة: 1428 هـ / 2008 م.

72 - عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلاميّة، أصولها، تعريفها، عناصرها، الأزاريطة - الإسكندريّة - جمهوريّة مصر العربيّة، تاريخ الطّباعة: 2006 م.

- 73 - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربيّة، (علم البديع)، دار النّهضة العربيّة- بيروت- لبنان، د ط، د ت .
- 74 - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربيّة (علم البيان)، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنّشر - بيروت- لبنان، تاريخ الطّباعة: 1405 هـ / 1985 م .
- 75 - عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربيّة (علم المعاني) دار النّهضة العربيّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى: 1430 هـ / 2009 م .
- 76 - عبد المالك مرتاض: التّحليل السّيميائيّ في الخطاب الشّعريّ، دار الكتاب العربيّ - الجزائر - الطّبعة رقم: 1، تاريخ الطّباعة: 2001 م .
- 77 - عليّ جواد الطّاهر: مقدّمة في النّقد الأدبيّ، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر - بيروت- لبنان، د ط، تاريخ الطّباعة: 1979 م .
- 78 - عليّ محفوظ: فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، مكتبة رحاب نهج روسيني، ساحة بور سعيد- الجزائر - د ط، د ت .
- 79 - عليّ الجارم، ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف- القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، تاريخ الطّباعة: 2005 م، د ط .
- 80 - عمر عروة: النثر الفنّي القديم (أبرز فنونه وأعلامه)، دار القصة للنّشر - حيدرة- الجزائر، د ت، د ط .
- 81 - فخريّ خليل النّجار: الأسس الفنّيّة للكتابة والتّعبير، دار صفاء للطّباعة والنّشر والتّوزيع - عمّان - المملكة الأردنيّة الهاشميّة، الطّبعة الأولى: 1431 هـ / 2011 م .
- 82 - كريم راجح: أحكام التّجويد برواية ورش عن نافع/ جمع وترتيب: عبد الكريم مقيدش، مكتبة: إقرأ ب: قسنطينة، الجزائر، د ط، د ت .
- 83 - كريمة أبو زيد: علم المعاني (دراسة وتحليل)، دار التّوفيق التّموجيّة للطّباعة - الأزهر - القاهرة - جمهوريّة مصر العربيّة، الطّبعة الأولى: 1408 هـ / 1988 م .

- 84 - كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة - جمهورية مصر العربية، تاريخ الطباعة: 2000 م، د ط.
- 85 - كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . جمهورية مصر العربية، تاريخ النشر: 2006 م، د ط.
- 86 - محمد بلّوحي: الخطاب النقديّ المعاصر من السّياق إلى النّسق (الأسس والآليات)، دار الغرب للنشر والتّوزيع - وهران - الجزائر، تاريخ الطباعة: 2001 م، د ط.
- 87 - محمد بن عبد الوهّاب: مختصر سيرة الرّسول ﷺ، مراجعة وتحقيق: عبد الرّزاق المهديّ، دار الكتاب العربيّ - بيروت - لبنان، الطّبعة الأولى: 1424 هـ / 2004 م.
- 88 - محمد بن يحيى: السّمات الأسلوبية في الخطاب الشعريّ، عالم الكتاب الحديث - عمّان - المملكة الهاشميّة الأردنيّة، الطّبعة رقم: 1، تاريخ الطباعة: 2011 م.
- 89 - محمد شكري عياد: اتّجاهات البحث الأسلوبيّ، دار العلوم - الرياض - المملكة العربيّة السّعوديّة، د ط، تاريخ الطباعة: 1985 م.
- 90 - محمد شكري عياد: مبادئ في علم الأسلوب، مكتبة مبارك العامّة - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، الطّبعة رقم: 2، تاريخ الطباعة: 1413 هـ / 1992 م.
- 91 - محمد صالح الضّالع: الأسلوبية الصّوتية، دار غريب - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، د ط، تاريخ الطباعة: 2002 م.
- 92 - محمد عبد المطّلب: أدبيّات البلاغة والأسلوبية، مكتبة: لبنان (ناشرون)، والشّركة المصريّة العالميّة للنشر (لونجمان) - القاهرة - جمهورية مصر العربيّة، الطّبعة الأولى، تاريخ النّشر: 1994 م.
- 93 - محمد عبد المطّلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة ناشرون - بيروت - لبنان، الطّبعة رقم: 1، تاريخ الطباعة: 1994 م.
- 94 - محمد كريم كزّار: علم الأسلوب، مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السّابع من أبريل - طرابلس - ليبيا، الطّبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 2005 م.

- 95 - محمود محمّد، محمّد عمارة: الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تاريخ النشر 1418 هج / 1998 م.
- 96 - منذر عيّاش: مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد كتّاب العرب، د ط، تاريخ الطباعة: 1990 م.
- 97 - موسى ربابعة، الأسلوبية (مقاييسها وتجلياتها)، دار الكندي للنشر والتوزيع - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة رقم: 1، تاريخ الطباعة: 2003 م.
- 98 - موسى لعور: البيانات التناصية في شعر أحمد سعيد (أدونيس) دراسة سيميائية، مطبعة مزوار - الوادي - الجزائر، طبعة رقم: 01، تاريخ الطباعة: 2009 م.
- 99 - ميّ يوسف خليف: تطوّر الأداء الخطابيّ بين عصر صدر الإسلام وبنى أمية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - جمهورية مصر العربية، منتدى سور الأزيكية، د ط، د ت.
- 100 - نبيل عليّ حسين: دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائص: (جرير - الفرزدق - الأخطل)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، الطبع الأولى: 1431 هـ / 2010 م.
- 101 - نور الدين السّد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هرمة - الجزائر - الطبعة الأولى، الجزء: 1، تاريخ الطباعة: 1997 م.
- 102 - يوسف جمعة سلامة: مقال بعنوان (اليوم العالميّ للغة العربية)، مجلة البصائر الأسبوعية، من: 09-15 ربيع الثاني / 1440 هـ / الموافق ل: 17-23 ديسمبر / 2018 م، العدد: 940.
- 103 - يوسف وغليسي: محاضرات في النّقد الأدبيّ المعاصر، منشورات جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر، د ط، تاريخ الطباعة: 2004 م - 2005 م.
- 104 - يوسف، وغليسي: مناهج النّقد الأدبيّ، دار جسور - المحمّدية - الجزائر، الطبعة الثانية، تاريخ الطباعة: 2009 م.

ثالثًا: المراجع المترجمة.

- 1- أرسطو طاليس: الخطابة التّرجمة العربيّة القديمة، تحقيق وتعليق: عبد الرّحمن بدويّ، دار النّشر ووكالة المطبوعات - الكويت - الكويت، ودار القلم - بيروت - لبنان، تاريخ الطّباعة: 1997 م.
 - 2- بيار جيرو: الاسلوبية، تر: منذر عيّاش، دار الحاسوب - حلب - سوريا، الطّبعة الثّانية، تاريخ الطّباعة: 1994 م.
 - 3- سيد عليّ أمير: روح الإسلام، تر: عمر الدّيراوي، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، الطّبعة الثّانية: 1975 م.
- رابعاً: الرّسائل والأطروحات.
- الرّسائل:
- 1- رزيق بوعلام: رسالة ماجستير، بعنوان: الخصائص الأسلوبية في نونية أبي البقاء الرّنديّ، إشراف: محمّد زهّار، جامعة محمّد بوضياف - المسيلة - الموسم الجامعيّ: 2010 م - 2011 م.
 - 2- عبد الله عليّ جابر، المري: رسالة ماجستير، بعنوان: الخطابة عند الفاروق/ دراسة أسلوبية/ إشراف: عبد الرّؤوف، زهدي، مصطفى، جامعة الشّرق الأوسط - عمّان - المملكة الهاشميّة الأردنيّة، الموسم الجامعيّ: 2011 م / 2012 م.
 - 3- عمر أحمد الرّبيحات: رسالة ماجستير بعنوان: الأثر التّوراتيّ في شعر محمود درويش، جامعة مؤتة، الأردن، تاريخ المناقشة: 2017 م.
- الأطروحات:
- 1 - أسامة حيقون: أطروحة دكتوراه بعنوان: (التّناسّ وأشكال السرّقات الأدبية في كتاب العمدة لابن رشيق القيروانيّ)، تخصص: أدب عربيّ قديم ونقده، إشراف الأستاذ الدّكتور: صالح مفقودة، جامعة محمّد خيضر - بسكرة - كليّة الآداب واللّغات، قسم الأدب واللّغة العربيّة، الموسم الجامعيّ: 2019 م / 2020 م، ص: 18.
 - 2 - عبد السّميع موفّق: أطروحة دكتوراه بعنوان: الخطاب الشّعريّ في ديوان حازم القرطاجنيّ (مقاربة أسلوبية)، إشراف الدّكتور: السّعيد لراوي، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الموسم الجامعيّ: 1435 هج / 1436 هج، الموافق ل: 2014 م / 2015 م.
- خامساً: المعاجم والقواميس.

- 1- الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس في جواهر القاموس، تح: عبد الحلیم الطحاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب-الكويت- دون طبعة، تاريخ الطباعة: 1498 هـ / 1984 م، مج: 3.
- 2- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، تاريخ الطباعة: 1425 هج / 2004 م.
- 3- المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية - القاهرة - نشر وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية، تاريخ الطباعة: 1415 هج / 1994 م، د ط.
- 4- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، دار علا للكتب للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة- جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، تاريخ النشر: 1429 هـ / 2008 م.
- 5- ابن منظور، محمد بن مكرم بن عليّ جمال الدين، (أبو الفضل) الرويفعيّ الأنصاريّ، الإفريقيّ: لسان العرب، باب: عرض، دار صادر - بيروت - لبنان، د ط، د ت.
- 6- ابن منظور، محمد بن مكرم بن عليّ جمال الدين، (أبو الفضل) الرويفعيّ الأنصاريّ الإفريقيّ: لسان العرب، المجلد السادس، باب نصّص، دار صادر - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 01، تاريخ النشر: 1996 م.
- 7- ابن منظور، محمد بن مكرم بن عليّ جمال الدين، (أبو الفضل) الرويفعيّ الأنصاريّ الإفريقيّ: لسان العرب، المجلد الثاني، باب خطب، دار صادر - بيروت - لبنان، الطبعة رقم: 1، تاريخ النشر: 1997 م.
- 8- عصام نور الدين: معجم نور الدين الوسيط، عربيّ / عربيّ، دار الكتاب العلميّة . بيروت لبنان، الطبعة الثانية، تاريخ النشر: 2009 م.

سادساً: المجلات.

- 1- مجلّة البصائر الأسبوعيّة، من: 09- 15 ربيع الثاني / 1440هـ / الموافق ل: 17- 23 ديسمبر / 2018 م، العدد: 940.
- 2- مجلّة العلم والإيمان، وزارة الإعلام والثقافة الليبيّة، الشركة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان - طرابلس - ليبيا، 3، تاريخ النشر: 1396 هـ / 1976 م.

ملحق خاصّ بخطب المدوّنة.

الخطبة الأولى: خطبة لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بعد بيعته بالخلافة.

بعد أن حمد الله تبارك وتعالى، وأثنى عليه، وتشهد، وصلى على نبيه ورسوله وآله وصحبه، خطب خطبة مؤثرة في سقيفة بني ساعدة بالمدينة المنورة على مسامع المهاجرين والأنصار بعد وفاة النبي ﷺ، وبعد بيعته بالخلافة؛ فقال:

أما بعد.

أيها الناس: فإني قد وليتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقه - إن شاء الله - والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ الحقَّ منه - إن شاء الله - ولا يدعُ أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قومٌ إلا ضربهم الله بالذلِّ، ولا تشيع الفاحشةُ في قومٍ إلا عمَّهم الله بالبلاء.

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيتُ الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم.¹
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.²

¹- عبد العاطي محمّد شلبي، وعبد المعطي عبد المقصود: الخطابة الإسلامية، الأزرايطية-الإسكندرية - جمهورية مصر العربية، تاريخ الطباعة: 2002م، ص: 60، 61.

²- الفقيه الاندلسي، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، الجزء الرابع، دار الكتب العلميّة- بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1404 هج/ 1983م، ص: 157.

الخطبة الثانية: إحدى خطب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

صعد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وخطب في الناس يوماً على المنبر؛ حيث حمد الله وأثنى عليه، وتشهد، وصلى على نبيه ورسوله، وآله وصحبه، ثم قال:

يا أيها الناس: إنني داع فأمّنوا؛ اللهم إنني غليظٌ فليّني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك، وأهل الدعارة والنفاق، من غير ظلمٍ مني لهم، ولا اعتداء عليهم، اللهم إنني شحيحٌ فسخني في نوائب المعروف، قصداً من غير سرفٍ ولا تبذيرٍ، ولا رياءٍ ولا سمعةٍ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة، اللهم ارزقني خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إنني كثير الغفلة والنسيان؛ فألهمني ذكرك على كل حالٍ، وذكر الموت في كل حين، اللهم إنني ضعيفٌ عن العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعونك وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين والبرِّ والتقوى، وذكر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات، والحدز من الشبهات، اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما ينلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة لمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنك على كل شيء قدير.¹

اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين.²

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده - القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، تاريخ الطباعة: 1352 هـ / 1933 م، رقم: 494، ص: 81، 82.

² - الفقيه الاندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، ص: 156.

الخطبة الثالثة: إحدى خطب الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، يحذر الناس فيها من خداع الدنيا.

بعد حمد الله تبارك وتعالى والثناء عليه، وذكر الشهادتين، والصلاة والسلام على رسوله؛ قال عثمان - رضي الله عنه -:

" إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتكم أصبحتم أم أمسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على العرور، فلا تغرتكم الحياة الدنيا، ولا يغرتكم بالله العرور.

اعتبروا بمن مضى منكم، ثم جدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها، وتمتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها؟ واطلبوا الآخرة، فإن الله ضرب لها مثلاً، والذي هو خير؛ فقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (44) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (45) ﴾.¹

والسلام عليكم ورحمة الله.

¹ - عبد العاطي، محمد شلبي، و عبد المعطي، عبد المقصود: الخطابة الإسلامية، الأزرايطية-الإسكندرية-مصر، دون طبعة، تاريخ الطباعة: 2002 م، ص: 69.

الخطبة الرابعة: هذه إحدى خطب الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، يوصي فيها الناس بتقوى الله ولزوم طاعته.

بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وتشهد، وصلى وسلّم على رسوله، قال الإمام عليّ يخاطب الناس:

"أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل، وترك الأمل؛ فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله، أين التعب بالليل والنهار المقتحم للبحر، ومغاور القفار، يسير من وراء الجبال، ويعالج الرمال، يصل الغدو بالزواح، والمساء بالصباح فيطلب محقرات الأرباح؛ فهجمت عليه منيته، فعظمت بنفسه رزقته؛ فصار ما جمع بوراً، وما كسب غروراً، ووافى القيامة محسوراً.

أيها اللّاهي الغار بنفسه، كأنّي بك وقد أتاك رسول ربك، لا يقرع لك باباً، ولا يهاب لك حجاباً، ولا يقبل عنك بديلاً، ولا يأخذ منك كفيلاً، ولا يرحم لك صغيراً، ولا يوقر فيك كبيراً، حتى يؤدّيك إلى قعر مظلمة، أرجاؤها موحشة، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية. أين من سعى واجتهد؟ وبالقليل لم يقنع؟ وبالكثير لم يمتّع؟ أين من قاد الجنود، ونشر البنود؟ أضحوا رفاتاً، تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون. عباد الله: اتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقق السماء بالغمام، وتتطاير فيها الكتب عن الأيمان والشمائل؛ فأيّ رجل يومئذ تُراك؟ أقائل هاؤم أقرؤوا كتابيه؟ أم: يا ليتني لم أوت كتابيه؟

نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنّته أن يقينا سخطه؛ وإن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.¹

¹ - الفقيه الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربّه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، الجزء الرابع، دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، تاريخ الطّبعة: 1404 هـ / 1983 م، ص: 157.

ملحق خاصّ بتحديد بعض المناطق الجغرافيّة.

الرقم	المنطقة الجغرافيّة.	المكان
01	الحديبيّة: منطقة الحديبيّة تقع قرب مدينة مكّة المكرّمة؛ وتسمّى اليوم بمنطقة الشّمْيسي؛ وعقد الرّسول ﷺ مع قريش صلحاً بها سمّي بصلح الحديبيّة في العام (06) هـ؛ أن يعود المسلمون إلى المدينة المنوّرة حتّى العام المقبل لتخرج قريش من الحرم المكيّ؛ فيؤدّي المسلمون العمرة في الكعبة لمدّة ثلاثة أيّام متتاليّة.	الباب الأوّل/ الفصل الثّاني.
02	الأمبراطوريّة السّاسانيّة: ويعدّ ساسان هو الاسم الذي استعمل للأمبراطوريّة الفارسيّة الثّانيّة (226 م - 651 م)، وترجع تسميتها بهذا الاسم إلى الكاهن الزّرادشتي (ساسان) الذي كان جدّ أوّل ملوكها؛ وهو أردشير الأوّل، وكانت عاصمتها الأولى: اصطخر، ثمّ المدائن. وكان تأسيسها إذاً على يد الملك أردشير الأوّل سنة: 226 م بعد تغلّبه على مناوئيه في السّلطة في منطقة ما تسمّى (إيران اليوم)، وسرعان ما توسّعت على حساب المناطق المجاورة لها شرقاً وغرباً؛ ومن أهمّ المناطق التي خضعت لسيّطرتها العراق والشّام واليمن...	الفصل الثّاني من الباب الأوّل
03	الأمبراطوريّة البيزنطيّة: وتتسب إلى مدينة بيزنطة، وكان أهلها يعتبرون أنفسهم الرّوم، وقد سمّتهم الشّعوب المحيطة بهم بالبيزنطيين الرّوم، وقد ظهرت حول سواحل البحر الأسود بجنوب شرق أوربا وجنوب غرب آسيا، وسرعان ما توسّعت على حساب المناطق المجاورة لها وبعض المناطق البعيدة مثل جنوب غرب آسيا؛ حيث البلاد العربيّة، وشمال إفريقيا. واتّخذت من مدينة بيزنطة عاصمةً لها؛ أي ما تسمّى بـ: القسطنطينيّة؛ والتي تسمّى استامبول بتركيا اليوم.	الفصل الثّاني من الباب الأوّل

الفهرس

الرقم	الفهرس	الصفحة
01	الواجهة	
02	بسم الله الرحمن الرحيم. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا.	
03	الإهداء	
04	شكر وعرفان	
05	مقدمة:	01
06	متن المقدمة:	أ، ب، ج، د.
07	مدخل إلى البلاغة والأسلوبية.	.06
	المبحث الأول: ماهية البلاغة وأركانها. المطلب الأول: ماهية البلاغة. 1- التعريف اللغوي للبلاغة: 2- التعريف الاصطلاحي للبلاغة:	.07 من: 07 إلى: 08. .08
	المطلب الثاني: أركانها. 1 - علم المعاني: 2 - علم البيان: 3 - علم البديع:	.08 من: 09 إلى: 10. .10 من: 10 إلى: 11.
	المبحث الثاني: مفهوم الأسلوبية واتجاهاتها. المطلب الأول: ماهية الأسلوب. أولاً: لدى العرب. التعريف اللغوي للأسلوب: التعريف الاصطلاحي للأسلوب:	.11 من: 11 إلى: 12 ، من: 12 إلى: 21.
	ثانياً: لدى الغرب: تمهيد: المطلب الأول: التعريف بالأسلوبية ونشأتها. المطلب الثاني: اتجاهات الأسلوبية.	من: 21 إلى: 28. من: 29 إلى: 37.

08	الباب الأول: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.	38.
	الفصل الأول: الخطابة وأشكالها.	38.
	المبحث الأول: مفهوم الخطابة وأهميتها. المطلب الأول: مفهوم الخطابة. 1 - 1 - 1: المفهوم اللغوي. 1 - 1 - 2: المفهوم الاصطلاحي. المطلب الثاني: أهمية الخطابة.	38. من: 39 إلى: 41. من: 41 إلى: 49. 49.
	المبحث الثاني: البناء الهيكلي للخطبة. المطلب الأول: البناء الهيكلي للكتابة. المطلب الثاني: البناء الهيكلي للخطبة. المبحث الثالث: آداب الخطيب وشروطه. المطلب الأول: آداب الخطيب. 3 - 1: آداب الخطيب مع نفسه. 3 - 2: آداب الخطيب مع السامعين. المطلب الثاني: شروط الخطيب. المبحث الرابع: أنواع الخطب وأشكالها. أ - أنواع الخطب: ب - أشكالها.	49. من: 49 إلى: 52. من: 52 إلى: 54. 54. 54. 54. من: 54 إلى: 60. من: 60 إلى: 63. 63.
	الفصل الثاني: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.	64.
	المبحث الأول: الخطابة النبوية والمجالات التي غطتها. المطلب الأول: الإرهاصات الأولى للخطابة لدى العرب. المطلب الثاني: نبذة عن حياة النبي (صلعم). 1 - محمد قبل البعثة: 2 - البعثة النبوية: 3 - مراحل الدعوة الإسلامية: أ - المرحلة السريّة:	64. 70 - 73. من: 64 إلى: 68. من: 68 إلى: 72.

	ب - المرحلة الجهريّة:	
.72	المطلب الثالث: الخطابة النبويّة.	
.72	3 - 1: الخطابة النبويّة.	
من: 72 إلى: 85.	3 - 2: أهمّ المجالات التي غطّتها.	
.86	المبحث الثاني: عوامل قيامها وأهمّ مميّزاتها.	
من: 86 إلى: 88.	المطلب الأولى: عوامل قيام الخطابة النبويّة.	
.90	1-1: القرآن الكريم:	
من: 88 إلى: 90.	1-2: الحديث النبويّ الشريف:	
من: 90 إلى: 92.	1-3: الخطابة النبويّة:	
.92	المطلب الثاني: أهمّ مميّزاتها.	
من: 92 إلى: 93.	2-1: الألفاظ.	
من: 93 إلى: 94.	2-2: المعاني.	
من: 94 إلى: 97.	2-3: الأسلوب.	
.97	2-4: طول الخطبة وقصرها.	
.97	المبحث الثالث: التعريف بالعهد الراشد وخلفائه.	
.97	المطلب الأوّل: التعريف بالعهد الراشد.	
.98	المطلب الثاني: الخلفاء الراشدون.	
من: 98 إلى: 101.	2-1: أبو بكر الصّدّيق:	
من: 101 إلى: 104.	2-2: عمر بن الخطّاب:	
من: 104 إلى: 106.	2-3: عثمان بن عفّان:	
من: 106 إلى: 108.	2-4: عليّ بن أبي طالب:	
.109	المبحث الرابع: عوامل ازدهار الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.	
	المطلب الأوّل: عوامل ازدهار الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.	
من: 109 إلى: 110.	1-1: القرآن الكريم:	
.110	1-2: الحديث النبويّ الشريف:	
.110	1-3: الخطابة النبويّة:	

111.	1-4: الأحداث التي شهدتها الساحة أيام الخلفاء الراشدين:
111.	المطلب الثاني: أهم مميّزاتها.
112.	2-1: من حيث الشكل: أ - التمهيد: ب - الموضوع: ج - الخاتمة:
من: 112 إلى: 115.	2-2: من حيث المضمون: أ - الأسلوب: ب - الألفاظ: ج - طول الخطبة وقصرها:
115.	المبحث الخامس: صفات الخطيب وزاده:
من: 115 إلى: 116.	المطلب الأول: صفات الخطيب المسلم.
من: 116 إلى: 117.	المطلب الثاني: زاد الخطيب المسلم. 5-2-1: القرآن الكريم. 5-2-2: الحديث النبوي الشريف. 5-2-3: السيرة والتاريخ. 5-2-4: الحكم والأمثال. 5-2-5: الأحكام الفقهية. 5-2-6: الأشعار والحكم والأمثال.
من: 117 إلى: 118.	المبحث السادس: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين والميادين التي تناولتها.
من: 117 إلى: 118.	المطلب الأول: الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين. المطلب الثاني: أشهر الخطب.
من: 119 إلى: 120.	- بعض خطب الخليفة أبي بكر الصديق:
من: 120 إلى: 121.	- بعض خطب الخليفة عمر بن الخطاب:
من: 121 إلى: 122.	- بعض خطب الخليفة عثمان بن عفان:
122.	

<p>من: 122 إلى: 125. من: 125 إلى: 126. من: 126 إلى: 128. 128. من: 128 إلى: 131. من: 128 إلى: 131.</p>	<p>المطلب الثالث: الميادين التي تناولها الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين. 3-1: الخطب الدينية. 2-2: الخطب السياسية. 3-3: الخطب العسكرية. 3-4: خطب تدعو إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. 3-5: بعض الخطب التي تناولت أمورًا متفرقة. أ - عقود النكاح: ب - الخطب التعليمية: ج - بعض الخطب التي تدعو إلى بثّ الطمأنينة في النفوس: د - خطب التأبين:</p>	
<p>132.</p>	<p>الباب الثاني: الخصائص البلاغية والأسلوبية للخطابة في عهد الخلفاء الراشدين.</p>	<p>08</p>
<p>133.</p>	<p>التمهيد:</p>	<p>09</p>
<p>134. من: 135 إلى: 136. 136. 136. 137. من: 137 إلى: 140. 141. من: 142 إلى: 146. 147. من: 148 إلى: 154. 155.</p>	<p>الفصل الأول: الخصائص البلاغية لبعض خطب الخلفاء الراشدين. توطئة: المبحث الأول: أقسام البلاغة العربية. المطلب الأول: علم المعاني. المطلب الثاني: علم البيان. المطلب الثالث: علم البديع. المبحث الثاني: الصّور البلاغية لخطب المدونة. الخطبة الأولى: المطلب الأول: الصّور البلاغية في الخطبة الأولى: الخطبة الثانية: المطلب الثاني: الصّور البلاغية في الخطبة الثانية. الخطبة الثالثة:</p>	

160 إلى: من 156 إلى: 160. 161.	المطلب الثالث: الصّور البلاغيّة في الخطبة الثالثة. الخطبة الرابعة:	
171 إلى: من 162 إلى: 171. 172 إلى: من 171 إلى: 172.	المطلب الرابع: الصّور البلاغيّة في الخطبة الرابعة. الخلاصة العامّة:	
173. 174. 174.	الفصل الثاني: الخصائص الأسلوبية لخطب المدوّنة. المبحث الأول: إجراء بعض التّطبيقات الأسلوبية على خطب المدوّنة. المطلب الأوّل: دراسة بعض التّطبيقات الأسلوبية لخطب المدوّنة.	10
180 إلى: من 174 إلى: 180. 183 إلى: من 180 إلى: 183. 192 إلى: من 183 إلى: 192.	1 - 1: الأسلوبية التّعبيرية. 1 - 2: الأسلوبية البنيوية. 1 - 3: الأسلوبية الوظيفية.	
192. 198 إلى: من 192 إلى: 198. 235 إلى: من 198 إلى: 235. 268 إلى: من 235 إلى: 268. 268. 273 إلى: من 268 إلى: 273. 274 إلى: من 273 إلى: 274. 281 إلى: من 274 إلى: 281. 285 إلى: من 281 إلى: 285. 289 إلى: من 285 إلى: 289. 293 إلى: من 289 إلى: 293. 294 إلى: من 293 إلى: 294.	المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية لخطب المدوّنة. المطلب الأوّل: المستوى المعجمي. المطلب الثاني: المستوى الصوتي. المطلب الثالث: المستوى التركيبي. المطلب الرابع: المستوى الدلالي. 4 - 1: الحقول الدلالية: 4 - 2: التّناسّ. أ - الخطبة الأولى: ب - الخطبة الثانية: ج - الخطبة الثالثة: د - الخطبة الرابعة: الخلاصة العامّة:	11
296 إلى: من 295 إلى: 296.	الخاتمة:	12
297. 310 إلى: من 298 إلى: 310.	قائمة المصادر والمراجع: المصادر والمراجع:	13

311	قائمة الملحقات:	14
311	أ- ملحق خاص بخطب المدونة:	
312	الخطبة الأولى:	
313	الخطبة الثانية:	
314	الخطبة الثالثة:	
315	الخطبة الرابعة:	
316	ب - ملحق خاص بالمناطق الجغرافية:	
من: 317 إلى: 318	ولاية انديانا، منطقة الحديبية، الأمبراطورية الساسانية (الفارسية)، الأمبراطورية البيزنطية (الرومانية).	
319	الفهرس	15
من: 320 إلى: 326		
	الملخصات:	
	1- ملخص اللغة العربية.	
	2- ملخص اللغة الإنجليزية	
	3- ملخص اللغة الفرنسية.	